محرم ١٤٠٨هـ - سبتمبر / أيلول ١٩٨٧م

العربي



جوائز

١٢٥ عربي

مركز الطب الإسلامي والمعالجة بالنباتات

الموصل جسر بين الحضارات

SANYO سانيو







VHS HQ

SP-87-25

عزيزي القارئ

في اجتماع هيئة التحرير لإعداد سلسلة أعداد « العربي » للخريف ، واجهنا سؤال ذكره أكثر من قارىء في رسائل مطولة ، السؤال عن حقوق النشر باللغة العربية التي ما زال يدور حولها كلام كثير ، والمناسبة أن أحد القراء أرسل الينا مجلة تصدر في اسبانيا باللغة العربية . نقلت موضوعا نشرناه في العدد (٣٣٦) لشهر نوفمبر ١٩٨٦ وهو للزميل حسن عباس ، عن الآثار العربية في شمال الأندلس والملفت للنظر أن المقال بصوره وباسم كاتبه نشر كاملا دون إشارة للعربي . وموضوع اخر بعث لنا أحد القراء رسالة حوله ، وهو عن حركة التاميل . كنا قد نشرناه في العدد (٣٢١) لشهر اغسطس ١٩٨٥ من العربي بقلم الزميل سليمان مظهر . . وموضوع ثالث عن الاتحاد السوفيتي . . الخ .

واذا كنا في العربي لا نستهدف الا اشاعة الثقافة الجادة ، ولا يضيرنا ما ينقل عنا . . إلا أن المطلوب هو شيء من حسن السلوك المهني . حتى لا يضلل القارىء ولا تفقد المطبوعة حقوقها الأدبية بحكم المبادرة والريادة . فالمطلوب فقط هو الاشارة الى مصدر النشر وتاريخه لحفظ الحقوق المعنوية .

وعلى الرغم مما يسببه هذا النوع من القضايا من مضايقات . إلا أنه يشير أيضا الى نجاح « العربي » في مسارها الذي دأبت عليه . وهو تقديم كل جديد ومفيد وممتع . لذلك فان هذا العدد حافل بالموضوعات التي تجد فيها - عزيزي القارىء - متعتك الثقافية . فالدكتور عبد العزيز كامل يكتب لك عن حسر من كلمات ونور . والدكتور عبد الوهاب المسيري يحدثك عن « أكذوبة الثقافة اليهودية » والدكتور أسامة الخالدي يستعرض معك المجهود العربي في العلوم الأساسية . أما فتحي رضوان فيجيب على التساؤل : هل كان الرجل المريض مريضا ؟ كما يناقش فهمي هويدي إشكالية الاخر في التفكير الاسلامي ويحدثك الدكتور فخري اسماعيل حسن عن الذكاء والذاكرة . والدكتور إحسان صدقي العمد عن الأسلحة النارية . وكما عودتك *العربي عزيزي القارىء فإنها تقدم لك استطلاعا عن « الموصل* حسر بين الحضارات : . . واخر عن « عمان بلاد النخيل والنارجيل . وثالث عن مركز الطب الاسلامي في الكويت . كل هذا عدا مجموعة من المقالات في الطب والعلوم وأبواب وجها لوجه والبيت العربي وكتاب الشهر وغيرها .

بجانب ذلك فاننا نعد في العربي انطلاقة جديدة لعام قادم جديد . تدخل فيه العربي عامها الحادي والثلاثين . نرجو من خلاله أن يتواصل إسهامنا في إغناء الثقافة العربية .

وأنت عزيزي القارىء مع كل عدد من « العربي » على طريق جديد

المحرر

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

إلى العائلة؟

فرغت تواً من قراءة كتاب مشوق . جديد في موضوعه . يطرح قضية انسانية هامة بطريقة جديدة . أو قل بطريقة شعبية لا تستعصي على القارىء العام . الكتاب يتحدث عن الأسرة ، الخلية الأولى في المجتمع الانساني . عنوان الكتاب يشد الانتباه ، فقد وضع له المؤلفان عنواناً مثيراً ترجمته الأكثر قرباً لمعنى باللغة العربية هو « الأسر : وكيف ننجو من رواسبها . . ! »* .

وهو عبارة عن حوار بين كاتب هو (جون كليز) ومحلل نفسي عائلي هو (روبن سكينر) .

جون كليز هذا كان يعاني كما يقول من انفلونزا مزمنة . ومجموعة من المشكلات مع زوجته ، ولم تذهب الانفلونزا رغم العلاج الطويل لها إلا بعد أن نصحه طبيبه المعالج بالالتحاق بمجموعة تتعاطى العلاج الجماعي حيث أن مرضه ليس له أسباب عضوية ، وهناك صادف المحلل روبن سكينر . وبعد ثلاث سنوات من العلاقة المهنية والعلاجية ظهر هذا الكتاب .

* FAMILIES: And How To Survive Them - Robin SKYNNER John Cleese.

يقـول الكاتب واصفـا تجربتـه ، أنه لم يـدخل عـالم التحليل النفسي والعلاج الجماعي وهو سعيد ، فهو كغيره من الرجال والنساء في العالم ، لديه تحفظات على علم النفس وما يستطيع وما لا يستطيع عمله !

ولكن الموضوع الذي اعتقد أنه سينهيه في أشهر لتجربـة التغلب على مشكلاته العائلية والصحية استغرق لإنهائه ثلاث سنوات ، يقول : (كانت أفضل خبرة في حياتي الراشدة ، خرجت منها وأنا معافى صحيا ونفسيا ، ولقد كانت هذه الخبرة مساعـدة كبيرة لتجـاوز عقبات الحيـاة ومنغصاتهـا ، فقد أصبحت أقبل على أية مشكلة تصادفني وانا أكثر ثقة .

لقد مر بي وقت تصورت فيه ـ بعد أن سمعت مشكلات زملائي ـ أن أعقد الأفلام الروائية الدرامية التي نشاهدها على شـاشة التلفاز ما هي الا قصص واهية ومصنوعة وغير مقنعة اذا قارنتها بحقائق الحياة التي تكشفت لي . لقد اكتشفت أشياء كثيرة عن نفسي لم أكن أعرفها من قبل ، كما اكتشفت انني احمل صورة عن نفسي لم تكن واقعية .

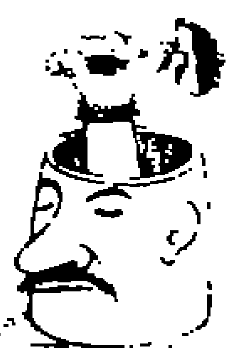
ثم بدأت أسأل أسئلة جديدة في محور العلاقة الانسـانية ، العلاقة بين الرجل والمرأة) .

إنســان واحـد وشخصيات متعـددة :

■ يقول الكاتب : (نتيجة للخبرة السـابقة بدأت أنظر الى الحياة بشكل إيجابي ، واستمتع به ، ووجدت ان أية مشكلة أواجهها الآن هي بالنسبة لي أقل قسوة وأكثر قربا للحل ، نتيجـة لأفكار « العـلاج الاسري » ومـواقفه ومناهجه ، فقد تطور كثير في السنوات الأخيرة) .

الكثيرون عندما يولدون ويترعرعون ويشبون في نطاق الأسرة ، تبدو لهم القضية كأنها عمل تلقائي ، ومعظمنا عندما يولد لنا أطفال (بنين وبنات) نتركهم أيضا لأشكال التنشئة الاجتماعية المتوارثة .

ولكن القليلين ما هم من يعرفون أن مستقبل هذا الطفل او ذاك ـ ليس المادي فقط كما يتبادر الى الذهن ولكن الصحي والعقلي ـ يعتمد اعتمادا تاما على كيفية عمل الأسرة وعلاقة الوالدين بالطفل وعلاقتهما مع بعضهما ، خاصة في السنوات الأولى من حياة ذلك الطفل !



خطورة الأمر تكمن في أن هذا الطفل إن كان لديه أية أمراض عضوية فإن أعراض تلك الأمراض تظهر عليه ، ونستطيع أن نعالجها أو نتفهمها ، ولكن ضعيف الصحة العقلية لا تظهر عليه في كثير من الأوقات أعراض مرضه ، لكن نتائج ذلك المرض ـ سواء كانت قوية أو ضعيفة ، ظاهرة او مختفية ـ تكون بالغة الخطورة عليه وعلى اسرته وعلى مجتمعه ، لذلك فإن العلماء يجتهدون لاكتشاف قوانين عمل الأسرة في « المجتمع الانساني » ، وكيف يمكن

ما هي شروط الزواج السعيد ؟

للاسرة أن تساعد لايجاد جيل يتمتع بصحة عقلية سليمة . وحتى في داخل الاسرة الواحدة فإن الاختلاف في المعاملة بين طفل وآخر ينتج رجالا ونساء مختلفين . وكثيرا ما يحكم الشخص العادي على أختين أو أخوين بأنهما مختلفان .

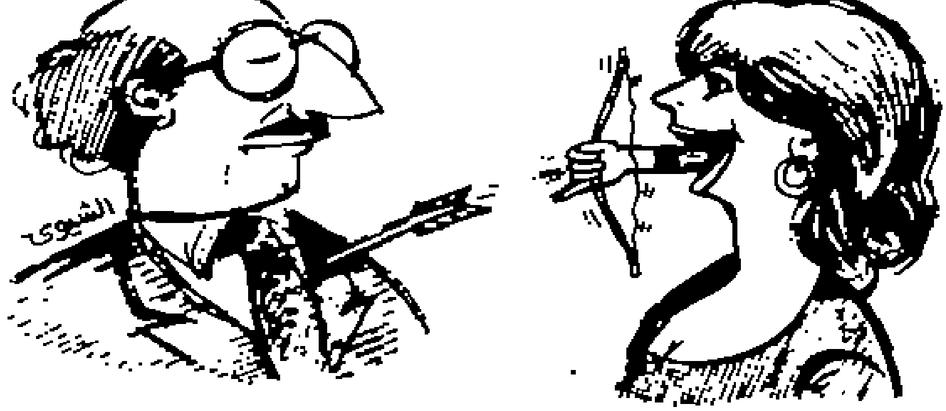
[illegible]

■ هل الحب أكذوبة إنسانية ، نريد أن نصدقها لأنها تمنحنا شيئا من الاطمئنان ، أم أن هناك بالفعل شيئا اسمه الحب ؟

تقول لنا الدراسات الحديثة في علم الاجتماع العائلي أن الحب أكذوبة صدقناها . فالناس يتزاوجون لأسباب محددة ، وهي أنهم يتشابهون في الخلفية الأسرية ، أي أن [illegible] بهم الاسرية متشابهة ، وذلك هو ما يشد بعضهم إلى بعض . فالذين [illegible] يجون يأخذون أسرهم معهم « نفسيا » . لقد اكتشفت تلك الخلفية م [illegible] (بالتمرين الأسري) وهو تمرين طور في أمريكا ، وجرب في اكثر من مكان في العالم الصناعي ، وأتى بنفس النتائج . هذا التمرين هو أن توضع جماعة تضم من عشرين الى أربعة وعشرين شخصا ، نصفهم من الرجال والنصف الآخر من النساء دون معرفة سابقة ، ويطلب من كل واحد منهم ـ دون تبادل الحديث ـ أن يختار شخصا من الجنس المخالف مفترضا أنه اختار زوجا أو زوجة ، ثم يطلب من كل أربعة أن يشكلوا أسرة ، ويوزعوا الأدوار فيما بينهم ، كأن يختار أحدهم دور الأب والآخر دور الابن وتختار المرأة دور الزوجة أو الجدة . . الخ . لقد اكتشفت من خلال هذه التمارين أن الاختيار غالبا ما يتم نتيجة تشابه في الخلفيات الأسرية . هذا الاكتشاف جاء دائما من نفس الذين قاموا بالتمرين ، فهم يشجعون على الحديث عن أسباب الاختيار ، وبعد وقت يجد الجميع أن هناك شيئا متشابها في خلفياتهم الأسرية ، كأن تكون هناك مثلا صعوبات في المشاركة العاطفية ، أو صعوبات في التعبير عن الغضب أو الحسد ، أو يكون ما يجمعهم أنهم اناس متفائلون ضاحكون أو متشائمون عابسون . وقد يكتشفون أنهم محرومون من تواجد الأب عندما كانوا اطفالا او ان أسرهم فقدت عزيزا لديها عندما كانوا في نفس العمر . والملفت للنظر أن هذه التمارين الأسرية قد أظهرت أن من عاشوا طفولتهم في أسر بديلة أو في مؤسسات رعاية أسرية غالبا ما يختارون بعضهم بعضا كأزواج محتملين ، دون أن يعرفوا مسبقا خلفيات بعضهم ! لقد شعروا بالاهمال في بداية حياتهم فاختار بعضهم بعضا !

يقول الكتاب أن اختيار الزوجين بعضهما بعضا هو في الحقيقة اختيار (مصلحي) تتمحور أسبابه حول ثلاث قضايا :

إما أن تكون أسبابا اجتماعية ، مثل الطبقة أو المستوى الاقتصادي أو



المذهب او الديانة ، وإما أن تكون أسباباً شخصية واعية مثل الشكل الخارجي أو الاهتمام بموضوعات متشابهة في الحياة ، أو قد تكون أسبابا (غير واعية) يسميها بعضهم (الكيمياء) وهي في حقيقة الأمر ما نتحدث عنه .

والأسباب الأخيرة التي سميناها أسبابا (غير واعية) ليست بالضرورة أسبابا (غير ظاهرة) ، بل على العكس ، فقد تكون ظاهرة تتضح في (لغة البدن) Body Language ، كيف تلبس ، كيف تتحرك ، كيف تشعر الناس بالاهتمام أو بقلة الاهتمام . . . الخ . فهناك جوهر للشخصية يمكن أن يظهر حتى على ملامح الانسان الخارجية .

فالشخص المكتئب يتحرك دون عناية ، مترهلا ، عابسا . . وعلى مر الزمن يأخذ شكل وجهه وتقاطيعه مظهر الاكتئاب ، وهو نفس ما ينطبق أيضا على الشخص المرح المبتسم . فاختيار الشريك إذاً ليس كما علمتنا الكتب ، وإنما يتم عن طريق الحب ، فالحب ـ إن وجد ـ يكون وزنه النسبي قليلا في مجموعة العوامل الاجتماعية والشخصية .

مراحل التطور :

■ في الأسرة الصغيرة التي انجذب طرفاها (الزوج والزوجة) الى بعضهما لأسباب أهمها تشابه الخلفية الاجتماعية والنفسية يولد الطفل الجديد ـ كما يقول الكتاب ـ محكوما عليه سابقا بخلفيات والديه . فإذا كان والداه قد حرما من الرعاية في صغرهما فانهما لن يستطيعا أن يقدما له هذه الرعاية (فان لم يُعتنَ بنا بشكل جيد ونحن صغار ، لن نعرف كيف نعْتني بالآخرين عندما نكبر) ، إنها حلقة لا تعوضها الخبرة في المجتمع بعد ذلك .

لذلك فاننا نرى في الحياة أشخاصا يتصرفون اجتماعيا بطريقة مختلفة عما نتوقعه . . لماذا ؟

لأن توقعاتنا هي خبرتنا وتصرفاتهم هي خبرتهم . وعندما يشب الأطفال فانهم يحملون خبرات أسرهم معهم . هذه الخبرات محملة بما تحدده الاسرة منذ البداية حول ما هو الشعور (الايجابي) ، وما هو الشعور (السلبي) .

فقبول السلطة أو الخروج عليها ، وقبول التعاون مع الآخرين أو الانغماس في الفردية ، والسيطرة على الشعور السلبي كالغضب أو الحسد أو الغيرة او عدم السيطرة على مثل هذا الشعور . كل ذلك يرضعه الطفل من أسرته في سنواته الأولى . وإذا كان ثمة انحراف سلوكي للطفل في المستقبل فانه يتكون هناك تحت سمع الوالدين وبصرهما أو بسبب سلوكهما ! !

وبدون (الانضباط الشخصي) الذي يلعب الأب دورا مهما في تلقينه للطفل ، وتحديد خريطة ما هو مقبول وما هو ممنوع ، لا يستطيع الطفل ان يكون علاقات جيدة مع السلطة في مجتمع عندما يكبر . فالأوامر والنواهي الاجتماعية ان لم يتعرف عليها الطفل لا يستطيع أن يقبلها بعد ذلك . حيث كانت كل طلباته مستجابة . وكل ما يفعله مقبولا . فهو لا يقبل بعد ذلك أي تحديد لهذا السلوك . وعند ذلك فانه يقاوم اي سلطة تريد أن تحد من شهواته .

والخطورة لا تكمن هنا فقط . فعندما يوضع وهو رجل في موضع يحتاج فيه الى ممارسة الانضباط سيجد ذلك صعبا . فالسلطة مطلوبة (بحب وبحزم) من الوالدين تجاه الطفل . والطفل الذي يعامل بهذه التوليفة ، يشب قادرا على اتخاذ القرار بعد الحوار حوله . وعندما يتخذه يقوم بتطبيقه بحذية . وهذا هو المطلوب في السلوك السوي .

والطفل أيضا يحتاج الى إخوة وأخوات وأصدقاء يلعب معهم . ليس من أجل اللعب فقط . وإنما من أجل أن يتعلم المشاركة . وضبط شعور الانانية . فالأطفال الذين لا يعرفون معنى ضبط هذا الشعور ومعنى المشاركة ، لا يفهمونها عندما يواجهون بها في المجتمع وهم كبار .

خطوات الاستقلال عن الوالدة ثم عن الوالد - أي الاسرة - عملية خطيرة في حياة الاطفال والمراهقين . وبدون اجتيازها بنجاح عن طريق فهم الوالدين لهذه الضرورة - ضرورة الاستقلال - وتسهيلها امام أطفالهم ، قد تنتج عنه مضاعفات نفسية خطيرة للاطفال . وعندما لا يحصل الأطفال على تلك الفرصة بشكلها الطبيعي فانهم يتحولون الى التعلق المرضي بوالديهم أو بأحدهما ، وعندما يتزوجون يحولون أزواجهم أو زوجاتهم الى آباء وأمهات . فالخلل في مرحلة النضج والاستقلال تلك يواكب الناشيء طول حياته . ويخلق له المشكلات مع من يحتك بهم في المجتمع .



وتشجيع هذا النضج يجب أن يتم عن طريق حث الأم لطفلها في البداية للعبور الى خبرة الوالد ، ثم حث الوالد للطفل للعبور الى خبرة المجتمع ، عن طريق تشجيعه بالالتحاق بجماعة من سنه ، وكذلك تشجيعه على انشاء علاقات صداقة مع أفراد من نفس الجنس .

فالفشل في العبور من مرحلة الى مرحلة في سن الطفولة مع أب أو أم غير

قادرين على هذه العملية الصغيرة ـ عملية التنشئة الاجتماعية السليمة ـ تورث الأطفال مصاعب نفسية ، قد لا تكون ظاهرة بل مختفية في نفوسهم .

الظاهر و الباطن :

■ كما هو في الحياة فهو أيضاً في النفس . فعندما لا نستطيع أن نهتم بشيء فنتجاهله ، ونصرف النظر عنه الى شيء آخر . فاننا نسقطه من حسبتنا . وفي النفس نقوم بعين العملية . الا أن هذا الاسقاط يظل حبيس ستار كثيف . لأننا لا نريد أن نعرف ما هو خلف هذا الستار .

هذه عملية سماها عالم النفس الامريكي هنري ستاك سوليفان (التجاهل الاختياري) . وهذا التجاهل الاختياري هو أن نتجاهل متعمدين الشعور السلبي . أو أي شعور نعتقد بأنه التي نشك فيها أنه سلبي . نضع نحن هذا الشعور خلف هذا الستار ولا نظهره لانفسنا ولا للاخرين . ولكن وضعنا ذلك الشعور أو أي شكل اخر من الشعور السلبي خلف ذلك الستار لا يعني انه ليس موجوداً .

فالشعور يمكن أن يوضع خلف الستار بسببين رئيسيين :

إما بسبب (الصدمة) أو بسبب موقف الاسرة منه . خذ مثلاً شعور بالغضب لدى طفل . فهو إما أن حدث بسبب حالة معزولة لكنها قوية . كأن تدخل والدته المستشفى بعد أن يصاب بحالة غضب . فهو صغير من أن يفهم السبب الذي دخلت والدته بسببه المستشفى وتخلفت عن العناية به . لذلك فانه سوف يعتقد أن والدته تركته لانه غضب . ومن هنا فانه يشعر بخوف شديد عندما تنتابه حالة غضب . مما يجعله يحاول إما أن يضع هذا الغضب خلف الستار . أي لا يعترف به . وتلك حالة الصدمة . وأن نضع شعور الغضب خلف الستار لأن هناك انطباع قوي في الاسرة أن (الغضب معيب) فالطفل محبوب عندما يكون هادئاً مسالماً . لذا فهو في البداية يخفي غضبه طلباً لرضا الأسرة . ثم بعد ذلك يخفي غضبه عن نفسه .

كل أسرة تضع بعض الشعور الذي تعتقد أنه (سلبي) خلف ستار . ويتعلم الطفل الجديد أن هذا الشعور أو ذاك يجب أن يوضع خلف الستار ليختفي هناك عن العيون . فلكل أسرة لها نقطة عمى Blind Spot . وتنتقل نقطة العمى من جيل الى جيل . لكن الستار لا يخفي كل شيء . فان كنا متعبين أو مرضى أو تحت تأثير مخدر يمكن أن يتسرب ذلك الشعور من خلف الستار . وفي بعض الاوقات قد ينفجر ذلك الشعور لسبب تافه جداً . ويأتي الى المسرح أمام الستار . ويشعر الانسان من بعده كأنه ليس هو . ولابد أن يكون انسان اخر . وتزداد الحيرة عندما يكون سبب هذا الانفجار أو رفع الستار سبباً تافهاً . كل منا جرب ذلك في نفسه أو أصدقائه أو معارفه . وعندما يطلق

إذا كنت تعاني من الإنفلونزا أو الصداع النصفي دون سبب عضوي فابحث عن السبب في علاقاتك الأسرية

الزوجان السعيدان لأن الغداء لم يكن جاهزا فإن الشعور المتراكم خلف الستار هو السبب وليس تأخر الغداء .

ولأن هناك خطورة من أن يشعر كل واحد منا بأن هناك شعورا سلبيا خلف الستار مثل الغضب أو الغيرة أو الخوف . . الخ يمكن ان ينفلت دون شعور ، فان جزءا منا يبقى متيقظا لعدو لا يستطيع ان يراه . ولا نعرف لماذا نحن متيقظون حذورن لا نشعر بالراحة . ولذلك فان الانسان يبدو متعبا متوترا وهو يبذل الجهد لطمس ذلك الشعور غير المنظور ويصبح لهذا الجهد علاقة بمجموعة من الأمراض النفسية العضوية ، كوجع البطن ووجع الرأس (الشقيقة) أو ارتفاع ضغط الدم وأنواع من الروماتيزم . . الخ .

كيف نواجه ذلك ؟

بالاعتراف بأن كل أنواع الشعور لدى الانسان لها دور ايجابي ، ولنرجع الى الغضب عند الطفل ، فلو عرف الطفل أن الغضب ليس مصيبة عظمى ولا هو عاطفة هدامة ومميتة ، وأن غضب الانسان في بعض الأوقات يمكن أن يكون ظاهرة طبيعية . وأن الطفل يمكن ان يتحكم في غضبه بشكل معقول . لو حدث كل ذلك فان الطفل سيشعر بأمان عندما يعبر عن غضبه ، ويتعلم الطريقة التي يكيف بها غضبه ويكبح جماحه كما يفعل الجميع عادة . في حالات مثل الغضب والقسوة والانانية وكل شعور انساني (سلبي) يكون من الأفضل أن نعترف به ونتحكم فيه ، بدلا من أن نلقيه خلف الستار ثم يظهر بعنف وبشكل مفاجيء وهدام .

فعندما نعترف بهذه الأنواع من المشاعر نستطيع أن نستدعيها في الوقت المناسب للغرض المناسب ، فكل شعور انساني هام لحياة الانسان ، ولكن عندما نخبيء المشاعر ونلقيها خلف الستار الكثيف فاننا لا نجدها عندما نحتاجها ، وان جاءت مزمجرة ربما سببت لنا خسائر لاننا لم نتعود أن نتعامل معها جيدا .

كل البشر لهم نفس مستوى الانفعال والشعور ، مثل ذلك مثل جسم الانسان الذي يتكون من نفس النسب الكيماوية ، جميعنا لدينا الحب والغيرة والشجاعة والحزن ، والتصميم ، والفرح ، والجبن ، والحنان ، والعنف ، والجنس ، والحياء . . الخ من أنواع الشعور الانساني .



ما نبرزه من عواطف أمام الستار وما نخبئه خلف الستار يعطينا شخصيتنا ، ومن يخبيء الحب يبدو ذا شخصية غير ودودة ، ومن يخبيء الشجاعة يجعلنا نحسبه رعديدا ، ومن يخبيء الغيرة يبدو لنا أنه غير قادر على المنافسة ، ومن يخبيء الحزن يبدو مهووسا مثيرا للاهتياج ، ومن يخبيء القلق يبدو مغامرا .

هنا يبدو أن مايشد شخصين الى بعضهما كي يتزوجا ويكونا اسرة ليس

فقط مايظهر امام الستار من شعور يظهر من تصرفهما الظاهري ويقنع كثيرا من الناس انه السبب . ولكن الذي يشدهما الى بعضهما أيضا هو ما خلف الستار من شعور .

الزواج السعيد والأسرة السعيدة :

■ الزوجان السعيدان هما من يعترفان بان هناك أشكالا كثيرة من العواطف كامنة خلف الستار . سيسترجعانها بهدوء ويراجعانها - حتى لو سبب ذلك ألما مؤقتا - لأن في المراجعة ورفع الستار إيجابية العيش معا بشكل أكثر حرية وبهجة ومعرفة . ومن جانب اخر فان أكثر الزيجات تعاسة تنشأ من أن هناك كثيرا من العواطف كامنة خلف الستار يرفض الاثنان الاعتراف بها ، ودع عنك مناقشتها . تراهما وقد كثر بينهما الشجار والخلاف ، شديدي الحساسية على كل شيء . قد يصيبان بعضهما بعضا بالنقد والتجريح .

لنأخذ مثلا على ذلك ، كأن يكون احد الشريكين او كلاهما يحب (التذليل) لكن هذه العاطفة موضوعة خلف الستار في ما نسميه (التجاهل الاختياري) . عندئذ تكثر بين الشريكين الخصومات ، لأنهما غير معترفين بهذه الحاجة عنده . ولنفترض أنهما اعترفا بها وقدمها كل شريك للآخر ، فان درجة الخلاف بينهما سوف تقل بالتأكيد .

الزواج السعيد - كما يقول الكاتب - عدده مثل عدد أنواع الأشجار . وليس هناك وصفة خاصة للزواج السعيد ، أو الزواج المثالي . ولكن علماء الصحة العقلية اليوم يؤكدون ان الزواج السعيد يقترب من تلك الدرجة كلما كان لدى الزوجين قدرة وإمكانية واستعداد للنظر خلف ذلك الستار ، وكلما ناقشا ما خلف الستار من عواطف مهما كانت درجتها ونوعها كلما أصبحت علاقتهما الثنائية أكثر غنى .

لقد اكتشف البحث الاجتماعي أن الأسر السعيدة تقبل النقد بصورة أسرع ، ربما لأنهم لا يخافون من أي تغير يطلق الشعور الخفي الذي أسدلوا الستار عليه . كما أنهم يقبلون النقد من بعضهم ، وفي الغالب يتم هذا النقد بطريقة ايجابية مساعدة ، وفي الوقت المناسب . رغم أن النقد - حتى لو كان فيه بعض الحق - يسبب ألما نفسيا . ويزداد هذا الألم النفسي إذا كان النقد موجها لشيء وضعناه خلف الستار . وكنا قد وضعناه هناك في الأصل لأنه يشوه من تصورنا لأنفسنا . وذلك هو مايثير الألم .

تقبل التغيرات والسلوك :

■ أن تستطيع بكل ما يمكن من الصعوبة أن تتحمل التغير الايجابي والسلبي دليل على صحة نفسية وأسرية . فتقبل التغير كالتخرج في الجامعة والالتحاق بالوظيفة الجديدة أو الفصل من العمل أو التقاعد ، أو وفاة أحد

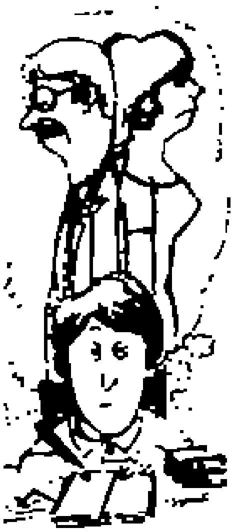
التطرّف السّياسي مَرض نفسي لَه علاقة بعقدة الاضطهاد

أفراد الأسرة ، أو الانتقال الى بلد آخر .. الخ من أشكال التغير في الحياة ، تلك عملية بحد ذاتها صعبة ، فنحن جميعا نملك في رءوسنا تصورا أو مفهوما عن عالمنا كما نعرفه ، أو خريطة عقلية متماثلة خالتنا الداخلية (مثل تماثل خريطة العالم مع واقع الكرة الارضية) ونستخدم هذه الخريطة العقلية كدليل لتصرفاتنا ، كل شيء في حياتنا في هذه الخريطة : حيّنا ، قريتنا ، أسرتنا ، أطفالنا ، والدانا ، أصدقاؤنا ، بيتنا ، جيراننا .. الخ . وأي شيء في حياتنا مخطط هناك ليرشدنا للتكيف مع حياتنا . نحن في الحقيقة ننظر الى جزء فقط من هذا المخطط وإن كان موجودا كله . فعندما يموت قريب عليك أن تتحول من خريطة يحتل فيها شخص هذا القريب مكانا ما ، كبيرا أو صغيرا ، الى خريطة لا يوجد فيها هذا القريب ، فهذا التغير من خريطة الى أخرى هو ما يعرف عادة بالتكيف ، وهو إعادة كتابة ورسم مخطط العقل . وإعادة الكتابة تحتاج الى طاقة حتى لو كان التغير الى الأفضل . ولكننا نحتاج الى طاقة أكبر عندما يكون التغير الى الأسوأ أو عندما يحدث التغير المفاجيء . وقد تكون التغيرات صغيرة لكنها متتابعة لا تعطينا الوقت الكافي لنسترجع توازننا ، مثل أن يتسخ المنزل بسرعة أكبر من قدرتنا على تنظيفه . في هذه الحالة نشعر بضغوط نحتاج فيها الى فترة (راحة) كمثل العائلة التي تفقد شخصا بالموت ، فلا تستطيع أن تمارس عملها المنظم ، فيأتي الجيران بالأكل عندة أيام لأن العائلة في (أزمة) .. !

مهمة الأم والأب تكوين هذه الخريطة العقلية لأطفالهما . فالطفل الذي لا يعرف في الوقت المناسب أن هناك حدودا بين عقله وعوالم أمه وأبيه وأسرته ، يصبح صاحب علاقة مشوشة بالعالم . ويصيبه بعد ذلك في أزمة التغير المفاجيء هذه الخريطة كلها ألم به طاريء واحتك بالعالم الخارجي .

الامهات يشاركن في هذا التشوش . فعندما تكون خريطة الأم أصلا مشوشة - حيث ، تحصل في طفولتها على رسم خريطة عقلية واضحة - فإنها تنقل هذا التشوش لأطفالها . ويعتقد العلماء أن هذا التشوش في أسوأ حالاته هو أحد الاسباب الرئيسية - على الأقل - لمرض عقلي عضال هو (انفصام الشخصية) . أما اذا كان التشوش في رسم هذه الخريطة العقلية بصورة أقل سوءا فإن الطفل ينشأ وهو يعاني من الهلوسة ، فهو لا يعرف التفرقة بين الحلم وحلم اليقظة والواقع الحقيقي ، ويخضع لتأثير الاخرين بشكل غير طبيعي ، ويبدو سلوكه للناس الاخرين غير طبيعي وليس له معنى في بعض الأوقات ، فهو يتخيل قصصا - قد لا تكون واقعية - عن أهله ومدرسيه وزملائه .

لذلك فان دليل التصرفات والسلوك الذي يضعه الأب والأم مجتمعين لطفلهما أو لأطفالهما ، يعتمد عليه هؤلاء الأطفال في تحديد علاقتهم بالخارج ، وكلما حصلوا على رسائل ثنائية متناقضة زاد التشوش عندهم .



في داخل كل منا طفل صغير :

■ دليل التصرفات الذي تقدمه الأسرة لأطفالها ليس دليلا كاملا . فالحياة ليست مثالية . وعملية الانفصال عن الأم والأب والأسرة تأخذ فترة طويلة . بل ربما تأخذ فترة الحياة كلها . ولأن ظروف الأسر النفسية والصحية والاجتماعية والاقتصادية مختلفة ـ ربما باختلاف الأسر نفسها ـ فان الطفل يشب وفيه شيء من طفولته .

نحن جميعا لدينا طفل في داخلنا . عندما تكون الأمور طبيعية يكون ذلك الطفل في داخلنا ساكنا . لكنه تحت الضغط يبدأ بالصراخ . وبعض (الأطفال الداخليين) يمكن إغضابهم أسرع من الأطفال الاخرين . وحتى لو كان ذلك الطفل الداخلي صغيرا جدا لا يكاد يظهر . فان الضغط المناسب عليه سوف يجعله يصرخ . ولا فائدة من انكار ذلك الطفل فينا ووضعه هو الاخر خلف ستار . فالرجل القوي المتوازن حقيقة يعترف بذلك الطفل في داخله ويهتم به ويرعاه . لأنه بذلك يستطيع رعاية الاخرين . أما تجاهله فهو مما يتيح خروجه منفلتا في أي وقت . والاستجواب البوليسي الحديث يعتمد على هذه المعادلة في اظهار ذلك الطفل في الانسان المستجوب . عليك فقط أن تكثر من الضغط مع قطع أية امكانية للتعضيد العاطفي لتجد ذلك الطفل ظاهرا يصرخ . كذلك المرأة لابد أن تعتني بالطفلة داخلها فهي هناك قابعة . والأم التي تشتكي من أذى أطفالها وصعوبتهم هي ابتداء قد أقفلت الباب على الطفلة الصغيرة الكامنة في داخلها . فالطفل الذي يصرخ في الخارج هو انعكاس للطفل الذي في الداخل . والاعتراف بالطفل الداخلي هو اعتراف بطلب الحب والرعاية . والخجل من هذا الشعور ووضعه خلف الستار يعقد المشكلة اكثر مما يحلها . حتى لو كان هذا الشعور صعب . فالشعور الصعب ليس المشكلة . المشكلة هي اللاعتراف به . الاعتراف بأن فينا جميعا طفلا صغيرا أو طفلة صغيرة .

التطرف النفسي :

■ إذا قسمنا شعورنا الى (جيد) (وردي‌ء) وحب وكره . ونسبنا كل ما هو كريه ورديء للاخرين . وكل ما هو جيد وايجابي لنا . فانها طريقة مرضية في النظر الى الأمور . إنها عقدة الاضطهاد . ليس بمعناها المرضي ولكن بمعناها العلمي . واذا كان لومنا للاخرين عن ما هو سلبي مؤقتا يزول بزوال العارض كما يحدث عندما نتحمس لفريق كرة القدم الذي نشجعه . فان ذلك شعور طبيعي يساور كثيرين منا . أما اذا كان ذلك الشعور مستمرا ويجعلنا ننفس عن أنفسنا ونرتاح ونضع كل شعور سلبي بشكل دائم على الآخرين . فذلك هو جنون الاضطهاد .



وعندما تنظر الى السياسة من حيث تبرير تصرفاتك ومواقفك ، في شكل لوم على الآخرين وتحميلهم تبعات كل ما هو سيء ، فذلك عمل فني من الطراز الأول . نحن نشاهد هنا الكثير من تصرفات عقدة الاضطهاد ، وتزداد هذه العقدة وتتضح لدى المتطرفين سياسيا ، فالرجال الأصحاء يدخلون السياسة كما يدخلون مباريات كرة القدم ، وربما يشعرون بالغضب عندما يناقشون آخرين من مجموعات أخرى في تصرفاتهم ، ولكنهم بعد ذلك ينزعون العداء وينظرون الى مناوئيهم السياسيين كبشر .

اما المتطرفون في السياسة فلديهم مشكلة ، فهم لا ينظرون الى معارضيهم كبشر لهم وجهات نظر مخالفة ، إنما ينظرون اليهم على أنهم اساسا (اناس سيئون) . هؤلاء الناس عندما يكرهون ، فهم يكرهون ما بأنفسهم ، وما وضعوه خلف الستار (في التجاهل الاختياري) ويتحاشون النظر اليه ، الى أخطائهم . والانغماس الكامل في السياسة بهذه الطريقة هو في الحقيقة لوضع صراع ذاتي مؤلم خارج النفس ، ونكران الاعتراف بهذه المشاكل الذاتية . مثل ذلك مثل القيام بحرب تشنها دولة قد لا يكون لها سبب منطقي غير توجيه الرأي العام نحو قضايا خارجية ، ومحاولة تصدير صراع داخلي تبثه ضد الاخرين . فماذا يحدث لو ظهرت خطورة أن يستمعوا ويقتربوا من الاقتناع بوجهة نظر أعدائهم السياسيين ؟ سيكون ذلك أكثر خطورة لأنهم عند ذلك سيواجهون أخطاءهم ونقاط ضعفهم ، سوف يرتفع الستار ليخرج الى السطح ماأرادوا دائما إخفاءه ، ويرون في انفسهم أسوأ ما نسبوه الى الآخرين ، واذا ظهر احتمال حدوث ذلك ، فانهم يسرعون الى تدبيج الخطب باتهام الآخرين وتهديدهم ، وبذلك يؤخرون المواجهة مع أنفسهم وقتا أطول ، أويقللون من مواجهة أخطائهم الى درجة يمكن تحملها .

لهذا السبب فان المتشددين والغلاة يحتاجون الى هذا التشدد وتلك المغالاة كي يبقوا أصحاء عقليا .

من ظواهر التطرف السياسي ان المجموعات فيما بينها لا تستطيع التفاهم ، انهم دائما ينقسمون ويكونون مجموعات جديدة ، لأن المتشدد المغالي يرسم حدودا ضيقة حول نفسه ويبعد الشعور الذي لا يريده ، كما انه لا يستطيع ان يعقد صلحا ، فهو فخور بنقاء معتقداته ، يعتقد انه مثالي اكثر مما هو في الواقع ، ويسقط المتطرف كل الشعور السلبي الذي لديه من القسوة والحقد والغضب والغيرة ، مبررا كل ذلك بأن (عدوه) أكثر قسوة ، وهذا هو ما يبرر لماذا يكون الانسان شديد القسوة على أخيه الانسان .

انه من الصعب أن تعالج شخصا له مواقف سياسية متطرفة ومغالية ، فقط عليك أن تعطيه بعض الدواء . . . !

محمد الرميحي



تساؤلات

شعر : الدكتور عيسى درويش

أتسألني عن الماضي
وتتركني إلى الآتي
وعند القادمِ المجهولِ
أغرقُ في خيالاتي ؟!

تُرى ..... يا زهرةَ الأيامِ
يا أنشودةَ الزمنِ ......
يمرُّ اليومُ إثرَ اليومْ
يمرُّ العامُ مثلَ اليومْ
وبين الحزنِ والأفراحْ
بين الدمعِ والأقداحْ
خيطُ الصحوِ والوسنِ ؟!

فلا تسألْ ....
فإنّ العمرَ ..... مثلُ النهرْ
هذا يموتُ عند البحرْ
وذاكَ يموتُ في الزمنْ
....

أتسألني عن الشعر
وسرِّ الطيبِ في العطرِ
وَهلْ تدري ....
بأنَّ الشعرَ ..... مثلُ الروحِ
شيءٌ خالطَ السرَّ ؟! ......
تُرى هل موجةُ البحرِ
يحركها هوى البحرِ ؟!
أم الأحزانُ تضربُه
فيمضي هائجاً يجري ؟
وبين البرِّ والبحرِ
وبين الريحِ والمطرِ
وبين الشمسِ والقمرِ
مواضيعٌ بلا نظرِ
فلا تسألْ عن السِّرِ
وسرِّ الروحِ ...... والشعرِ
فكلٌّ خلقةٌ تمشي
كما خطّتْ يدُ القدرِ

جسر من كلمات

بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

« لو كان هذا الجسر مجرد لقاء أفكار لقلنا إنه من الكلمات . ولو كان مجرد لقاء قلبين لقلنا إنه من النور . . ولكنه جسر يضم العقل والقلب جميعا ، وهو قادر على أن يمتد عبر الزمان والمكان ، غير متقيد بوحدة إلا وحدة الانسانية في شمولها » .

في هذا الحديث نذكر نماذج من الجسور ، وهي إن تغيرت في مظاهرها - والتغير في الحياة يتدفق كما يتدفق النهر - إلا أن حقيقة كبيرة تظل كامنة فيها متجلية منها ، حقيقة يظل الأفراد وتظل المجتمعات في حاجة دائمة اليها . .

ولنبدأ بنموذجين أحدهما من الشرق والثاني من الغرب . . .

مالك والشافعي وأحمد بن حنبل

ونستطيع أن نستبدل بهؤلاء الاعلام أقطارا فنقول إن الجسر كان بين الجزيرة العربية والعراق ومصر مرورا بأنهار الشام .

ولنأخذ واسطة العقد وهو الامام الشافعي . . نصحبه وهو في حداثته في مكة يتلقى العلم في المسجد الحرام ويختلف الى شيوخه ، وتتطلع نفسه الى أن يتلقى عن عالم المدينة الامام مالك ، وحصل على خطاب تزكية من والي مكة الى والي المدينة ليقدمه الى مالك . ونقتبس من هذه القصة بعض ما أورده عنها ياقوت في معجم الأدباء حاكيا عن الشافعي ، وقد سار معه والي المدينة الى بيت مالك ، متهيبا هذا اللقاء ، واستأذن ، وأعلم مالكا عن طريق جارية البيت أنه يحمل اليه رسالة من أمير مكة ، وعادت الجارية وفي يدها كرسي فوضعته ، يقول الشافعي « ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار . . فجلس . . فرفع اليه الوالي الكتاب فقرأه . . ورمى بالكتاب من يده ثم قال :

« سبحان الله . أو صار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ بالوسائل ؟ » فرأيت الوالي قد

يهب أن يكلمه ، فتقدمت اليه ، وقلت : « أصلحك الله ، اني رجل مطلبي (من بني عبدالمطلب) وقص عليه الشافعي قصته . وكان لمالك فراسة ، فقال . ما اسمك : قلت محمد ، فقال . يامحمد ، اتق الله ، واجتنب المعاصي ، فانه سيكون لك شأن من الشأن ، إن الله قد ألقى في قلبك نورا ، فلا تطفئه بالمعصية ، اذا كان الغد تجيء ويجيء من يقرا لك »

هذه الكلمة من مالك . من الجسور بين عقلين وقلبين . لقد تفرس مالك في الشافعي ورأى فيه النور وأحس فيه العقل . ودعاه الى أن يحافظ على هذا النور فلا يطفئه بالمعصية . ودعاه الى مجلس العلم . فلننظر ماذا كان في المجلس . . .

جاء الشافعي في غده . ومعه موطأ الامام مالك ليقرأه عليه . فابتدأ يقرأ . فاعجب مالك بحسن قراءته . فكان الشافعي كلما يهيب الاستمرار في القراءة يقول له مالك . زدْ يافتى . ولذلك أتمه في القراءة على مالك في أيام يسيرة .

جانب ثالث كفله مالك للشافعي . وقد كان يعاني من ضيق ذات يوم وكان مالك يرعى المحتاج من تلاميذه وصحبه الشافعي نحو تسع سنين عاد بعدها إلى مكة . وفيها لقي والي اليمن الذي صحبه وولاه أمر نجران . وأراد أهلها أن يصانعوه ، فلم يجدوا عنده إلا العدل والاستقامة .

وضاق به بعض المتنفذين من أهل النفاق والظلم . فاتهموا الشافعي بأنه مع العلويين . وأرسلوا بهذا الى الخليفة العباسي الرشيد . وقال الوالي الذي سعى بهذه الوشاية « إن ها هنا رجلا من ولد شافع المطلبي . لا أمر لي معه ولا نهي . يعمل بلسانه مالا يقدر عليه المقاتل بسيفه » .

وسيق الشافعي مكبلا بالحديد من نجران اليمن الى بغداد . سنة ١٨٤هـ وسنه وقتئذ نحو أربع وثلاثين .

وفي هذا الموقف العصيب يسر الله له جسرا آخر من النور والكلمات . .

فلقد أحسن القول أمام الرشيد . . وكان في مجلسه محمد بن الحسن الشيباني . وهو أيضا من تلاميذ مالك وأبي حنيفة معا .

كان محمد بن الحسن وقتئذ قاضي بغداد ، واستأنس الشافعي عندما رآه ، ولعلهما التقيا من قبل في مجلس مالك بالمدينة .

فقال الشافعي مخاطبا الرشيد « إن لي حظا من العلم . وإن القاضي محمد بن الحسن يعرف ذلك » فسأل الرشيد محمدا فقال : « وله من العلم حظ كبير . وليس الذي وقع عليه من شأنه » .

ووجد الرشيد في هذا القول ذريعة ، فقال لمحمد بن الحسن وهو أهل ثقته « خذه اليك حتى أنظر من أمره » وكان هذا آخر العهد بهذه الإدانة الظالمة .

وكان محمد بن الحسن للشافعي في بغداد كما كان مالك له في المدينة : يسر له الانصراف الى العلم ، وأنزله في بيته ، وآواه ، وتلقى عليه فقه العراقيين ، واجتمع له بذلك فقه الحجاز وفقه العراق . .

واستطاع بهذا الجمع مع الموهبة العقلية وطهارة القلب والتفرغ للعلم أن يضع القواعد ، وأن يصل الى مرتبة الاجتهاد . وخير شاهد لذلك كتابه « الرسالة » الذي وضع به علم « أصول الفقه » .

ومع أن الشافعي استقل عن مالك ومحمد بن الحسن وكتب في ذلك كتابا سماه « خلاف مالك » وكتابا سماه « خلاف العراقيين » إلا أن الاحترام العميق الذي ظل يكنه ويحمله لهما . وعرفان الجميل والأدب والأمانة في العرض والنقد ظلت من أبرز صفات الشافعي . وهي « جسور » عرفان الجميل نحو أساتذته . وتقابل « جسور » الخير العقلي والقلبي والمادي التي سبق أن أنشأها أساتذته نحوه ونحو نظرائه من تلاميذهم . .

نستطيع أن نتتبع عودة الشافعي بعد هذا الى مكة . ثم عودته الى بغداد . وقد ازداد نضجه . .

وهناك تتلمذ له أحمد بن حنبل الذي لقيه في مكة من قبل ، وعجب من عقله وفكره ، ولم تطل إقامته في بغداد ، ولعل الصراع السياسي والعسكري بين الأخوين الأمين والمأمون جعله يؤثر الهجرة من بغداد . . ويؤثر الاقامة في مصر ، وكان فيها تألقه ثم مثواه ورحيله عن دنيانا سنة ٢٠٤هـ وهو في الرابعة والخمسين من عمره . ويروي عنه الحافظ بن كثير في تاريخه أنه كان يقول « وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولا ينسب إليّ شيء منه ، فأوجر عليه ولا يحمدوني » .

ونستطيع أن نتتبع العلاقة بين الشافعي وابن حنبل ، وكان بينهما ما يتفقان معه ، وما يختلفان . . ولكن مع الأمرين ، بينهما التوقير والمودة والاخلاص .

تولستوي ورومان رولان وهرمان كيسه

ومن جسور الشرق ننتقل الى جسور الغرب ، وحديثنا عن ثلاثة من عمالقة الأدب : الأول روسي والثاني فرنسي والثالث ألماني فما الذي يربط بينهم ؟

ولنذكر أن وفاة الأول كانت عام ١٩١٠ والثاني عام ١٩٤٤ والثالث عام ١٩٦٢ .

اكتب هذه السطور وأمامي كتاب هرمان هيسه « هفيسلتي . مقالات عن الحياة والفن » ط : ١٩٨٥ ، وله عدة طبعات سابقة ، وكان حصول الكاتب على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٤٦ . وفي الكتاب مقالان عن رومان رولان أولهما عن علاقته بتولستوي . . وكان نشر هذا المقال عام ١٩٢٢ تعقيبا على كتاب رولان « حياة تولستوي » . يقول هيسه : (والترجمة هنا للمعاني أكثر منها للألفاظ) .

« كل انسان يعرف شيئا عن رومان رولان ، يعرف الدور الكبير الذي قام به تولستوي عندما كان رولان طالبا حديث السن في باريس . . ففي يوم من الأيام جلس رولان ونفسه ممزقة بين شكوكه ولمعلاقياته واختياره طريق المستقبل ، أيتجه الى الفن أم الى حرفة يعيش منها ؟ فكتب الى تولستوي خطابا لعله لم يكن يتوقع له ردا ، خطابا كان أكثر من اعتراف ، كان محاولة لتوضيح الذات ، كان صرخة يأس أكثر من كونه سؤالا . .

ولكن شيئا يهز النفس حدث ، فلقد أرسل الشيخ الروسي الذي عمت شهرته العالم الى هذا الطالب المجهول الحديث السن في باريس رد رسالته . كان ردا كريما مطولا ، ومفصّلا ، فيه عناية واطمئنان نفس . . كان ردا من عدة صفحات . .

كانت هذه التجربة عميقة الأثر في نفس الطالب رولان ، وعندما نشر كتابه نحو عام ١٩١٢ بعنوان « حياة تولستوي » أي بعد وفاته بعامين تقريبا ، لم يكن الكتاب دراسة لشخصيته ، ولا مجرد دراسة أدبية طيبة ، ولكن كان أيضا اعترافا عميقا بالجميل ، وتعبيرا عن حب مخلص وتقدير يستمر مدى الحياة .

إن قدرة رولان على إبداع هذا الكتاب عن تولستوي بكل ما فيه من إنسانية وحب وحيوية كان ثمرة لخطاب تولستوي ، الذي لم يكن مجرد فنان كبير وداعية مؤثر ، ولكنه كان إنسانا مبادرا الى تقديم العون ومملوءا بالحب الأخوي .

بهذه الجوانب كانت العناية الأساسية في كتاب رولان عن تولستوي ، بمعركة حياته التي لم تنقطع فيها الآلام ، والتي شملت الكثير من الصعاب والهموم والاحباط ، ولكنها كانت حياة صادقة دائما .

وفي الكتاب دراسة لروائع تولستوي : وبخاصة كتبه الباكرة : القوزاق ، الحرب والسلام ، آنا كارنينا . وإن الصفحات التي كتبها رولان عن الحرب والسلام تعتبر من أروع ما كتب في حياته . . وأنها لسعادة أن يرى الانسان في هذا الكتاب ماذا يستطيع الحب أن يصنع : الطريقة التي فهم بها الفرنسي رولان ، الروسي تولستوي . . . وكيف يفهم هذا المثقف الفرنسي باتجاهاته الاشتراكية في غرب أوروبا ، هذا الصوفي الشرقي ، وكم كان عادلا معه ، وكيف كان

يقدر نظرياته وكيف تبعه في آماد حياته الدينية ، وكيف أنه لم يكن يتتبع الأخطاء العابرة ، ولكن الخطوط الأساسية في حياته . . ان قراءة هذا الكتاب متعة نادرة وغير عادية » .

وندع الآن هذا التعقيب من « هيسه » على كتاب رولان عن تولستوي . وهو مجرد نموذج لانتقال التأثير عبر الكلمات والاحساس . . نموذج للقاء الانسان بالانسان .

جسور في تراثنا وحياتنا

ونعود الى حياتنا . . ويستطيع كل فرد منا أن يحصي من هذه الجسور الكثير . . فقط كل الذي يتحراه أنها تجمع بين الفكر والمودة بين العلم والحب

ونبدأ بقول الله تعالى موضحا الصلة التي تربط بين الرسول والمؤمنين بالعمل لله وهي صلة تجمع بين العلم والحب .

يقول تعالى مخاطبا رسوله « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » (آل عمران : ٣١) .

والآية تجمع بين الاتباع ومدخله العلم ، والحب وهو ثمرة الايمان والمعرفة . . وبهذا كان الحب في الآية طريقا وغاية . .

ولا نستطيع أن نتصور مسار الاسلام إلا بتحقق هذين الأمرين : العلم والحب . . وكل مسلم يحس أن بينه وبين الله تعالى وبين الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الرباط . . أو قل هذا الجسر . . قد يبدو بارزا في شخوص حملت الكبار من مسئوليات الاسلام . . ولكنه ميراث مشترك ، لكل مسلم فيه نصيب .

ان القرآن الكريم ـ وهو كتاب الله وكلامه ـ انتقل من فم الى أذن ، وتعيه قلوب واعية ، وسلاسل الحفاظ يرفعونها ليصلوا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك سلاسل الأحاديث الشريفة . وان الجانب الأكبر من حفظ التراث الاسلامي ، والاضافة اليه كانت عن طريق سلاسل من العلماء . . تبدو فيهم قمم عالية ، هي شوامخ الفكر الاسلامي ، وتجمع بين العلم والحب معا . .

كأمثلة : مجرد أمثلة . . انظر الى الامام أحمد بن تيمية وتلميذيه الامامين ابن القيم وابن كثير . ومن تاريخنا القريب لك أن تنظر الى هذه السلسلة بحلقاتها الثلاث : جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا . ولكل منهم أكثر من زميل وتلميذ تلقى ووعى عنه وأبدع وحفظ الجميل والحب ونشر العلم .

الحاجة الى جسور جديدة

ولكن . . ألا نحس الآن أن هذه الجسور قد قلت في حياتنا ؟

قد نجد الترابط العلمي ، ولكن لا نجد معه التوقير والمودة ، وقد نجد الحب ، ولكن لا نجد معه الوزن العلمي الدقيق .

ولأضرب مثلا من الحياة العربية والاسلامية المعاصرة ، ولن نرجع الى أكثر من نصف قرن . . الى الحرب العالمية الثانية وما بعدها .

لقد شهدت هذه العقود القريبة تطورا ضخما في حياتنا العربية والاسلامية . ظهرت دول . استقلت دول . اشتد التفاعل مع المعسكرات العالمية . تزاحمت التيارات الفكرية فوق أرضنا . قامت أكثر من حركة اسلامية فيما اصطلحنا على تسميته بالصحوة الاسلامية . تعددت الاجتهادات والاراء . ولكن لا نحس أن هناك مائدة حوار واحدة يستطيع أبناء العروبة أو أبناء الاسلام أن يجلسوا اليها ، ودليلهم البحث العلمي المجرد ، ونورهم الحب والمودة .

ان الدفاع عن الفكرة أصبح دفاعا عن صاحبها ، واختلطت ـ أو امتزجت ـ الأفكار بالأشخاص ، وأصبح البحث العلمي في قضايا العروبة والاسلام كأن الطرفين فيه تمثل الادعاء وتمثل الدفاع . . ولكن أين القاضي ؟

لك أن تنظر الى قضايانا على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو العسكري . لك أن تنظر الى العلاقات بين المذاهب الاسلامية ، وقد تطورت الى الحرب والسلاح والتخريب وتمزيق الأوطان وحرب الجيران . والكل خاسر . والمستفيد تاجر السلاح وباعة المنشآت الذين يبنون ما تهدمه الحروب .

وهؤلاء المستفيدون قد فرغوا ـ أو كادوا ـ في ديارهم من أمراض العصبيات الضيقة دينية كانت أو سياسية ، واتجهوا الى الابداع العلمي والتقني وتسابقوا فيه ولازالوا يتسابقون ، وبينهم آفاق تعاون يعرفونها ، وآفاق تنافس يحددونها ، وآفاق صراع لا يتعدونها . .

عندهم من السلاح أضعاف ما عندنا وأقوى ، ولكنها للردع لا للقتال .

وعندنا القليل الذي يسمحون به . وبعضه لتوازن القوى . والبعض للاستهلاك فوق أرضنا وبأيدينا ولأبنائنا .

ألا نحتاج نحن الى جسور جديدة ومنهج جديد يجمع بين العلم مع دراساته الموضوعية دون تعصب ولا توتر . وبين المودة دون تلون أو ميل مع الهوى ؟

هذه هي الجسور التي نحتاج اليها في مراحلنا :

ـ نحتاج اليها في جامعاتنا لتحيا بها تقاليد عريقة كانت بين الأساتذة والطلاب قبل أن تتحول جامعاتنا الى معامل تفريخ شهادات إلا ما رحم ربك .

ـ تحتاج اليها معاهدنا الدينية ليتخرج فيها عالم الدين القادر على أن يجمع القلوب والعقول على حب الخير والعمل له والتحول الى الانتاج والتقرب الى الله بالعمل وعمارة الحياة وكراهية الظلم وحب العدل .

ـ نحتاج اليها في حياتنا السياسية . . ومن الساسة ؟ إنهم إفراز جامعاتنا ، وحصاد نظام التربية القائم . . فالسياسة هي الصورة التنفيذية لنظام التربية عندما تكون السلطة في يده . نحن محتاجون الى ساسة لا يعتزلون عن الشعب ، ويضعون أيديهم دائما على نبض آلامه وآماله . ساسة قادرون على إدارة شئون الداخلية والخارجية بوعي وتدارس ومتابعة تتوطد بها المؤسسات ، وتتكون بها صفوف القيادات المتتابعة .

بحيث تصبح السياسة مدرسة سياسية للتكوين والتدريب على التنفيذ .

ـ نحتاج اليها في حياتنا الاقتصادية بحيث يصبح للعمل والانتاج قداسة .

نعم قداسة ترفعه الى أن يكون الميزان الأول لمكانة الفرد في المجتمع . وأقصد العمل في أوسع آفاقه : العمل الفكري واليدوي والتنظيمي .

كل هذه جسور نحن في حاجة اليها . ولكن من أين نبدأ ؟

إن نقاط البدء قائمة . والحياة لا تنتظر أحدا ، وهي تسير بنا ، إن لم نسر بها ، ولكن الحديث هنا موجه الى المؤسسات مباشرة . وتستطيع كل مؤسسة بإمكانياتها وقدراتها أن تتخذ الى ذلك سبيلا . وما عليها من حرج ، فقط تحتاج المؤسسة الى الارادة والتخطيط لها والسير والمتابعة . . ثم التنسيق مع غيرها . إن الحديث ليس على المستوى الفردي ، ولا على مستوى الدولة ، وإنما على مستوى المؤسسة وهي ـ عمليا ـ الجماعة الأقدر على الحركة والتطوير .

ولنبدأ بأمل محدود : هل تستطيع هذه المعاني أن تجد طريقها الى عقول شبابنا وأبنائنا ، ولو عن طريق الاعلام والصحافة وكتب القراءة المدرسية ؟ وهل تجد من مؤسساتنا من يسارع في الاستجابة ؟

الأمل كبير . . والحياة أمل وعمل . □



« الثقافة اليهودية »

بقلم : الدكتور عبد الوهاب محمد المسيري

تتحدث الكتابات الصهيونية ـ وتتبعها في ذلك بعض الكتابات العربية ـ عن « الثقافة اليهودية » ، وهذا الإصطلاح ـ شأنه شأن المصطلحات الأخرى ، مثل « التراث اليهودي » ، و« التاريخ اليهودي » ، و« العرق اليهودي » ، و« الشخصية اليهودية » ـ يفترض وجود إبداع « يهودي » مستقل عن إبداع الأمم التي يعيش اليهود بين ظهرانيها ، وهو افتراض تدحضه الشواهد التاريخية .

العبرانيون منذ ظهورهم في التاريخ قد تبنوا حضارات الأمم الأخرى . ابتداء من اللغة ، ومروراً بالمفاهيم الدينية ، وانتهاء بالطراز المعماري . وعلى سبيل المثال فليس هناك طراز يهودي معماري ، أو فن يهودي مستقل ، فهيكل سليمان من الطراز الأشوري الفرعوني ، والمعابد اليهودية في الوطن العربي من الطراز العربي ، أما في جنوب الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر فمن النمط (النيوكلاسيكي) السائد هنالك آنذاك ، والفنانون التشكيليون « اليهود » في العصر الحديث أمثال مارك شاجال ينتمون إلى تراث فني غربي ، ولا يمكن رؤيتهم في إطار تراث يهودي مستقل .

ولم يعرف أيضا تراث أدبي يهودي مستقل ، فالأدباء اليهود المستعربون في الجاهلية والإسلام

اتبعوا التقاليد السائدة في عصورهم ، وكذا الأدباء اليهود في الولايات المتحدة وانجلترا ، إبداعهم الأدبي مرتبط بالتراث الذي ينتمون إليه ، وهذا أمر طبيعي ومتوقع ، بل إن التراث الديني اليهودي نفسه ليس تراثاً مستقلاً بأي حال من الأحوال عن الموروث الديني والتقاليد والأفكار الدينية السائدة في الشرق الأدنى القديم ، خاصة بلاد الرافدين ، كما لا يمكن فصله عن الإرهاصات الدينية التوحيدية في مصر ، وعبادة يهوه في سيناء ، ولعل تطور اليهودية - من عبادة (يسرائيل) شبه الوثنية التي لا يوجد فيها مفهوم لليوم الآخر والثواب والعقاب إلى اليهودية التي تعد نسقاً دينياً توحيدياً متكاملاً - هو أكبر دليل على تأثير الحضارات المصرية والبابلية والآشورية ثم الفارسية والهيلينية على المعتقدات الدينية اليهودية .

بل إن جوانب كثيرة من الرسالات العامة للعهد القديم من تعظيم الله الواحد الذي لا تدركه الأبصار ، والوصايا العشر ، والروح العامة للأنبياء العبريين ، والأمثال ، والمزامير أصبحت جزءاً من التراث الديني المسيحي ، أما التراث (التلمودي) وكتب التفسيرات الضخمة فلم تكن معروفة عملياً لعامة اليهود ، وكانت هذه الكتب أو على الأقل الرؤى التي تتجسد من خلالها تؤثر في سلوك اليهود ، لكنه تأثير جزئي لا يشاكل بأي حال أثر تراث بلدهم الحضاري الذي يتفاعلون معه ، ويبدعون من خلاله ، ويدورون في إطاره ، ويدركون العالم ككل من داخله .

يقول أرثر كوستلر (المؤلف الانجليزي اليهودي) إن ما يعرف « بالتراث اليهودي » أو الثقافة اليهودية أمر ليس من السهل تعريفه ، إذ أن كل ما يصدر عن أعضاء الأقليات اليهودية في العالم ليس يهودياً بالمعنى المحدد ، وليس جزءاً من تراث قائم ، فالإنجازات الفلسفية والعلمية والفنية لليهود الأفذاذ . . . تتوقف على معطيات ثقافات الشعوب الأخرى وحضاراتها ، ولا تمثل عطاء حضارياً عاماً ، أو جزءاً رئيسياً مستقلاً عن التراث .

« لغـــات اليهـــود »

لعل أهم وعاء من أوعية أي موروث حضاري هو اللغة ، ومن المعروف أن اليهود لم يتحدثوا باللغة التي تعرف بالعبرية إلا فترة قصيرة جداً ، فلغة الآباء - ابراهيم واسحق ويعقوب - كانت لهجة سامية قريبة من العربية أو الآرامية ، أما العبرية فكانت لهجة من اللهجات الكنعانية ، ولم يتخذها اليهود لساناً لهم إلا بعد إقامتهم في كنعان (فلسطين) ، ويبدو أنها اختفت كلغة للحديث بين اليهود مع التهجير البابلي .

أما لغة الحديث التي كان يستخدمها أعضاء الأقليات اليهودية بعد انتشارهم في العالم في تعاملهم مع الأغيار فقد كانت في معظم الأحيان لغة الوطن الذي استقروا فيه وانتموا إليه ، أو إحدى اللغات الدولية السائدة ، فكان يهود بابل يتحدثون الآرامية ، لغة التجارة الدولية والإدارة في الشرق الأدنى القديم ، وكان يهود الاسكندرية في العصر الهليني يتحدثون اليونانية ، وبعد انقسام الامبراطورية الرومانية كان يتحدث يهود الامبراطورية الشرقية لغة هذه الامبراطورية ، أي اليونانية ، أما يهود الامبراطورية الغربية وأفريقيا وغرب أوروبا فكانوا يتحدثون اللاتينية ، وكانوا يتحدثون العربية في الوطن العربي ، وهكذا . وفي بعض الأحيان كان أفراد الأقليات اليهودية يستخدمون في التعامل فيما بينهم رطانات مكونة من اللغة الأم بعد أن تدخل عليها بضعة كلمات ومصطلحات عبرية ، فيهود الأندلس على سبيل المثال كانوا يتحدثون برطانة تسمى العربية اليهودية ، ويهود اسبانيا كانوا يتحدثون اللادينو ، أما يهود أوروبا فكانوا يتحدثون اليديشية التي تحولت في مرحلة لاحقة الى ما يشبه اللغة المستقلة للحديث والكتابة ، وكان أفراد الأقليات اليهودية كثيراً ما

يستخدمون الأبجدية العبرية في كتابة هذه الرطانات في المعاملات اليومية ، مثل (الفواتير) التجارية ، أو لأمور الدنيا الأخرى . ولم يكتب أحد من هذه الأقليات اليهودية أدباً ذا بال بهذه الرطانات ، سواء في العصور الوسيطة أو في العصر الحديث ، وربما يمكن استثناء اليديشية من ذلك ، فنظراً لأنها عمّرت طويلاً وأصبحت لغة مستقلة يتحدث بها معظم يهود العالم الغربي في القرن التاسع عشر قد كتب بها أدب شعبي للنساء ، وللعامة في بادىء الأمر ، ثم كتبت بها أعمال أدبية ، بعضها يرقى لمستوى الأعمال الجادة ، لكن هذه المرحلة دامت فترة قصيرة جداً ، بسبب اختفاء اليديشية .

ومع بدايات العصر الحديث وخروج اليهود من (الجيتو) وتحديثهم ، وبانتهاء تميزهم الوظيفي بدأت تختفي هذه الرطانات . إذ أن الدولة القومية الحديثة طالبت أفراد الأقليات بأن يكون انتماؤهم القومي لأوطانهم كاملا . وقد تعرضت اليديشية خاصة لهجوم شديد ، لا سيما أن التجار اليهود كانوا يستخدمونها ، مما سهل عليهم غش الآخرين . وتظل الصورة اللغوية العامة بالنسبة لأعضاء الأقليات اليهودية في العالم - فيما يختص بالحديث ولغة المعاملات اليومية - تشير بأنهم يتحدثون لغة الوطن الأم أساساً .

لغة التأليف

أما بالنسبة للغة التأليف الديني فنجد أن العهد القديم قد كتب بعبرية العهد القديم التي اختفت كلغة حية بعد التهجير البابلي ، ولهذا نجد أن لغة التلمود هي الآرامية ، ومع هذا ظلت العبرية لغة للمؤلفات الدينية في معظم الأحيان وليس كلها ، فوضع هليل وشماي مؤلفاتهم بالعبرية ، بينما وضع المفكرون اليهود في الاسكندرية في العصر الهيليني مؤلفاتهم باليونانية ، وكان موسى ابن ميمون يكتب بالعربية ، أما راشي فكان يكتب بالعبرية ، أما أدب القبالة الصوفي فقد كتب بالآرامية .

وقد ظل هذا الوضع قائماً حتى القرن التاسع عشر ، حيث بدأ المفكرون اليهود يضعون مؤلفاتهم الدينية بلغة الوطن الأم . فكتب موسى مندلسون بالألمانية ، وكذا فعل مارتن بوبر ، وكل المفكرين اليهود الإصلاحيين ويكتب كثير من المفكرين اليهود الآن في الولايات المتحدة مؤلفاتهم الدينية باللغة الإنجليزية .

أما بالنسبة للكتابات التي تقع خارج نطاق التفكير الديني من أدب وفلسفة وعلم ، والتي قام بوضعها مؤلفون يهود ، وهم قلة نادرة حتى القرن التاسع عشر ، فاللغة من البداية كانت لغة الوطن الأم ، فقد وضع فيلون السكندري مؤلفاته باليونانية ، أما موسى بن ميمون فكان يستخدم العربية . وكذلك معظم الشعراء اليهود في الأندلس . وفي العصور الوسيطة في الغرب لم يظهر مؤلفون يهود يعتد بهم حتى القرن السابع عشر حين ظهر سبينوزا (المنشق على اليهودية) الذي كتب مؤلفاته باللاتينية ، شأنه في ذلك شأن الكتاب الغربيين في عصره . وغني عن البيان أن المؤلفات الزمنية - غير الدينية - للمؤلفين من أعضاء الأقليات اليهودية تكتب كلها في الوقت الحاضر بلغة الوطن الأم ، فيعقوب صنوع - الكاتب المصري اليهودي - قد كتب بالعربية ، وهاينه وماركس كتبا بالألمانية ، وبروست بالفرنسية ، ودزرائيلي وسول بيلو بالانجليزية ، بل إن معظم (كلاسيكيات) الفكر الصهيوني قد كتبت إما بالألمانية أو بالانجليزية . وكان هرتزل لا يعرف العبرية ولا أبجديتها ، وقد حاول في المؤتمر الصهيوني الأول أن يدخل البهجة على قلوب الحاخامات الأرثوذكس فنطق ببعض كلمات عبرية كتبت له بالأبجدية اللاتينية ، لكنه دون فيما بعد في مذكراته ملاحظة يقول فيها : « إن محاولته هذه قد سببت له مشقة كبيرة ، تفوق كل متاعبه في الإعداد للمؤتمر » . وقد كان هرتزل ونوردو وكثير من

المفكرين الصهاينة الأوائل لايؤمنون بوجود ما يسمى « بثقافة يهودية » ، وقد سخر هرتزل من هذا المفهوم بصوت عال ، حينما طرحه لأول مرة في أحد المؤتمرات ، بل إن هرتزل لم يكن يتصور أن تكون العبرية لغة للوطن القومي الذي يقترحه ، فقد كان يرى أن كل مستوطن يهودي سيتحدث بلغته .

وقد نشبت في السنين الأولى من الاستيطان حرب تسمى حرب اللغة ، بين دعاة استخدام الألمانية (من أتباع الاستعمار الألماني) ، ودعاة استخدام العبرية (من يهود شرق أوروبا المؤيدين للاستعمار الانجليزي) .

رغم هذا كله تنطلق الصهيونية من مفهوم « الثقافة اليهودية » المستقلة ، بل إنها تجعل منه إحدى ركائزها الأساسية ، خاصة بعد أن انضم إلى صفوفها يهود شرق أوروبا من دعاة الصهيونية الثقافية الذين كانوا ينادون بأن اليهودية هي هوية (اثنية) بالدرجة الأولى ، لها تراثها الثقافي المستقل ، وشخصيتها الثقافية المستقلة ، ولغتها المستقلة (العبرية) ، وقد عارضتهم في ذلك ثلاثة اتجاهات يهودية :

١ ـ اليهود المتدينون الذين يؤمنون بأن اليهودية ليست مجرد تراث ثقافي ، وإنما هي انتماء ديني ، وأن اللغة العبرية لغة مقدسة (ليشون هاقدوش : أي لسان مقدس) ، لا يصح استخدامها في الحياة اليومية أو في شئون الدنيا .

٢ ـ اليهود الاندماجيون الذين كانوا يتركزون أساسا في فرنسا وانجلترا وألمانيا ، أي غرب أوروبا والذين كانوا يتركزون في الولايات المتحدة ، وهؤلاء كانوا يرون أن اليهود يكتسبون هويتهم الثقافية من الثقافات القومية المختلفة التي يتصلون بها ، وقد ستبعد معظم هؤلاء كل الإشارات القومية والمصطلحات العبرية حتى من الصلوات اليهودية

٣ ـ اليديشيون أو دعاة الثقافة اليديشية الذين كانوا مركزين في شرق أوروبا التي كانت تضم غالبية يهود العالم آنذاك (في روسيا وبولندا أساساً) ، ودعاة هذا التيار يرون أن يهود شرق أوروبا يشكلون أقلية ذات شخصية ثقافية قومية مستقلة ، لكن هذه الشخصية ليست يهودية بشكل عام ، وإنما هي شرقية أوروبية ، تتحدث وتفكر وتكتب باليديشية ، وليس لها أي علاقة بالعبرية . وقد كان حزب البوند ـ أكبر تنظيم اشتراكي في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر ، وكان يضم أعضاء الطبقة العاملة اليهودية في شرق أوروبا ـ من أهم المدافعين عن الثقافة اليديشية .

تحت راية وهمية

تم الاستيطان الصهيوني تحت راية الامبريالية الغربية ، والثقافة اليهودية العالمية العبرية الوهمية . وكان المستوطنون الأوائل يرفضون أن يسموا « يهوداً » ، وكانوا يعتبرون أنفسهم « عبرانيين » ، يهدفون إلى إنشاء « دولة عبرية أو عبرانية » ، تقطع علاقتها تماماً بالتراث اليهودي . وقد ظل هذا الوضع قائماً حتى منتصف الثلاثينات . ثم تم تبني مصطلح « الدولة اليهودية » ، بسبب إمكانياته التعبوية الواضحة ، لكن بعد إنشاء الدولة ما تزال قضية الثقافة اليهودية تلاحق الصهاينة داخل « الوطن الصهيوني » وخارجه ، فكل مهاجر صهيوني يستوطن فلسطين يحضر معه من وطنه الأصلي ثقافته الحقيقية التي تعلمها ، ونشأ عليها ، بحيث تحولت « اسرائيل » إلى ساحة صراع بين هذه الحضارات المختلفة وقد تفاقم هذا الوضع وبحدة حينما وصل مؤخراً أعداد كبيرة من الفلاشا من الحبشة ، والفلاشا يتحدثون الأمهرية (لغة معظم أهل الحبشة) ، ويصلون باللغة الجميزية (لغة الكنيسة القبطية هناك) . وتذكر إحدى الصحف « الإسرائيلية » أن معلقاً إذاعياً إسرائيلياً سأل أحد المهاجرين عن اللغة التي يتحدث بها ، ويبدو أنه لم يكن قد سمع عنها قط من قبل ، ولذا طلب منه أن يكرر الإجابة ثلاث مرات ، قبل أن يستوعب كلمة

« أمهرية » ثم طلب منه أن يشرح معنى الكلمة !

لكن الصراع الأكبر هو الصراع الدائر بين ثقافة مؤسسي الدولة - الاشكناز - من جهة ، وثقافة « السفارد » (من المتحدثين باللادينو) واليهود المستعربين من جهة أخرى . فالثقافة المهيمنة في « المستوطن الصهيوني » هي الثقافة ذات الطابع « الاشكنازي » التي تسم المؤسسات الثقافية في « اسرائيل » بميسمها ، أما ثقافة « السفارد » فقد تم استبعادها على قدر المستطاع . فلا تذكر الكتب المدرسية شيئا عن إنجازات اليهود المستعربين داخل التشكيل الحضاري « الاسرائيلي » ، ولا عن إسهامات « السفارد » داخل تشكيل البحر الأبيض المتوسط بشكل عام . وعلى الرغم من أن اليهود « السفارد » والمستعربين يشكلون الآن أكثر من نصف سكان التجمع الصهيوني فإن التوجه العام ما يزال اشكنازيا غربيا .

ويرى بعض دارسي المستوطن الصهيوني أن ثمة « ثقافة جديدة » متميزة آخذة في الظهور هناك ، وعاؤها اللغة العبرية الجديدة ، وأن هذه الثقافة تتخطى الانقسامات القديمة ، وتتجاوز الثقافات المختلفة التي حملها المهاجرون معهم . ورغم أن مثل هذه الثقافة الجديدة ما تزال في طور التكوين ، باعتبار أن الاختلافات والانقسامات الثقافية ما تزال واضحة ، إلا أنه يمكن التسليم بأنه في إمكانية هذه الثقافة - من الناحية النظرية والمنطقية . إن لم يكن من الناحية الفعلية أيضاً - أن تظهر وتكتمل معالمها بمرور الزمن . ومع هذا يمكن أن نضيف التحفظات التالية :

١ - إن هذه الثقافة الجديدة ، ثقافة « الصابرا » - أي ثقافة الاسرائيليين المولودين على أرض فلسطين - ستكون ذات صبغة اشكنازية واضحة ، نظراً لاستبعاد « السفارد » (واليهود المستعربين) من مؤسسات صنع القرار ، ونظراً لأن صورة الذات في « اسرائيل » اشكنازية ، ونظراً لأن أجهزة الإعلام بإدارة « اشكناز » ينظرون للعالم بعيون اشكنازية ، ونظراً لأن الأشكال الأولى لهذه الثقافة قد تم صياغتها في غياب « السفارد » واليهود المستعربين .

٢ - حينما تكتمل هذه الثقافة بأشكالها المختلفة لن تكون « ثقافة يهودية » ، وإنما ستكون « ثقافة اسرائيلية » ، تعبر عن تجربة المستوطنين الصهاينة في فلسطين . وليس لها علاقة كبيرة بثقافات أعضاء الأقليات ، اذ سيظل هؤلاء داخل تشكيلاتهم الثقافية المختلفة ، يتفاعلون معها ، ويؤثرون فيها ، وتؤثر فيهم . ومن المعروف أن أعضاء جيل « الصابرا » لا يكنون كثيراً من مشاعر الاحترام والمودة نحو أعضاء الأقليات الذين تصفهم الأدبيات الصهيونية بأنهم شخصيات مريضة هامشية ، خانعة ، قابلة لحالة النفي كحالة نهائية . وقد حدا هذا بجورج فريدمان - عالم الاجتماع الفرنسي اليهودي - أن يسمي « الاسرائيليين » بأنهم أغيار يتحدثون العبرية ، أي أن مواقفهم ورؤاهم لا تختلف كثيراً عن مواقف غير اليهود ورؤاهم إلا في وعائها اللغوي .

٣ - لكن حتى هذا الوعاء اللغوي - أي العبرية التي ارتبطت دائماً بأعضاء الأقليات من الناحية الدينية ، وبأعضاء المستوطنين في كافة نشاطات حياتهم - قد بدأت تحيط به المشاكل . اذ كتب مواطن عربي في « اسرائيل » يسمى انطون شماس رواية بالعبرية ، تسمى «أرابيسك»، أثنت عليها الناقدة الإسرائيلية باتيا لوتان . وعبر الروائي الاسرائيلي « يهوشاوا » عن إعجابه بها ، وشبه كاتبها بالروائي الروسي نابوكوف الذي يكتب بالانجليزية . ويبدو أن الرواية - باعتبارها عمل فني جيد - ستفرض نفسها على الأدب العبري ، لكن كاتبها عربي فلسطيني غير يهودي ، أي أنه شخص لا يحمل عبء الوعي اليهودي ، وليس عضواً في القبيلة اليهودية - حسب قول لوتان - أي أن العبرية نفسها كوعاء يهودي قد انكسر على يد هذا الروائي العربي . □

الإقتراض الخارجي

أزمة المديونية في العالم الثالث

بقلم : نعوم ابراهيم عبود

« التنمية الاقتصادية التزام يقع على المجتمع الدولي كله ، فمن واجب الدول جميعا أن تساهم في العمل على خلق نظام اقتصادي جديد عادل ، تستطيع بظله جميع الأمم أن تحيا دون خوف أو حاجة أو بأس ، وأن تسمو الى مرتبة العضو الكامل في أسرة الأمم » .

تسعى البلدان النامية الطموحة ـ عقب حصولها على الاستقلال السياسي ـ لتحقيق تنمية اقتصادية سريعة ومتوازنة للقضاء على مظاهر التخلف الاقتصادي والاجتماعي . وقد تضطر الدولة بسبب ضعف قدرتها التمويلية من المدخرات المحلية الى الاستعانة بالقروض الخارجية التي تقوم عملها بسد الفجوة القائمة بين الاحتياجات الاستثمارية المستهدفة والمدخرات القومية المتاحة ، فالقروض الخارجية والخبرات الفنية وأشكال المعونات المالية وغيرها من الدول الصديقة تلعب دورا هاما في تسريع عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وبخاصة خلال المراحل المبكرة لهذه العملية .

ويتوقف على كيفية استخدام حصيلة القروض الخارجية مدى نجاح الدولة المقترضة في تخطيط مشاريع ناجحة للتنمية وتنفيذها ، يكون من شأنها تخفيف العبء الواقع على ميزان المدفوعات ، فكلما ارتفعت درجة إنتاجية مشاريع التنمية وكفاءتها زادت قدرة الدولة المقترضة على خدمة ديونها الأجنبية ، وتحمل أعبائها . ومع اطراد نجاح عملية التنمية التي لايمكن أن تتحقق تلقائيا ، والتي لا بد لها من جهد هادف ، وإرادة واعية مصممة تستطيع تدبيرها وتوجيهها ، لتجتاز البلاد النامية الطموحة مرحلة التهيؤ للانطلاق في تنميتها ، وذلك بزيادة الاعتماد على مواردها الخاصة ، وإمكاناتها الذاتية ، والقوة المتنامية لاقتصادها الوطني ، والاقلال ـ تدريجيا

بمقدار ثابت ـ من الاستعانة بالقروض الخارجية ، لتصل الى مرحلة الانطلاق التنموي ، وتوفر شروطه ، ومن تلك الشروط ارتفاع نسبة الدخل القومي المخصصة لأغراض الاستثمار المنتج ، وتحقيق الأهداف المنشودة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية للبلاد .

تفاقم مديونية الدول النامية

تزايدت المديونية الخارجية للدول النامية ـ دول العالم الثالث ـ بوتائر سريعة خلال الخمس عشرة سنة الماضية ، حتى غدت ـ في وقتنا الحاضر ـ تشكل أحجاما كبيرة جدا ، وباتت من الظواهر المقلقة التي تستقطب اهتمام المجتمع الدولي ، بسبب عجز عدد من الدول المقترضة عن تسديد الفوائد والاقساط المستحقة في أوقاتها ، واضطرارها الى « جدولة الديون » ، واللجوء الى المزيد من القروض الخارجية الجديدة ، لتسديد التزامات الديون القديمة ، واستخدام القروض في نفقات غير إنتاجية ، أو في مشاريع إقتصادية قليلة الجدوى ، وزيادة حدة العجز في موازين المدفوعات ، نتيجة قصور السياسات المالية والنقدية الحكيمة أو غيابها في بعض تلك الدول .

كل هذا أدى الى تطور مفزع في أرقام مبالغ القروض ، وزيادة المديونية الخارجية ، والى ارتفاع أعباء خدمة الديون (الفوائد + الاقساط) الى مستوى حرج لكثير من الدول النامية .

وتختلف أرقام المديونية الخارجية بين مصدر وآخر ، علما بأن المصدر الرئيسي لها هو تقارير البنك الدولي وصندوق النقد الدولي الذي يستقي معلوماته من الدول الأعضاء التي تستبعد عادة الديون العسكرية وبعض الديون الخارجية التي تدفع بالعملة المحلية .

وتشير تقارير البنك الدولي وبياناته إلى أن الديون الخارجية المتراكمة على الدول النامية ـ دول العالم الثالث ـ قد قدرت في عام ١٩٧٠ بمبلغ (٧٢) مليار دولار ، ووصلت الى (١٦١) مليار دولار في عام ١٩٧٤ ، ثم قفزت الى (٢٧٩) مليار دولار في عام ١٩٧٧ ، ثم الى حوالي (٨٢٨) ملياراً في عام ١٩٨٤ ، مع التنويه أن الديون الخارجية لمجموعة الدول الاسلامية قد وصلت في العام المذكور (١٩٨٤) الى حوالي (١٩٠) مليار دولار .

وفي احصائية جديدة تقدّر إجمالي مديونية دول العالم الثالث عام ١٩٨٦ بحوالي (٩٧٠) مليار دولار ، منها (٣٨٠) مليار دولار لديون أمريكا اللاتينية وحدها ، طبقا للبيان المشترك الصادر في أوائل عام ١٩٨٧ إثر الاجتماع غير العادي للمجموعة الاقتصادية لدول أمريكا اللاتينية ودول الكاريبي الذي عقد في (مكسيكو) بشأن الديون الخارجية لهذه الدول .

خدمة الديون الخارجية

يقصد بخدمة الديون مجموع الفوائد وأقساط استهلاك القروض المستحقة سنويا على الدولة المقترضة لتسديد ديونها تجاه دائنيها .

لقد بلغت خدمة الديون على بلدان العالم الثالث ككل (٢٢,١) مليار دولار في عام ١٩٧٤ ، وارتفعت بعد ذلك تباعا حتى وصلت الى ٧٦,٢) مليار دولار في عام ١٩٨٠ ، والى (١٢٥,٢) مليار دولار في عام ١٩٨٣ . وهذه المبالغ تشكل (١٤,٤٪) من قيمة صادرات هذه البلدان من سلع وخدمات في عام ١٩٧٤ ، ووصلت الى (١٧,٦٪) في عام ١٩٨٠ ، وارتفعت الى (٢٦,٨ ٪) في عام ١٩٨٣ ، علما بأن نسبة (١٥٪ الى ٢٠٪) تعتبر حدا أقصى ، ومؤشرا خطيرا لايجوز تجاوزه .

يقول (ادوار دو ويسنر) مدير ادارة نصف الكرة الغربي بصندوق النقد الدولي ـ وهو وزير مالية سابق في كولومبيا ـ بمقال له نشرته مجلة (التمويل والتنمية) التي يصدرها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ـ عدد مارس (آذار) ١٩٨٥ ـ ما يلي :

« إن القضية ليست في حجم الدين فقط - سواء حجمه المطلق أو بالنسبة للناتج المحلي الاجمالي - وإنما في ما اذا كان من الممكن خدمته . ويعني هذا مقارنة بين التزامات خدمة الدين - سداد أصل الدين والفائدة - وصادرات السلع والخدمات . وحتى اذا افترضنا أن أصل الدين لايسدد عادة وإنما يعاد تمويله فسيظل الوضع مع ذلك خطيرا » .

« ففي عام ١٩٨٣ كانت الأرجنتين تحتاج الى تخصيص (٥٤٪) من صادرات سلعها وخدماتها لدفع الفائدة على دينها الخارجي . والبرازيل الى (٤٠٪) والمكسيك الى (٣٥٪) لنفس العام » .

ويضيف (ادوار دو ويستر) في مقاله المذكور قائلا : « من المؤسف أنه لم يحسن دائما استثمار حصيلة القروض أو استخدامها في توليد العملة الأجنبية . أو لاستكمال المدخرات المحلية . والواقع أنه في بعض الأوقات قد تم تمويل الاستهلاك لا الاستثمار » .

ونتيجة لذلك ارتفعت ارتفاعا شديدا نسبة خدمة الدين الخارجي الى صادرات السلع والخدمات » .

لاشك في أن قدرة الدولة على خدمة ديونها الخارجية تحكمها عوامل مختلفة . منها : حصيلة صادراتها . وحجم وارداتها . واحتياطها من النقد الاجنبي . ومدى انتفاعها من استخدام القروض الأجنبية في مشاريع التنمية التي تثبت جدواها الاقتصادية . وقدرة المشروع الاستثماري على اعادة تسديد القرض الذي استعمل من أجله .

اعادة جدولة الديون

أدى ظهور مشكلة (أزمة المديونية الدولية) التي اخذت بالتفاقم بصورة ملموسة منذ عام ١٩٨١ الى طرح حلول لمواجهتها . من ضمنها الحل المعروف . وهو (إعادة جدولة الديون) كحل مؤقت قصير الأجل في إطار حلول اخرى طويلة الأجل . تعتمد بصورة أساسية على التعديلات الهيكلية في اقتصاديات الدولة المدينة .

إن حل (اعادة الجدولة) قد برز أساساً في السنوات الأخيرة . نتيجة غياب الحلول الفعالة الأخرى التي يمكن استخدامها لمواجهة الأزمة الحالية للمديونية الدولية أو قصور تلك الحلول . وهذا الحل ليس جديدا . فقد كان مستخدما منذ مدة طويلة . وقد تكرر استخدامه في فترات سابقة على الحرب العالمية الأولى وبعدها .

وتعني إعادة (جدولة الديون الخارجية) لأي مقترض تأجيل فترة سداد الأقساط المستحقة أو التي ستستحق من أصل الدين فترة محدودة . بشروط جديدة . تهدف - أساسا - للتغلب على نقص السيولة لدى المدين التي تؤدي الى عدم قدرته على القيام بأعباء خدمة الدين المستحقة . أو التي تستحق في الأمد القصير . ولمنح الوقت للدولة المدينة لاعطائها فرصة للبدء في عملية التصحيح الاقتصادي الهيكلي ذات الاثار الطويلة الأجل وتعتمد عملية (إعادة الجدولة) على المفاوضات المباشرة بين المدين ودائنيه أو ممثليهم . أو من خلال هيئات دولية وسيطة . مثل نادي باريس . وصندوق النقد الدولي . وغيرهما

وغني عن البيان بأن (إعادة الجدولة) لاتخفض مديونية البلد أو أعبائه المالية . بل قد تزيدها نتيجة الاقتراض الجديد . أو نتيجة للشروط الجديدة المفروضة على البلد المدين في اعادة الجدولة . وهكذا تصبح (الجدولة) تأجيلا لمأزق . بل إنها أحيانا تدفع البلد المقترض الى مأزق جديد . فيما اذا فرضت عليه شروط جديدة غير ملائمة عند إعادة الجدولة .

لذلك يجب عدم اللجوء الى (الجدولة) إلا كحل أخير . رغم أنه بديل موجود وممكن منذ البداية . بما يتطلب تجهيز ما تتطلبه عملية (إعادة الجدولة) من معلومات واتصالات وتقدير تكاليف بالنسبة للبدائل الاخرى المطروحة ضمن الحلول المقترحة لأزمة المديونية الدولية

إن (اعادة جدولة الديون) ما هو الا حل قصير الأجل كما أوضحنا آنفا . هدفه توفير بعض الوقت

للبلد المدين ، حتى يتمكن من ترتيب أوضاعه الداخلية لمواجهة (أزمة مديونيته الخارجية) بالحلول الناجعة المعروفة الواجب اتباعها والتي منها :

١ ـ إعادة دراسة وتحليل الوضع الاقتصادي والمالي للبلد وتحليله ، بهدف كشف الخلل في جوانبه المختلفة ، وتقويمه بالشكل الذي يلائم ظروف البلد وأهدافه ، وإمكاناته ، وفي ظل رؤية شاملة للأمور ، وإدارة حكيمة حازمة .

٢ ـ رسم سياسة رشيدة ومرنة لعلاج الاختلاف في ميزان المدفوعات ، وتخفيض عجزه ، والسعي لجعل معدل نمو الصادرات أعلى ـ ولو بقليل ـ من معدل نمو الواردات ، وتحسين ميزان المدفوعات بوضع خطة سليمة للتجارة الخارجية ، تكون مندمجة متكاملة مع خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلد .

٣ ـ زيادة الاعتماد على الموارد المحلية وامكانيات البلد الذاتية ، واستخدام المدخرات الوطنية ، والقروض الأجنبية ذات الشروط الميسرة ، في مشاريع التنمية التي تثبت جدواها الاقتصادية .

٤ ـ مواكبة التطور في التركيب الهيكلي لقوة العمل لمتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في البلد ، من حيث أنواع المهارات والاختصاصات والمستويات التعليمية والتدريبية اللازمة لتحقيق زيادة الانتاج بأعلى كفاءة اقتصادية .

لاشك أن تفاقم (أزمة المديونية الخارجية) وبالشكل المرعب الذي وصلت اليه ، وكادت أن تعصف بعدد من دول العالم الثالث قد أرغمت هذه الدول أن تلجأ الى إعادة جدولة الديون ، والى اتباع الحلول الأخرى التي نوهت ببعضها سابقا ، لمواجهة أزمة مديونيتها ، ولمواصلة عملية التنمية ، ولوقف تدهور مستوى معيشة السكان .

وقد انطلقت صرخات عالية من قبل معظم قادة العالم الثالث ، تطالب بتخفيض أسعار الفائدة الحقيقية على الديون ، وتعديل شروط صندوق النقد الدولي ، ووضع حدود معقولة لخدمة الدين ، وشرع بعضهم في طرح المطالبة بإعفاء الدول النامية من ديونها المستحقة ، وبخاصة الفقيرة منها ، وأن يتحمل الدائنون الخسارة نتيجة لذلك الاعفاء .

وترددت هذه المطالب أو الأماني في مؤتمر القمة الافريقي الذي انعقد في « أديس أبابا » في يوليو (تموز) ١٩٨٦ ، وفي قمة (هراري) لمجموعة دول عدم الانحياز التي انعقدت في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦ ، وكذلك برزت في اعلان (قرطاج) لمجموعة دول أمريكا اللاتينية ، وقد صرح مؤخرا رئيس جمهورية (البيرو) ـ آلان غارسيا ـ أنه من أجل حل مسألة المديونية ينبغي على بلدان أمريكا اللاتينية أن ترفض ضغوط صندوق النقد الدولي ـ وأضاف قائلا : إن التاريخ نفسه يدفعنا الى الاتحاد واتخاذ قرارات موحدة بهذا الشأن .

ومنذ مدة قريبة اعلن في (مكسيكو) تأسيس جبهة موحدة لبلدان أمريكا اللاتينية . من الأهداف الرئيسية هذه المنظمة الحديثة النضال من أجل إقامة نظام اقتصادي جديد ، وإيجاد حل عادل لمسألة تسديد الديون الخارجية .

وإني مع القائلين على بقية الدول النامية ـ دول العالم الثالث ـ أن توحد جهودها مع دول أمريكا اللاتينية ، للوقوف في وجه ضغوط الدول والجهات المقرضة ، والتعاون معا لايجاد مخرج عادل ومشرف لأزمة (المديونية الدولية) التي أصبحت قضية ساخنة مرعبة في عصرنا الحاضر ، وذلك من خلال إعادة تنظيم العلاقات الاقتصادية الدولية . □

■ الجميع أمام المال من دين واحد .

(فولتير)

العربي
أكتوبر ١٩٨٧

استطلاعات

البحرين
ساعة لربك وساعة لقلبك
سليمان مظهر

اليمن الشمالي: مشاريع على طريق التنمية
صادق ديلي

لوحات "روبرتس" تحط رحالها في الكويت
عبدالغني عبدالله

واقرأ أيضاً للكتاب

د. محمد الرميحي - فتحي رضوان - فهمي هويدي - محمد الشارخ
فاروق شوشة - د. كمال زاخر لطيف - عبدالسميع المصري - يوسف طافش



اللعاب

في الصحة والمرض

بقلم : الدكتور محمد الكبرا

لا نتعمق في أي وظيفة من وظائف الجسم إلا ونجد فيها عظمة الصنع ، والدقة في أداء العمل . وعلى هذه الصفحات سنستكشف أهمية اللعاب ، ووظيفته الهامة التي يقوم بها .

إن الغدد الفارزة للعاب إما ان تكون غددا كبيرة أو صغيرة . والغدد الكبيرة مؤلفة من ثلاثة أزواج ، وهي الغدتان النكفيتان ، والغدتان تحت الفك ، والغدتان تحت اللسان وهي تفتح جميعا على باطن الفم . أما الغدد الصغيرة فمؤلفة من مجموعة خلوية غدية عنبية موزعة في الفم والبلعوم والحنك والشفتين .

١ - الغدة النكفية : وهي أكبرها وموضعها تحت مجرى السمع الظاهر وأمامه ، وعلى القسم الصاعد من الفك السفلي ، وهي غير منتظمة ، هرمية الشكل تقريبا ، تنقسم إلى قسمين ، قسم سطحي ، وقسم عميق ، تمر بينهما فروع العصب الوجهي ، وتخرج من الغدة قناة مفرغة للعاب تسمى قناة (ستينون) ، حيث تسير في باطن الخد ، وتنفتح داخل الفم مقابل

الرحى الثالثة العلوية .

الغدة تحت الفك : يقدر حجمها بنصف حجم الغدة النكفية ، وهي تحتل المسافة بين الحافة السفلية للفك السفلي بقرب زاويته السفلية والعظم اللامي [illegible] ، وتخرج من الغدة قناة تسمى قناة وارطون ، تسير إلى الأمام ، وتفتح من خلال الغشاء المخاطي لأرض الفم جانبياً من الخط المتوسط .

الغدة تحت اللسان : وهي أصغر غدة ، يقدر حجمها بنصف حجم الغدة تحت الفك ، وتوجد على طول القسم الأمامي الوحشي - (أي البعيد عن الخط المتوسط) - من أرض الفم تحت الغشاء المخاطي مباشرة ، لها عدة أقنية مفرغة ، أكبرها تسمى قناة ريفينوس اوبارتولان . وتفتح في ذروة الحليمة اللسانية .

كيفية تشكل اللعاب وإفرازه :

يتشكل اللعاب من حصيلة ثلاثة أمور :

١ - يرشح من الدم إلى خلايا الغدة الماء ، والشوارد ، وبعض الجزيئات ، وتقوم الخلايا العنبية بتخزينها .

٢ - تقوم الخلايا العنبية بصنع بعض المواد الموجودة في اللعاب ، مثل خميرة الأميلاز والمخاطين والغلوبيولينات المناعية ، وتفرزها إلى القناة الأنبوبية مع ما وصل إليها من الدم .

٣ - تقوم القناة الأنبوبية بامتصاص بعض المواد المفرزة ، وذلك كي تحصل على لعاب منخفض التوتر ، ثم تطرح بعد ذلك للقناة الرئيسية للاطراح .

تقع الغدد اللعابية تحت تأثير الضبط العصبي ، فالإفراز اللعابي له منعكس بطريق صادر وآخر وارد ، وهذا المنعكس ضروري لكي يكون الإفراز اللعابي سريعا ، حيث أن الطعام يبقى فترة قصيرة في الفم ، وبالتالي فمن الضروري أن يكون الإفراز سريعا ، فالضبط العصبي للغدد يؤمن هذه السرعة ، ولولاه لانقطع اللعاب ، وأصاب الغدد اللعابية الضمور .

العوامل المؤثرة على إفراز اللعاب :

١ - الإفراز الراحة أو الأساسي : إن الحفاظ على الليونة والسطح الرطب للغشاء المخاطي للفم والبلعوم يعتمد على الإفراز المستمر لكمية قليلة من اللعاب ، وهذا الإفراز يخدم أيضا في التنظيف والفعالية المضادة للجراثيم ، ويعتبر واحداً من عناصر آلية العطش ، وهذا الإفراز لأهمية أيضا خلال فترات تناول وجبات الطعام ، وأثناء النوم ، وهذا النوع من الإفراز اللعابي يسمى بإفراز الراحة أو الأساسي .

وتفرز الغدة تحت الفك كمية أكبر مما تفرزه النكفية بثلاث مرات أثناء الراحة ، والغدة تحت اللسان تفرز أقل من ٥٪ من الإفراز الكلي ، وينقص إفراز الراحة أثناء النوم ، وبالتمارين الشديدة والشد الفكري ، والخوف . إن حركات الفم والفك (تثاؤب - بلع) تحدث زيادة عابرة في إفراز الراحة ، ثم ينقص بعد ذلك ، وربما تعود الزيادة إلى الضغط الآلي على الغدة أو بتنبيه انعكاسي للآلية القابضة في الغدة . وإن هذا الإفراز (الأساسي) يحدث بسبب انعكاسي بجفاف الفم والبلعوم ، وبعض الخلايا الإفرازية ربما تفرز دون التأثر بعوامل عصبية أو خلطية ، كما أن الغدد الصغيرة لها خاصية الإفراز التلقائي أثناء الراحة .

٢ - الإفراز بالتنبيه : يحدث هذا الإفراز استجابة لعدد من المنعكسات وهي :

الإفراز اللعابي بالاستجابة إلى تناول الطعام ، وهذا الإفراز ناجم عن مجموعة من المنعكسات تحدث بشكل متلاحق وهي :

١ - إفراز بالمنعكس الشرطي بالاستجابة للتفكير والنظر والشم .

٢ ـ المنعكس الإفرازي الطبيعي المثار بالمضغ .

٣ ـ الاستجابة لمنعكسات تنبيه مستقبلات الذوق ومستقبلات اللمس الفموية .

٤ ـ إفراز بتأثير المنعكس البلعومي المريئي اللعابي .

٥ ـ إفراز بتأثير المعدي اللعابي أثناء مرور اللقمة الطعامية إلى المريء والمعدة . ويحدث عن تنبيه مخاطية المريء أو المعدة منعكس سيلان لعابي ملحوظ بشكل جيد ، وبلع اللعاب يثير الحركات الحيوية للمريء الذي يساعد بدوره على انزلاق اللقمة الطعامية إلى المعدة .

إن مجموع ما يفرز من اللعاب يتراوح بين ٠,٥ ـ ١,٥ لتر يوميا ، ومعظمه يفرز أثناء وجبات الطعام .

ويفرز منه أثناء الراحة معدل ٢٠ مل/ ساعة .

وقد وجد أن هناك مادة في اللعاب تحرض على الإفراز اللعابي لو تم حقنها في الدم .

الأدوية المؤثرة على الإفراز اللعابي :

من خلال دراستنا لآلية إفراز اللعاب وجدنا أن الأدوية المؤثرة على إفراز اللعاب قد تكون مثيرة أو مثبطة للإفراز . وهذه الأدوية تعمل في أماكن مختلفة على طول الطريق العصبي للغدد اللعابية ، وتنقسم كالتالي :

١ ـ الأدوية المنبهة للمستقبلات المحيطية :

السكروز ، ومحاليل حمض الليمون ، وحمض الخل ، والقلويات اللاذعة ، تزيد إفراز اللعاب ، بتنبيهها مستقبلات الذوق .

كما يزداد الإفراز في حال التسمم بالرصاص ، والتدخين ، وبعض المخدرات كالإيتر ، والكلوروفورم ، والسيكلوبروبان ، إذا طبقت موضعيا ، وذلك بتخريشها مخاطية الفم .

كما أن الليغنوكايين Lignocaine ، والكوكائين ، ينقصان الإفراز ، بتخديرها الموضعي .



٢ ـ الأدوية المؤثرة مركزيا :

إن الاستركنين Strichnine والبيروتوكسين Picrotoxine والكوكايين Cocaine والرزربين Reserpine تزيد الإفراز اللعابي . وكذلك الأدوية المسببة للغثيان ، والقيء ، وهذا يحدث بشكل انعكاسي ، أو بتأثير مركز التقيؤ في البصلة السيسائية أو بإثارة منطقة المستقبلات الكيماوية للتقيؤ في البصلة ، ومن هذه الأدوية المورفين ، والأبومورفين ، وديجتال ، أما المواد المخدرة فتنقص الإفراز بتخديرها منعكسات اللعاب .

٣ ـ الأدوية المؤثرة على النهايات العصبية اللاذاتية للغدد اللعابية :

أ ـ الأدوية المقلدة لنظير الودي : تزيد هذه الأدوية الإفراز بشكل غزير ، ومنها الاستيل كولين والبيلوكاربين Pilocarpine والميكوليل Mecholyl والأدوية المضادة لخميرة الكولين استراز .

ب - الأدوية الحالة لنظير الودي : وعلى رأسها الاتروبين والاسكوبولامين Scopolamine .

جـ - الأدوية المقلدة للودي : وهذه الأدوية تحدث الإفراز أقل بكثير مما تحدثه الأدوية المقلدة لنظير الودي ، ومنها الأدرنالين ، وأفدرين ، وايزوبرتالين ، وامفيتامين .

٤ - أدوية مؤثرة على الجهاز العصبي الذاتي مثل : المخدرات العامة ، والباربيتورات ، ومضادات الهستامين ، وهذه أدوية تنقص اللعاب بتأثيرها المثبط للجملة العصبية المركزية .

وآلية عمل الجهاز الدفاعي في اللعاب ضد الجراثيم هي :

أ - يقوم اللعاب بعمل آلي صرف في إزالة الجراثيم من الأسنان وغاطية الفم ، وتحمل هذه في معلق ، ثم تبتلع ، لتقتل في عصارة المعدة الحامضة

ب - إن الكريات البيضاء في اللعاب يمكن أن تبلعم الجراثيم بواسطة بالعاتها ، وتحطمها بواسطة خمائرها .

جـ - إن اللوكوتاكسين LEUCOTAXIN في اللعاب يحدث انجذابا كيماويا للكريات البيض ، لتهاجر إلى اللعاب ، ولتقوم بعمل البلعمة للجراثيم ، وهذا يحدث بشكل خاص إذا كان هناك رض في مخاطية الفم .

د - إن الأوبسونين OPSONINS موجودة في اللعاب ، وتزيد من قابلية الكريات البيض على فعل البلعمة

هـ - الأجسام الضدية وعلى رأسها الغلوبيولين المناعي I g A ، وهو جسم ضدي ، يعمل بشكل عام على مقاومة الجراثيم التي على سطح الغشاء المخاطي ، وحلها وتفليقها .

تركيب اللعاب .

١ - العناصر غير العضوية

إن الشوارد الرئيسية في اللعاب هي الصوديوم ، والبوتاسيوم ، والكالسيوم ، والمغنزيوم ، وترافقها شوارد الكلور ، والبيكربونات ، مع كمية قليلة من الفوسفات ، والسلفا ، كما أن هناك كميات ضئيلة جدا من التيوسياتات ، واليود ، والأزوت ، والفلور .

إن مستوى هذه الشوارد يتأثر بمصدر اللعاب ، والجنس ، والعمر ، ومعدل الإفراز ، ونوعية المنبه ، وتركيز هذه الشوارد في المصل ، والغذاء ، وحالة المرض .

واللعاب بتركيبه قريب من تركيب السائل داخل الخلايا من حيث نوعية شوارده .

٢ - العناصر العضوية

إن اللعاب يحتوي على حوالي ٣٠٠ ملغ/ ١٠٠ مل من البروتينات ، وكمية البروتين في اللعاب تحدد صفات اللعاب من حيث اللزوجة واللصوقية ، كما تختلف نوعية البروتين من غدة إلى أخرى ، فكمية الاميلاز الكبرى من الغدة النكفية ، بينما المخاطين (البروتين المخاطي) من الغدة تحت الفك

ولكن اللزوجة الكبيرة تعود للعاب الغدة تحت اللسان ، حيث مقدار اللزوجة ١٣,٤ ، وللعاب الغدة تحت الفك مقدار ٣,٤ ، وللغدة النكفية مقدار ١,٥ ، وذلك يعود إلى كمية المخاطين فيه ، وعدا عن البروتينات المخاطية والاميلاز هناك أنزيمات أخرى ، ذات تركيب بروتيني ، مثل الغلوبيولين المناعي أوج IgA و IgG . والـ IgA . وتركيزه في اللعاب أعلى بعشرة أضعاف منه في الدم ، وهذا يدل على صفة في الغدد اللعابية ، ومن الأنزيمات الفوسفات القلوية ، والحامضة . والليباز ، وبيروكسيداز ، وكاليكرين ، ودي هيدروجيناز ، وكاربونيك انهيدراز ، ولاكتوبيروكسيداز ، ولاكتوفررين .

كما يرشح في اللعاب البولة ، وحمض البول ، وهو يعكس مستويها في الدم ، أما الجلوكوز فلا يزداد مع زيادته في الدم .

وظائف اللعاب :

إن كل ما تحدثنا عنه جاء ليسهل علينا فهم كيفية قيام اللعاب بوظائفه ، فالآلية التي يفرز فيها اللعاب ، وطبيعة تركيبه لم تكن كذلك إلا لتخدم وظيفة على اللعاب أن يقوم بها .

ووظائفه كثيرة ، نستعرضها فيما يلي :

أ ـ وظيفة اللعاب في الحفاظ على صحة الفم :

يقوم اللعاب بوظيفته هذه بالطرق التالية :

١ ـ الترطيب : إن اللعاب يبقي مخاطية الفم والبلعوم رطبة ، وهذا مهم لصحة الفم . ولولا ذلك لحصل جفاف ، وتقشر في المخاطية . مما يؤدي إلى غزو الجراثيم .

٢ ـ التليين للمضغ والبلع : إن اللعاب يلين الطعام ، ويطريه ، ويسهل ذلك في فعل المضغ ، وحركات اللسان ، وفي تشكيل اللقمة الطعامية الطرية ، ليسهل انزلاقها في المريء .

٣ ـ التليين للكلام : إن ترطيب الفم وتطريته أساسي للكلام . وإن الحركات المشتركة للسان والشفتين لإنتاج الأصوات يتطلب ذلك . فلولاه لما حصل كلام واضح . وإن الكلام الطويل أيضا يحتاج إلى رشفات متكررة من الماء . بسبب التبخر الكبير للعاب أثناء الكلام .

٤ ـ دور المخاطين : إن هذه المواد تلعب دورا هاما في تنظيف الفم وتليينه . وتمنع تراكم بقايا الطعام ، والأنقاض الخلوية ، والجرثومية . عدا عن أنها تسهل حركات الشفتين والخدين واللسان ، وتنقص من معدل تبخر الماء من اللعاب . كما أنها تثبط عمل بعض الخمائر الحالة للبروتين ، ولها دور في الخاصية الدارئة للعاب .

٥ ـ التمديد والتبريد والتسخين : إن اللعاب يسيل بغزارة كبيرة عند تناول المحاليل . وبخاصة الحامضة ، فيعدل من حموضتها ، ويمنع فعلها المؤذي . كما أنه يسخن الطعام البارد . ويبرد الطعام الساخن .

٦ ـ الفعل الدارىء : أي أنه يحافظ على التوازن الحامضي القلوي ، ويمنع أو يخفف أي تغير ملحوظ في نسبة شوارد الهيدروجين الموجودة في المحاليل ، (وهي التي تحدد نسبة الحموضة والقلوية P H) ، وهي التي قد تؤذي مخاطية الفم . وقد تؤثر على عمل خمائر اللعاب ونشاطها ، وكذلك الحفاظ على هذا التوازن مهم للمحافظة على الزمرة الجرثومية الطبيعية للفم ، وحتى لا تحدث النخرات السنية . وتتطور وإن البيكربونات هي الدارئة الكبيرة في اللعاب ، كما أن للبروتينات المخاطية (المخاطين) ، والفوسفات دورا صغيرا في ذلك الفعل الدارىء .

٧ ـ الفعالية المضادة للنخرة السنية : لقد لوحظ أن إزالة الغدد اللعابية عند الفئران تسبب لها زيادة ملحوظة في النخرة السنية . وهذا يحدث عند الإنسان عندما ينقص إفراز الغدد اللعابية بشكل كبير . ويقوم اللعاب بحماية الإنسان بعدة سبل .

أ ـ يقدم بعض المعادن لتغذية السن قبل بزوغه .

ب ـ الكالسيوم وفوسفات اللعاب يعملان على منع انحلال السن .

جـ ـ تتشكل طبقة من البروتينات السكرية اللعابية ـ تسمى اللويحات PLAQUE ـ تنقص أثر الاحتكاك الحادث بالتخريش والخ .

٨ ـ الفعالية المضادة للجراثيم : إن الجراثيم التي توجد بشكل طبيعي في الفم كثيرة جدا . فالوسط الحار الرطب داخل الفم ملائم لنمو الجراثيم . كما أن اللعاب يحتوي على أحماض أمينية وبعض المواد الازوتية الأساسية لنموها . كما أنه يسمح لها بالدخول إلى الفم أثناء تناول الطعام ، وأثناء التنفس عن طريق الفم . لذلك فبقدر ما تكون الجراثيم الموجودة في الفم والداخلة كثيرة بقدر ما يجب أن يكون الجهاز الدفاعي ضد الجراثيم قويا . وهذا ما هو موجود فعلا في اللعاب . حيث أنه يثبط نمو الجراثيم . ولا تحدث التهابات كثيرة في الفم وأسنانه . □

هل كان الرجل المريض

بقلم : فتحي رضوان

في الأيام القليلة الماضية . حدثت هجمة على إحدى القرى التركية . وكان المهاجمون من أفراد منطقة مجاورة . فجرحوا وقتلوا أكثر من ثلاثين شخصا من بينهم النساء والأطفال والشيوخ . وقد وصفت أنباء هذه المذبحة تأثر الأتراك . ولكن زاد من حزنهم أن تعليقات وكالات الأنباء الدولية كانت مشوبة بنغمة شماتة . فقد ذكّروا الأتراك بما اقترفته أيديهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من مذابح في البلاد التي كانت خاضعة آنذاك لحكم الأتراك . كمنطقة الأرمن والبلغار واليونان والصرب ورومانيا . وقد تذكرت هذه المذبحة الشرسة . وما صاحبها من تعليقات صحف الغرب . ذكريات الحملة التي تضمنتها دول أوروبا الغربية مثل بريطانيا وفرنسا والتي انضمت إليها روسيا ضد تركيا . وكان هدف هذه الحملة التي اتسع نطاقها . وتنوعت وتعددت وسائلها . تشويه صورة تركيا . وإظهارها في صورة الدولة الهمجية التي تسرع بالمدفع والبندقية وتضحي في حكمها بأعدائها من المسيحيين . والتي تفككت وتصدعت وتدهورت أجهزة حكمها .

وتوقفت المدارس والمعاهد عن التعليم . والمحاكم عن القضاء العادل . وتوقف موظفوها عن أداء واجباتهم لتدني مستواهم . وانعدام تدريبهم . وحرصهم الشديد على اقتضاء الرشوة والحصول على الثراء بعضها ابتزازا من الرعايا . سواء كانوا مواطنين تابعين للدولة أو كانوا من غير المقيمين ولقد تواصى كتاب الغرب . وصحفيوهم . ومؤرخوهم على استعمال ، نعت : لتركيا إمعانا في النكاية . ومبالغة في التشهير . راح علما على تركيا . ذلك هو لقب ، الرجل المريض ، في أوروبا أو ، رجل أوروبا المريض ، وقد استعمل هذا اللقب أول ما استعمل في النطاق الدبلوماسي الضيق ، أي في المراسلات بين رؤساء الدول وسفرائهم ، ورؤساء الدول وزملائهم أو مندوبي الدول في مؤتمراتهم المغلقة أو مؤتمراتهم الخاصة . فلا يقول سفير روسيا في لندن مثلا للقيصر : إن تركيا قالت أو فعلت . بل يقول قال الرجل المريض أو فعل الرجل المريض . فيفهم المرسل إليه من المقصود بهذا اللقب .

ثم خرج هذا اللقب من النطاق الخاص الى نطاق واسع قليلا ، فأصبح الحديث في قاعات (البرلمانات) وخارجها يدور على الرجل المريض بغير حاجة الى تعريف ، ثم تلقف بعض المؤرخين ذوى القيمة والاعتبار هذا اللقب ذاته ، فأطلقه باعتباره اصطلاحا علميا من قبيل أن تسمى الارض (البسيطة) أو الشمس (الجوزاء)

القيصر مبتدع التسمية

ويقال أن أول من اطلق لقب الرجل المريض هو قيصر روسيا نيقولا الاول (١٨٢٥ ـ ١٨٥٥) وذلك في حديثه مع اللورد ابردين رئيس وزراء بريطانيا . ـ وكانا صديقين حميمين ـ في قصر وندسور أثناء حديث متبادل . الا أن الرجل نفسه فقد قدرته على ضبط النفس في لحظة غضب ، فقال لأحد محدثيه سنة ١٨٣٣ « ليس في استطاعتي أن أبعث الحياة في الموتى . ان الدولة العثمانية دولة ميتة . ولا أظن ان هذا الجسم العجوز سيقوى على المحافظة على الحياة . إنه في حالة انحلال في جميع النواحي » .

ولم يكن قيصر روسيا بطبيعته مؤرخا ولا دارسا عن تخصصوا للحكم على الدول ،إنما كان يقوم بهذه الحملة توطئة لتوزيع الممتلكات العثمانية اشلاء بينه وبين امبراطورية بريطانيا . وقد عرض فعلا آنذاك أن تأخذ بلاده الاستانة .وتأخذ من المضايق التركية البسفور وتأخذ بريطانيا الدردنيل . وتحتل بريطانيا مصر وتأخذ كريت إن شاءت الى اخر هذه القسمة .

ولم تكن الحملة التي شنتها أوروبا في قسوة وضراوة ، وفي إصرار ومواظبة ، ضيقا بجسم فقد الحياة يعترض سبيل سيرهم ، بل كان الواقع انهم هم الذين فعلوا كل شيء في وسعهم ليثخنوا الدولة العثمانية جراحا ، وكان يسرهم أن يروا الدم ينزف من هذا الجسد الذي كان مليئا بالحيوية ، فياضا بالقوة . والذي بسط نفوذه على كل شرقي اوروبا ، والذي هددت جحافله بغزوة ساحقة لفيينا عاصمة النمسا ، وكانت آنذاك امبراطورية مترامية الافاق ، ذات شهرة ضخمة ، وكان اسمها امبراطورية النمسا والمجر يملأ الاسماع. وكان شرقي آسيا وشمال افريقيا وجزر البحر الابيض كلها من ممتلكات الدولة العثمانية تديرها بكفاية واقتدار . وقد بذل الغرب كل جهد ، وتوسل بكل وسيلة ليحول الامبراطورية العثمانية بملكها الشاسع في البر ، واساطيلها الماثلة في البحر الابيض الى خبر كان ، وتعجلوا الامر يأمل أن تلفظ الدولة العثمانية انفاسها وتستسلم للموت واعتبر وهارجلا مريضا ، عاجزا عن الدفاع عن نفسه ، مستسلما لضربات القدر التي توالت عليه بشكل ثورات في شرق اوروبا ، واضطرابات في الاقطار العربية ، ومؤامرات ومكائد ودسائس في المحافل الدولية .

هل كان مريضا حقا ؟

ولكن هل كان الرجل المريض مريضا ، أم أنه كان ـ على الرغم من كل المصائب والمحن ، والمكائد ـ انسانا متمتعا بالقوة والقدرة على المناورة والمداورة والقتال والنزال . . ؟!

سنأخذ موضوع فلسطين والرغبة في الانقضاض عليها ، واقتطاعها هدية للصهيونية التي بدأت تطل برأسها في أخريات القرن التاسع عشر . . فماذا فعل الرجل المريض في هذه المكيدة الجديدة ؟

بادىء ذي بدء ، لما فتح السلطان سليم الأول مصر عام ١٥١٧ أصدر فرمانا (أي قانونا) يمنع هجرة اليهود الى سيناء . ولما تولى سليمان القانوني عرش الدولة العثمانية سنة ١٥٢٠ أصدر فرمانا (قانونا) ثانيا بتأكيد حكم القانون السابق . وبعد وفاة سليمان القانوني بعد ست وأربعين سنة من الحكم خلفه سلاطين ضعاف فتنفس اليهود الصعداء فنزحوا في هجرات متقطعة الى سيناء ،وأدركوا أن

الفرصة سانحة لهم لتحقيق حلمهم القديم . وقد ركزوا هجراتهم أول الامر على الاستيطان في مدينة الطور . تزعم حركة الهجرة الى الطور طبقا لوثائق ذلك العصر ابراهيم اليهودي . استوطن ابراهيم هذا مع اولاده وباقي أفراد أسرته مدينة الطور وكان من الممكن أن تستمر هذه الهجرة لمدة سنوات في غفلة من السلطات ، لولا أن اليهود حين استقر بهم المقام في الطور تعرضوا بالأذى لرهبان سانت كاترين الذين بدأوا يشكون كتابة وشفاها ، وجاءوا الى مصر . وكانت شكاياتهم تقوم على أن دير سانت كاترين هو مكان مقدس فلا يسوغ أن يتعرض لهم بالاذى أقوام وافدون ليسوا من أهل المنطقة ولا صلة لهم بها ، وان هجرة اليهود الى هذه المنطقة بصورة ملفتة للنظر مما يدل على أنهم ينوون أمرا . واهتمت السلطات العثمانية فأصدرت ثلاثة قوانين مانعة لليهود من الهجرة الى سيناء . وقد تلا ذلك إخراج ابراهيم اليهودي من سيناء وصدر قانون سد باب التحايل في وجه هجرة اليهود مقررا أن زيارة السائح لسيناء لا يجوز أن تزيد عن ثلاثة أشهر حتى لا يكون السفر بقصد السياحة سبيلا الى الاستيطان.

بعد الاحتلال البريطاني

ولكن الايام تغيرت واحتلت بريطانيا مصر سنة ١٨٨٢ فتشجع اليهود بنظام الحكم الجديد ولا سيما بعد أن بقي السلطان التركي عبد الحميد الثاني . على اتباع سياسة تركيا القديمة القائمة على منع هجرة اليهود الى فلسطين . فشمر زعيم الصهيونية ومؤلف كتاب الدولة اليهودية عن ساعد الجد . وتصور أنه قادر بما ورائه من نفوذ الغرب . وأموال الصهاينة وضغوط دوائر المال والاقتصاد على أن ينتزع من سلطان تركيا قرارا بفتح باب الهجرة الى فلسطين امام اليهود وقد دخل هرتزل فعلا في مفاوضات مع بعض أعضاء الوزارة البريطانية . وكان منهم جوزيف تشمبرلن وزير المستعمرات واللورد لانسدون وزير الخارجية لتوطين اليهود في سيناء على أساس إقامة دولة يهودية فيها تتمتع بالحكم الذاتي في نطاق الامبراطورية البريطانية . ووافق الوزيران على الاقتراح من حيث المبدأ . وكان ترحيب هذين الوزيرين بهذا الاقتراح أساسه أن الدولة اليهودية ستتولى حماية قناة السويس ، وعزل مصر عن الولايات العربية في الدولة العثمانية واضعاف الدولة العثمانية بوضع شوكة في جنبها تزداد مع الايام كبرا ، وتأديبا لدولة الاتراك على تقاربها من الالمان

وبعد مفاوضات طالت تألفت لجنة من ثمانية أعضاء قال الانجليز انهم يمثلون مصر ، مع أن الدكتور عبد العزيز الشناوي يقول أنه ليس في أسماء هؤلاء الأعضاء اسم واحد يتفق مع الاسماء المصرية . وكانت مهمة اللجنة تهيئة أسباب توطين اليهود في سيناء وانشاء مجالس بلدية يهودية في أنحاء سيناء وانتهت اللجنة الى أن سيناء تصلح لتوطين اليهود ، واقترحت أن تكون العريش هي البداية وكان صدور قرار هذه اللجنة في سنة ١٩٠٣ وكان من بين شروط إقامة هذه المدينة أن تجلب مياه النيل الى سيناء . ولكن جاء الانقاذ من رجل بريطاني هو اللورد كرومر الذي كان معتمد بريطانيا في مصر بصفة قنصل عام . لأن المياه المطلوبة من النيل تؤثر على المساحة المزروعة في مصر وأرسلت الحكومة البريطانية مذكرتين آخرها كانت بتاريخ ١٦/ ٧/ ١٩٠٣ أنهت فيها الى هرتزل أن حكومة بريطانيا عدلت عن مشروع إنشاء دولة في سيناء لليهود

عندها استدار هرتزل الى السلطان عبد الحميد للضغط عليه بكل وسيلة متاحة لحمله على الموافقة على المشروع الصهيوني . وكان السلطان عبد الحميد يجسد بشخصه وبمظهره وبما ينسب إليه وينسب له الرجل المريض تماما ونصادف أن اليهود تعرضوا لموجة من الاضطهاد والتعذيب في روسيا . وكانت

السلطات الروسية قد انتهزت فرصة اغتيال القيصر اسكندر الثاني فاتهمت اليهود في قضية اغتياله ، وساقتهم مئات بعد مئات الى السجون ، حيث عانوا عذابا رهيبا . وقصدوا القنصلية العثمانية في ميناء اودسا بروسيا الوفا وراء الوف ليحصلوا على تأشيرة دخول لفلسطين، وجاء الرد من الحكومة المركزية في استانبول برفض هذه الطلبات . وقصد اليهود المستر لويس ولاس سفير أمريكا في استانبول ليضغط على الدوائر التركية لتمنح إجازات دخول لفلسطين ، وذهبت هذه الجهود سدى ، فقصد اليهود أفواجا الى يافا بدون إذن دخول لفلسطين ، وارادوا أن يدخلوا عنوة ، ولكن السلطان أمر حاكم القدس بأن يمنع أي يهودي قادم من روسيا او رومانيا أو بلغاريا . كذلك صدر أمر بمنع دخول اليهود من موانيء بيروت واللاذقية .

مؤتمر بال

على هذا النحو . حاصرت الدولة العثمانية مولد نشأة الحركة الصهيونية وكان الصهاينة قد عقدوا المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال السويسرية سنة ١٨٩٧ بقيادة تيودور هرتزل الصحفي النمساوي الذي سلفت اليه الاشارة . وكانت الحركة الصهيونية بعد ثلاثة أيام من الانعقاد في مؤتمر بال ، قد كسبت قوة وثقة النصر

ولم ييأس هرتزل من صدود السلطان عبد الحميد المستمر . فتوسل بأكثر من شخصية عالمية في الغرب ، ليسمح بلقائه في قصره الملكي في استانبول ، وتمت المقابلة في اليوم السابع عشر من مايو سنة ١٩٠١ وكان مع هرتزل اثنان من أقطاب الحركة الصهيونية وجاءت بعد هذه المقابلة مقابلتان عرض خلالها هرتزل مشروعا صهيونيا خلاصته أن يصدر السلطان قرارا بالسماح لليهود الاجانب بالهجرة الى فلسطين والتوطن فيها ومنحهم قسطا كبيرا من الحكم الذاتي مقابل أن يدفع اليهود عند صدور الفرمان مبلغا كبيرا من المال قدر بثلاثة ملايين من الجنيهات الاسترالية ثم تدفع الدولة اليهودية بعد ذلك جزية سنوية .

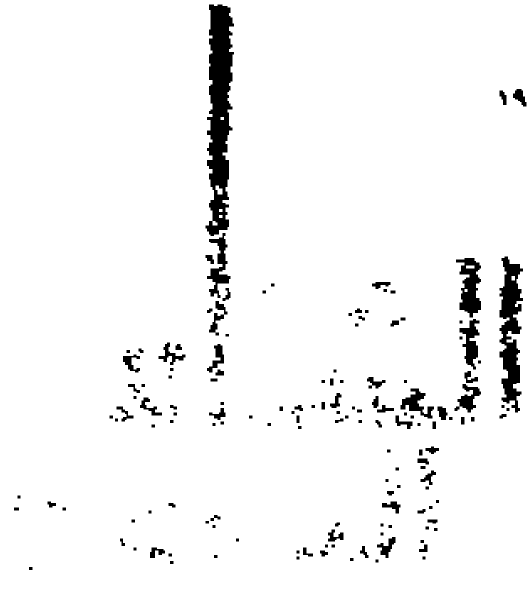
وأطال عبد الحميد صبره على هرتزل وأفسح له صدره . فتكلم الرجل وأفاض وظن أنه نجح في استمالة سلطان الاتراك وأن الطريق بات مفتوحا أمام الصهاينة . وفوجيء هرتزل في آخر المطاف برفض بات للمشروع الصهيوني ، وخرج هرتزل شاعرا بخيبة الأمل وبالحسرة ، ولم يطل عمره فقد مات في ١٣ يوليو سنة ١٩٠٤

وقد تحدث جمال الدين الافغاني ـ وكان يجالس السلطان عبد الحميد ـ عن مواهبه السياسية وقدرته على اخفاء عواطفه ، فقال : لو وزن السلطان عبد الحميد مع أربعة من نوابغ عصره لرجحهم .

ولعله يجدر بي أن اختم هذه العجالة بآخر عبارة نطق بها السلطان عبدالحميد موجهة لهرتزل

« انصحوا هرتزل ألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع . موضوع توطين اليهود في فلسطين ، فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي . لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الارض ورواها بدمه فليحفظ اليهود ملايينهم . وإذا مزقت امبراطوريتي يوما فإنهم يستطيعون انذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن . أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون عليّ من أن أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتي . اني لا استطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن أحياء »

لقد قال القيصر الروسي ان تركيا بلد مات وكان ذلك من سنة ١٨٣٥ ولكن تركيا بقيت بعد هذه المقولة نحو مائة عام ، وقاومت الاستعمار الغربي في البر والبحر ، في السياسة والحرب ، وعجزت الصهيونية بكل ملايينها وبنفوذها السياسي ودسائسها أن توطن يهوديا واحدا او تنشيء مستعمرة بموافقة الدولة العثمانية . فالرجل المريض لم يكن مريضا ، ولو تنبه العرب الى أهمية شفاء الرجل المريض لتغيرت الاحوال . □



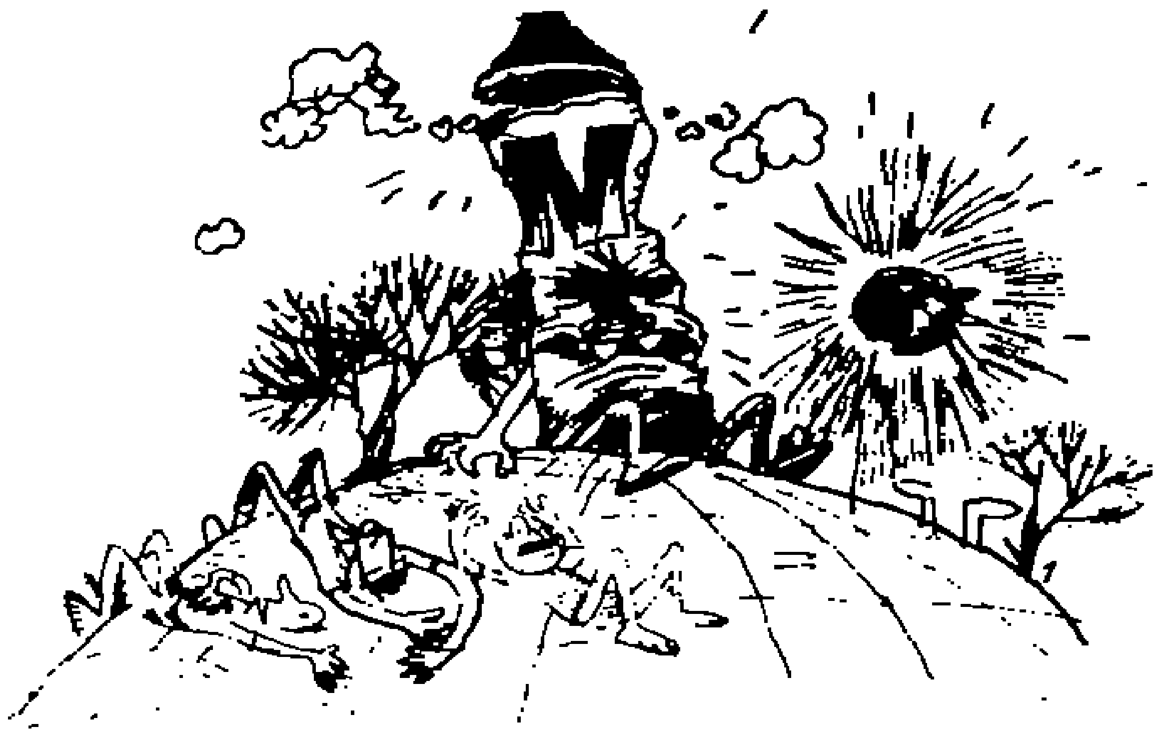
بقلم : الدكتور سعود عياش

حتى سنوات قليلة مضت كانت هناك قناعة سائدة بأن الآثار التدميرية للحرب النووية ستقتصر على الفرقاء المتخاصمين ، وان هذه الآثار ستكون موضعية الطابع ، إذ ستقتصر على المراكز التي تتعرض للضرب بالأسلحة النووية والمناطق المحيطة بها . غير أن القناعات الحديثة تشير إلى صورة مختلفة تماما .

ان الدمار المتوقع من جراء التفجيرات النووية لن يقتصر على المتخاصمين فقط بل سيمتد ليشمل المتحاربين والمحايدين وقسما كبيرا من الأنواع الحية الأخرى - نباتية وحيوانية . ان الأخطار الجسيمة التي ستنجم عن صدام نووي واسع النطاق ستتمثل في التغيرات الخانقة التي ستطرأ على طقس الكرة الأرضية . ونشوء ما يعرف بظاهرة « الشتاء النووي » .

في أواخر الحرب العالمية الثانية ضربت مدينتا هيروشيما وناجازاكي في اليابان بقنابل نووية . وتعرضت المدينتان نتيجة ذلك لدمار شامل وقتل قسم كبير من سكانها لكن التدمير بقي في نهاية الأمر - مقتصرا على رقعتين جغرافيتين صغيرتين نسبيا . وربما كان ما حصل في المدينتين المنكوبتين هو ما شكل القناعة السالفة حول موضعية الآثار التدميرية للحرب النووية . وحسب هذه القناعة فان حربا نوويا مقبلة ستؤدي الى قتل أعداد أكبر من البشر وتدمير مساحات أوسع نظرا لأن المخزون الحالي من الأسلحة النووية أكبر بعشرات آلاف المرات مما كان متوفرا في نهاية الحرب العالمية الثانية .

كانت القناعة السالفة تفترض أيضا أنه بعد أن يتوقف المتحاربون عن تبادل الرؤوس النووية تبدأ عمليات الإغاثة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وتبدأ عمليات إنقاذ الجرحى والمصابين ونقل الأحياء الى أماكن أكثر أمنا . ولن تمضي أسابيع قليلة حتى تعود الأمور الى سابق عهدها ، ويعود البشر إلى ممارسة أعمالهم ، وإعادة بناء ما تدمر . ألم يحصل ذلك في أعقاب كل الحروب السالفة ؟ .



من حسن الحظ ان الصورة السالفة لم تعد قائمه الآن ولا تقبل بها أي من الجماعات العلمية على جانبي خط الصراع النووي . فهناك اجماع على أن الصدامات النووية المحدودة النطاق هي من ضروب الخيال وإن أي صدام مستقبلي سيكون واسع النطاق وشاملاً لمعظم ، إن لم يكن لكل ، المخزون النووي . وهذا يعني ان الحرب النووية المقبلة ستتضمن تفجير الآف الرؤوس النووية التي يبلغ متوسط القدرة التفجيرية للرأس الواحد منها حوالي نصف مليون طن من المواد المتفجرة . وتشير التقديرات المختلفة الى أن ما بين ٤٠٠٠ ـ ٦٠٠٠ مليون طن من المواد المتفجرة ستستخدم في أي حرب نووية مقبلة . وتضع تقديرات أخرى الرقم عند ١٠,٠٠٠ مليون طن .

هذه الكمية الهائلة من المواد المتفجرة ستودي بحياة ربع سكان الكرة الأرضية في حالة حدوث صدام نووي . وسيسقط ربع اخر ما بين مصاب وجريح . وسيترك هؤلاء دون مساعدة أو اغاثة فلن تتوفر إمكانات لتقديم أي شكل من العون . واما النصف الذي سيبقى على قيد الحياة فسوف يواجه ظروفاً يتمنى معها لو أنه لحق بالربع الأول . فقد تبين من الدراسات التي أجريتها جهات علمية مستقلة أن شتاء نووياً سيعقب الحرب النووية وأنه سيستمر لأشهر طويلة ، يخيم أثناءها على معظم أجزاء الكرة الأرضية ويقضي على المحاصيل الزراعية بحيث أن من لا يموت برداً يموت جوعاً .

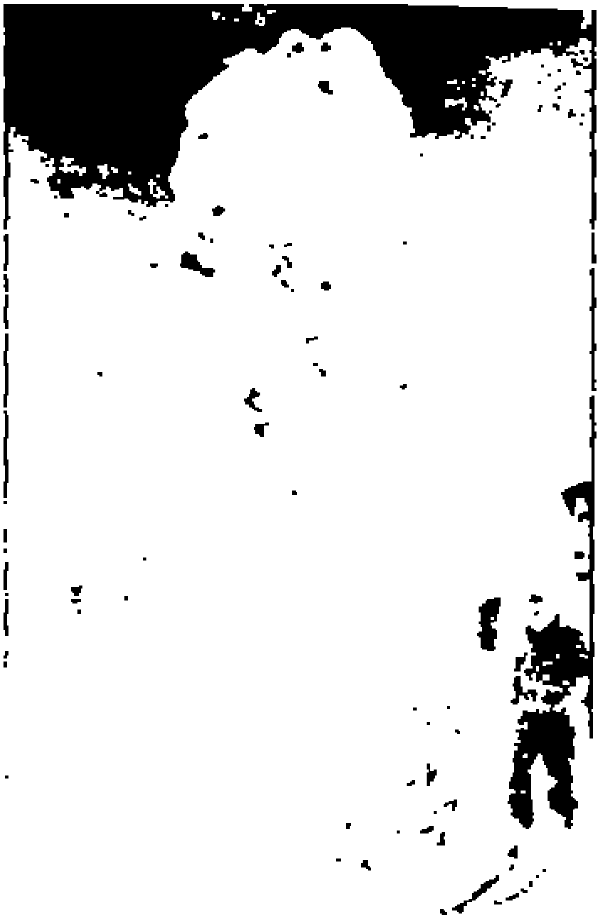
الشتاء النووي :

ظهر مصطلح الشتاء النووي في دراسة صدرت عام ١٩٨٣ وعرفت باسم دراسة (تابس) نسبة للأحرف الأولى لمؤلفي الدراسة . وقد صاغ ريتشارد تيركو ، أحد المؤلفين ، مصطلح الشتاء النووي ، الذي شاع استعماله منذ ذلك الحين ، لوصف جملة التغيرات البيئية التي ستطرأ على طقس الكرة الأرضية في أعقاب الحرب النووية وكانت قد سبقت دراسة (تابس) دراسة قام بها بول كروتزين وجون بيركس نشرت في مجلة « أمبيو » التي تصدر عن الأكاديمية الملكية السويدية . وتحمل الدراسة التي صدرت عام ١٩٨٢ عنوان « الطقس عقب الحرب النووية : شفق عند الظهيرة » وقد أشار كروتزين وبيركس في

دراستها إلى أن الصدام النووي سيؤدي إلى نشوب حرائق هائلة في الغابات، والبراري، وآبار النفط والغاز، وخزانات الوقود، والمناطق الصناعية والحضرية. وذكر المؤلفان أن كميات ضخمة من الدخان والسخام سترتفع إلى طبقات الجو العليا نتيجة لتلك الحرائق، وسيؤدي ذلك إلى حجب أشعة الشمس عن الأرض بحيث لا يصلها سوى جزء ضئيل مما تستقبله في العادة. وتوقع المؤلفان أن التغير في طقس الكرة الأرضية سيحد من سقوط المطر ويقضي على الزراعة في نصف الكرة الأرضية الشمالي.

في دراسة أمبيو وضع المؤلفون عدة تصورات لمقدرة التدميرية للحرب النووية. تخيلهم لحدوث حرب [illegible] تعرض [illegible] ٥٠٠٠ ميغاطن من المواد المتفجرة. وأشارت الدراسة إلى أنه في مثل هذا الصدام النووي سيولد ٢٢٥ مليون طن من الدخان و٦٠٠ مليون طن من الغبار الناعم تصعد إلى طبقات الجو العليا خلال عدة أيام، وتؤدي إلى حجب أشعة الشمس بحيث لا يستقبل نصف الكرة الأرضية الشمالي أكثر من ٣٪ من الأشعة التي يستقبلها في العادة. وتبين من الدراسة أن الدخان أشد تأثيرا على أشعة الشمس لأنه يمتصها بينما لا يعكس الغبار سوى بعض الأشعة. ولهذه الظاهرة تأثير سلبي لأنها تؤدي إلى تسخين طبقات الجو العليا بحيث تسمح للدخان والغبار بالارتفاع أكثر والانتشار فوق مساحات أكبر من الكرة الأرضية وتقلل من فرص سقوط الأمطار.

يؤدي حجب أشعة الشمس إلى انقطاع مورد الحرارة - بل مورد الحياة - الأساسي عن الكرة الأرضية. وتأخذ درجة الحرارة بالانخفاض تدريجيا. وخلال ثلاثة أسابيع من نشوب الحرب النووية - التي لا تستمر بالمناسبة إلا ساعات قليلة - ستنخفض درجة الحرارة بما يتراوح بين ١٠ درجات مئوية في المناطق الساحلية و٢٥ درجة في المناطق الداخلية. ويعود السبب في ذلك إلى أن المخزون



● [illegible] من نصف الكرة الشمالي وستقضي على الأشجار والنباتات

الحراري الهائل في المحيطات يعمل على تلطيف الجو في المناطق الساحلية. ويحد من آثار احتجاب الشمس. وتتضح أهمية الانخفاض في درجة الحرارة إذا أخذنا في الاعتبار أن متوسط درجة الحرارة على سطح الكرة الأرضية لا يزيد على ١٣ درجة مئوية وأن العصر الجليدي يأخذ مداه الكامل حين ينخفض هذا المتوسط بمقدار ٣ - ٥ درجات مئوية. وهكذا يخيم الشتاء النووي شديد البرودة فوق نصف الكرة الأرضية الشمالي خلال أسابيع قليلة من حصول الحرب النووية.

أشارت دراسة (تابس) إلى أخطار بيئية أخرى ستترتب على الحرب النووية مثل سقوط المواد المشعة فوق مساحات شاسعة. ونضوب طبقة الأوزون

تدريجيا بتأثير أكاسيد النيتروجين ، وتركز الغازات السامة الناتجة عن الحرائق في طبقات الجو السفلى قريبا من الأرض .

دراسات أخرى ونتائج مشابهة :

أثارت دراسة (تابس) ردود فعل متباينة ما بين مؤيد ومعارض . وتعرضت الدراسة لبعض الانتقادات على أساس أنها تبالغ في تضخيم حجم الآثار التي ستطرأ على طقس الأرض . غير ان الدراسة أثارت اهتماماً واسعا بمسألة الشتاء النووي ، مما حدا بجهات علمية أخرى تشكيل لجان متخصصة لدراسة المسألة . ففي ديسمبر ١٩٨٤ ، أصدر مجلس البحث الوطني في الولايات المتحدة دراسة حول الموضوع بنيت على أساس أن الصدام النووي سيتضمن تفجير ٦٥٠٠ مليون طن من المتفجرات . ومع أن التقرير لم يورد حجم التغيرات المناخية المترتبة على الصدام النووي إلا أنه أشار إلى أن درجة الحرارة فوق مناطق اليابسة ستنخفض بمقدار ١٠ - ٢٥ درجة مئوية . وبعد فترة قصيرة في أوائل ١٩٨٥ صدر تقرير حول نفس الموضوع عن الجمعية الملكية الكندية ، أشار إلى أن درجة الحرارة ستنخفض في أعقاب الحرب النووية الى ما دون الصفر في المناطق الداخلية . وفي مارس ١٩٨٥ صدر تقرير عن وزارة الدفاع الأمريكية ذكر ان الدمار الذي سيلحق بالوجود البشري نتيجة آثار التغيرات المناخية المتوقعة ، حدة ستكون على مستوى الأخطار الأخرى المرتبطة بالحرب النووية .

في سبتمبر ١٩٨٥ صدرت دراسة عن الآثار البيئية للحرب النووية ، قامت بها اللجنة العلمية لمشاكل البيئة التابعة للمجلس الدولي للاتحادات العلمية . وقد عرفت الدراسة باسم (سكوب) . وضمت اللجنة في عضويتها علماء من ٣٠ بلدا . وافترضت الدراسة استخدام ٦٠٠٠ مليون طن من المواد المتفجرة موزعة على ١٢٠٠٠ رأس نووي . وقد توصلت الدراسة الى نتائج مشابهة لما ورد في دراسة (تابس) . ففي الأيام القليلة الأولى تغطي الغيوم الدخانية أمريكا الشمالية وأوروبا ومعظم آسيا وتنخفض درجة الحرارة في نصف الكرة الشمالي بمقدار ٣٠ درجة مئوية . وأشارت الدراسة إلى إمكانية انتقال الدخان إلى المناطق الاستوائية ، ونضوب ١٠ - ٣٠٪ من طبقة الأوزون .

ظهرت بموازاة وعقب الدراسات السالفة دراسات أخرى أكدت جميعا على حصول تغيرات مناخية نتيجة الحرب النووية ، وإن اختلفت تقديرات حجم التغيرات المرتقبة . لكن من الملاحظ انه لو قبلنا بأكثر التقديرات تحفظا ، وافترضنا بأن درجة الحرارة ستنخفض حوالي ٥ درجات مئوية فقط فان الزراعة في نصف الشمالي من الكرة الارضية ستواجه كارثة لمدة واحد على الأقل أو أكثر . فمن المعروف ان الزراعة شديدة التأثر بتغير درجة الحرارة وان أي انخفاض ملحوظ سيقضي على المحاصيل الزراعية في مناطق الانتاج الرئيسية في أمريكا الشمالية وأوروبا وآسيا . وقد أشارت دراسة (سكوب) الى أن ٢,٥ بليون شخص - وهم الباقون على قيد الحياة في أعقاب الحرب النووية - سيواجهون المجاعة .

الصورة السالفة تضاف الى صورة الدمار الشامل التي رأينا بعض نماذجها البدائية في هيروشيما وناجازاكي والتي ستكون بالتأكيد أشد هولا في أي حرب نووية قادمة . فالمراكز الصناعية والحضرية ستسوى بالأرض ومنظومات الخدمات الاجتماعية ستشل بالكامل ، وستتعطل محطات تزويد الكهرباء والطاقة ، وتحترق مخازن الطعام والغذاء ، وتتقطع سبل المواصلات والاتصالات ، وتختفي الخدمات الطبية .

قيل في السابق ان الحرب النووية لا يخرج منها منتصر بل الكل مهزوم . والآن يبدو أن هذه الحرب لن تخلف وراءها ولا حتى مهزومين . □

قصـــة قصـــيرة



تأليف : رامز كلمندي */ ترجمة : الدكتور محمد موفاكو

اليوم قتل إنسان . وهذا الانسان ماهو إلا أنا . اسمي صادق . صادق الحمال ، كانوا ينادونني أيضا « أبو بردعة » (*) . نعم . كنت أحمل « البردعة » على ظهري . اليوم مت ، وارتحت من حمل « البردعة » .

الجميع يعرفونني . فالناس يعرفونني وكذلك الشوارع ، كل شوارع المدينة ، وتعرفني أيضا الأكياس والصناديق الكثيرة التي تحتوي على البضائع المختلفة . أنا صادق ، صادق الحمال ، أبو « بردعة » . فكيف لا تعرفونني أنتم ؟

لماذا توقفتم ؟ وما الذي أثاركم لتنظروا إلي بهذه العيون المندهشة ؟

عمن تسألون بعضكم بعضاً ؟ عني ؟ ألم تشاهدوا في حياتكم إنسانا ميتا ؟

نعم أنتم ، أنتم الذين قتلتم الآلاف من أمثالي ، أنتم الذين أزعجتم العالم بهمجيتكم ، أنتم الذين ثقبتم ظهري ، وقتلتموني ، والآن مابكم توقفتم تنظرون إلي ؟ هل تحزنكم رؤيتي ياترى؟ها،ها،ها ، لاتدعوني أضحك ، هل أجرب أن أضحك مرة على الأقل ؟ أأضحك بعد موتي ؟ لكن هل يمكن أن يضحك الانسان الميت ؟ ذلك الانسان الذي لم يعرف الضحك طيلة حياته .

إذا أردتم أن تحسنوا إلي فأخرجوني من هذا الوحل الذي سقط فيه نصف جسمي ، فهذا سهل بالنسبة لكم ، لأنكم ترتدون ألبسة جديدة ، وفوقها هذه المعاطف الواقية من المطر ، أما أنا ففي الوحل دون معطف واق من المطر ، إن المطر يسقط علي ، وينشر

---

* رامز كلمندي من أهم الاسماء التي برزت في القصة الالبانية بعد الحرب العالمية الثانية . ولد في جنوب يوغسلافيا يعمل الآن مدرساً في معهد التربية في بريشتينا يكتب القصة القصيرة والطويلة والرواية ونشر حتى الان إكثر من عشرة كتب . ومن اهمها : « خطوط وآثار » ، « حكايتان » ، « حين تحصد المراعي » ، « رسائل من اولشين » ، « سبعة أشخاص يلاحقون المؤلف » الخ . وتتحدث القصة عن حادث خلال الاحتلال الالماني ليوغسلافيا في اثناء الحرب العالمية الثانية .

(*) البردعة في الاصل للحمار ، ويستخدم الحمالون في جنوب يوغسلافيا شكلا مبسطا منها ، من الجلد المحشي بالقش ، ليساعدهم على حمل الامتعة .



البرد في جسمي . مابكم تنظرون إليّ كالمجانين ؟ إن هذا الجسم الذي اعتاد على البرد في حياته سيعتاد عليه أيضا في مماته . اسحبوني من هنا لكي تروني بشكل أفضل . نعم . هكذا الآن أصبحت في وضع أفضل . هنا لن يصيبني المطر . كما أني قد تخلصت من الوحل . إن الحجر يجرح عظامي . لكن هذا ليس مهما . شكرا لكم . إنكم لطفاء فعلا . أرجو أن تتركوني مع « البردعة » . أريد أن تبقى معي تتساءلون . لماذا ؟ لقد قضيت كل حياتي معها . لقد حملت عليها كثيرا كثيرا . حتى صناديق العتاد وأكياس الأسلحة التي سرقت منكم هل تعرفون هذا ؟

لماذا تعصرون الأرض بأقدامكم ؟ لماذا أنتم هكذا ؟ لماذا تنظرون في حالة استعداد ؟ تخشون من رفع أيديكم ؟ أم ... صافحتكم . كدت أصدق أن هذه الشرطة دي . ماذا يسألكم ؟ كيف مت ؟ أخبروه . وماذا يسألكم الآن ؟ ماذا قلتم له ؟ هل مهنتكم جيدا ياترى ؟ ألا تعرفون كيف تخبروه من أنا ؟ أنا صادق . صادق الحمال . أبو « بردعة » من أين أنا ؟ هذا ليس مهما . كان لي أب وأم في الماضي . وقصص قتلهما . لا . لا أقصدكم أنتم بالذات . لقد قتلهما أمثالكم في الحرب العالمية الأولى . وكان الناس هنا يسمونهم أمثالكم أيضا . وبعد إيهم تركوني وحدي في الطريق العام . وبعد ذلك أخذني أحدهم . ورباني في بيته . لا أعرف عن نفسي شيئا سوى أن اسمي صادق . ولا أعرف شيئا أكثر من ذلك

بدأت في العمل منذ أن بلغت الثانية عشرة . عملت كل ما تحمله جسمي الطري في ذلك الحين . وكنت مضطرا للعمل لأؤمن لقمة العيش . وحين بلغت العشرين أصبحت أعمل في الحمل فقط . وفي كل صباح ومساء كنت أذهب إلى محطة القطار . في كل يوم ثلاثاء . وعندما يجيء يوم السوق الأسبوعي كنت أبحث عن العمل هناك . وبعد الظهر كنت أذهب إلى محطة الحافلات في بقية الأوقات . وكنت أبحث عن عمل في كل الشوارع . وكنت أتواجد في أي مكان يفترض وجود حمال فيه . كنت أقضي النهار في العمل . وأنام في الحدائق ليلا . وخلال فصل الشتاء كنت أنام في أروقة الجوامع

عملت على هذا النحو ثلاثين عاما . ولهذا أبدو الآن أكبر من عمري بعشرين سنة . نعم . لقد تجاوزت الأربعين . لكن وطأة الحياة أضافت إلى عمري عشرين سنة أخرى . لحظة من فضلكم . ألا تريدون أن تعرفوا قصتي ؟

منذ البداية عملت مع هذه « البردعة » . هذه التي ترونها أمامي . لقد كانت معي دائما في الليل والنهار كنت أعمل بها . وفي الليل كنت أنام عليها . نعم . في الليل كنت أفرشها . وأنام عليها . ومنذ عدة سنوات أصبح اسمي صادقا الحمال . وأخيرا « أبو بردعة »

كانت تمر علي أيام لا أتمكن فيها حتى من تأمين لقمة الخبز . كنت أخرج إلى المحطة أنتظر القطار الأول . ثم القطار الثاني . وكنت أتنقل بسرعة من عربة إلى أخرى . متوجها إلى الركاب بتوسل . « حمال . حمال »

وكان ذلك دون جدوى . فقد كان الركاب لايهتمون حتى بالالتفات إليّ . بل كانوا يتابعون سيرهم إلى حيث يقصدون . بعضهم كان يركب عربة في انتظاره . بينما كان بعضهم الآخر يسرع حاملا حقائبه بيديه

كان الركاب يهبطون من العربات . وأنا أتنقل من عربة إلى أخرى . حتى أصل إلى العربة الأخيرة راجيا .

- حمال . حمال . حمال ياسيد . هل أحمل عنكم هذه الحقائب ياسيد هل آخذ عن سيادتكم هذه الحقائب ؟

حمال ياسيد . حمال !

بعض الناس كان يلتفت إلي فقط . بينما كان

بعضهم يجيبني : وأنا حال مثلك .

بعضهم كان لا يكلف نفسه حتى بالالتفات إلي . وكنت أهرع وراء الركاب في اتجاه المدينة . كان لابد لي أن أومن لقمة الخبز

وفي يوم السوق الأسبوعي كنت هناك دائما . وكنت إذا لمحت شخصين يتساومان أمام كيس ذرة أو قمح أسرعت إليهما قائلا

ـ عسى أن يقدم الله مافيه الخير . هل اتفقتما على السعر ؟

وبعد هذا كنت أقول فورا

ـ إن شاء الله بالهناء والعافية يا أخي ! لقد وفقك الله جدا ! هل أحمله لك إلى الميزان ؟

ومن الميزان كنت أحمل الكيس على « البردعة » فوق ظهري إلى بيته . أو إلى المطحنة . وكانوا يكافئونني كما لو كانوا يتصدقون علي . وبعد هذا كنت أعود بسرعة إلى السوق . ومرة أخرى أنادي

ـ حمال . حمال !

كنت أعمل أحيانا ليلا في تفريغ الشاحنات في المحطة أو تعبئتها . لم أعد إنسانا . بل تحولت إلى حيوان ناطق . حينذاك تغيرت حياتي تماما . وبدأت أفكر بشكل مختلف . بدأت أميز بشكل أفضل بين أولئك الذين يسحقون جسدي من التجار والأغنياء . وتعاقبت الأيام إلى أن جئتم أنتم أخيرا . فأصبح الوضع في زمنكم أسوأ بكثير . وأحسست كما لو أن أحذيتكم قد شلت صدر هذا البلد . جئتم وجاء معكم البؤس والعبودية . وبخاصة للفقراء من أمثالي . هل تسمعونني ؟ لقد تغير صادق « أبو بردعة » . لقد قمت أنا الذي تتطلعون إليه الآن بحفر عدد من قبوركم . حيث ستلاقون مصيركم عما قريب . فالأرض تهتز تحت أقدامكم . فهذه البلاد سوف تتحرر . وأنا سأتحرر . وجميع الناس من أمثالي أيضا . أعرف أنه لن يكون بعد اليوم ازدراء ولا احتقار ولا اضطهاد . فلقد ولى عهد هذه الأمور . هل تعرفون هذا ؟

يكفي ماحملت لكم من صناديق . يكفي . يكفي . طبعا يكفي . ماذا تفكرون ؟ أتريدون أن أحمل صناديقكم لتستخدموها ضد إخواني ؟!

لماذا تغطون رأسي بهذا الكيس ؟ هل مللتم من رؤيته . ومن سماع صادق الحمال ؟ اتركوني لحظة فقط لأكمل قصتي

كنت قد خرجت هذا المساء أيضا لأحمل الصناديق . وكان الظلام قد غطى الأرض حين سمعت هدير الشاحنة الكبيرة . فهرعت بسرعة . وتوقفت الشاحنة أمام إحدى عربات القطار . وبعدها جاءت عدة شاحنات أخرى . ووقفت أمام العربة المفتوحة بانتظار تفريغها .

ونزل من الشاحنة عدد كبير من الأشخاص باللباس العسكري وبالمعاطف الواقية من المطر . وحين لمحوني قالوا شيئا في لغتهم . ولم أفهم ماقالوه . إلى أن أشاروا إلي بيدهم . ولم أرغب بهذا العمل . ولذا لم أتحرك من مكاني

وحينئذ سحب أحدهم مسدسه . وشهره في وجهي . فاضطررت أن أقوم بما أراد . وحملت صندوقين أو ثلاثة . وألقيت بالرابع والخامس في الظلام . وقلت لنفسي : هذه ستكون للكفاح ضدكم

وابتعدت الشاحنات . وذهبت أنا إلى صناديقي . وانتظرت قليلا . ووضعتها على ظهري . وسرت في الظلام . ولا أعرف ماذا حدث بعد ذلك . لقد انطلقت ورائي طلقات بندقية . فسقطت مع صناديقي على التراب

ثم جئتم . ورأيتموني . وهأنا قد رويت لكم كل شيء . هل تدرون الآن ما حدث ؟

لكن لماذا أروي لكم ذلك ؟ إنكم تدركون جيدا أن هذه البلاد قد انتفضت ضدكم . لقد انتفض ضدكم الصغير والكبير . إنكم تعرفون هذا . ولذلك لست حزينا لأنني قد مت .

أنا صادق الحمال . « أبو بردعة » . □

المناقشة

بقلم : فهمي هويدي

إشكالية

في التفكير الإسلامي !

لايسع الباحث في أمر الواقع الاسلامي - عبر غالب مراحل تاريخه - الا أن يقرر بأن « الاخر » ظل يمثل مشكلة محيرة ، وأحيانا مستعصية القبول والحل - من حيث ان العقل الاسلامي في تلك المراحل بات يضيق بهذا الاخر . ولايبدي استعدادا كافيا لاحتماله والتعايش معه . وهو شعور ربما كان للجبر والاضطرار فيه دور أكبر من التطوع والاختيار

ولما كان الفقه مرآة عاكسة لظروف الزمان والمكان . فقد أسهم في التعبير عن ذلك الموقف وتفسيره . الامر الذي يطالبنا بأن نجري نوعا من الحفر لتحديد مصادر ومظاهر ذلك الضيق المرصود . وان نستجلي موقف الشريعة منه . ممثلة في القرآن والسنة - وعلينا بعد ذلك أن نسعى جادين الى صياغة علاقة مع الاخر . أكثر امانة في التعبير عن نصوص الشريعة ومقصودها . وأكثر استجابة للغة العصر في الخطاب الانساني و ...

صور ثلاث

الآخر الذي يتجه اليه هذا الحديث له صور ثلاث - اخر يعيش خارج ديار الاسلام - وآخر يعيش في ظل الدولة الاسلامية ولكنه ينتمي الى دين مغاير - وآخر يقف على أرضية الاسلام ولكنه ينحاز الى رأي مخالف .

واذا حاولنا ان نستقصي العناصر التي أسهمت في صنع « اشكالية الاخر » في التفكير الاسلامي . فسوف نجد أن بعضها يرجع الى التاريخ . وبعضها يعود الى الموروث من العادات والتقاليد . وبعضها مصدره التباس في فهم النصوص الشرعية

وزعمي أن لتجارب التاريخ كان لها دورها الاكبر في صنع هذه الاشكالية . فالدين السماوي الذي جاء خاتما لأديان السماء . ومقرا للسابقين من الانبياء والرسل والكتب . اذ يواجه في البداية باعتراض وصد من جانب المشركين وحدهم . في قريش وشبه

الجزيرة العربية . ولكنه ووجه برفض وعداء مماثلين من جانب أصحاب المصالح بين اتباع الديانتين السابقتين . اليهودية والمسيحية ولما أصبح لدعوة الاسلام الجديدة دولة ناهضة . فانها ووجهت بصراع طال أجله وعداء لم يتوقف . من جانب القوتين الأعظم في الزمن القديم . الروم والفرس .

واذ نجح المسلمون في القضاء على التحدي الفارسي في عصر الراشدين . والوصول بتعاليم الاسلام الى بلاد ماوراء النهر في العصر الاموي . الا أن الانجاز لم يتحقق بالقدر ذاته في مواجهة الروم . فهزيمتهم المبكرة في الشام أيام ابي بكر الصديق . وسقوط عاصمتهم القسطنطينية في العصر العثماني . لم ينسيا عداء العالم المسيحي . وكان ذلك العالم قد تحول الى الهجوم بالحروب الصليبية . وافادته عصور انكسار العالم الاسلامي التي تلاحقت مع ترهل الدولة العثمانية حتى أصبح الواقع الاسلامي في نهاية المطاف يعيش في ظلال الحضارة المسيحية الغربية . التي لم تخمد نزعاتها الصليبية الى الان .

وقد كان موقف الاسلام الأصيل المقر للديانتين السابقتين عليه عنصرا أساسيا في الحفاظ على كيانات المسيحيين واليهود واستمرارها داخل المجتمع الاسلامي . مما دفع الاخر - الخارجي - الى محاولة استثمار هذا الموقف لصالحه بصفة دائمة فنجح حينا وفشل في حين اخر . مما كان سببا اضافيا لأحداث التوتر بين الطرف الاسلامي والطرف غير الاسلامي في الدولة الواحدة

مشهور موقف يهود خيبر وبني قينقاع من النبي عليه الصلاة والسلام . وهو موقف تآمر والدسائس دائما . الساعي الى الوقيعة والفتنة بكل السبل ومعروف موقف نصارى الروم من الكيد لرسول الله . ومساندتهم للمنافقين الذين أقاموا مسجد الضرار الذي احرقه النبي . ثم مواجهتهم العسكرية له في السنة الثامنة من الهجرة . مرة في مؤته . ومرة في تبوك . وتحريضهم نصارى العرب من الغساسنة على القتال ضد النبي في المرتين

منذ ذلك التاريخ المبكر ومحاولات الروم مستمرة لاختراق الواقع الاسلامي . باستخدام غير المسلمين فيه . أو لتوجيه الضربات الى ديار الاسلام بالمواجهة العسكرية الصريحة . التي تعددت حلقاتها وتواصلت . منذ العصر الاسلامي الاول . وحتى العصر الحديث حين زحفت جيوش الغرب وقامت باحتلال دول العالم الاسلامي في القرن الثامن عشر . من اندونيسيا الى المغرب .

وفي أدبيات الروم المبكرة . فان المسلمين اعتبروا « كفارا » ومنذ حوالي تسعة قرون . أعلنها البابا اوربان الثاني صراحة عندما دعا في جلسة المجمع الديني بكليرمونت (سنة ١٠٩٥ م) الى انقاذ المسيحيين وبيت المقدس من براثن المسلمين الكفرة

دار الاسلام ودار الحرب

هذا الموقف العدائي في جملته . كان طبيعيا أن يتعامل معه الفقه الاسلامي بعناصره الواضحة للعيان والتي فرضتها ظروفها التاريخية وكان مبررا أن يتحدث الفقهاء عن دار الاسلام ودار الحرب . اذ أن الأخر الاجنبي كان محاربا ومعاديا على الدوام وكان مبررا أيضا أن يتحدث المسلمون عن دار الكفر .

ولئن فرق المسلمون مبكرا بين المشركين عبدة الاوثان . وبين اصحاب الديانات السماوية الاخرى . واعتبروا الاولين كفارا والاخرين اهل كتاب . فان وقوف الاثنين معا في المربع المعادي للاسلام والمسلمين . رغم الأيدي الاسلامية الممدودة الى أهل الكتاب . هذا الموقف دعا فقهاء المسلمين في تلك الأزمنة الى اعتبار الجميع - أيضا - أهل كفر .

في تلك الأزمنة . قسم فقهاء المسلمين العالم بناء على موقفه المحارب من دين الله . وان شاعت التفرقة

بين دار الاسلام ودار الحرب . الا أن الشافعية أضافوا - دار العهد - التي تصالح أهلها مع المسلمين دون حرب . على شيء يؤدونه يسمى : خراجا وربط الفقهاء بين الذميين . أهل الكتاب الذين يعيشون في دار الاسلام وكانوا يدفعون الجزية . وبين المستأمنين . وهم أهل دار الحرب الذين يطلبون الامان . ويفدون على دار الاسلام . ووضع الاثنان في مربع واحد.

لقد كان الآخر الخارجي محاربا وكان الآخر الداخلي من غير المسلمين موضع شك فألحق به . واستقرت هذه الصيغة تغطي لوقت طويل ولم ترد على سمة الموقف الفقهي احتمالات أن يكون الآخر - الأجنبي - غير محارب . أو غير معاهد . وأن هذا الآخر جزء أو عضو في الأسرة الدولية يتبادل مع غيره الحقوق والواجبات ويحترم سيادة الغير طبقا لأسس دولية متفق عليها

ما كان لم يخطر على بال فقهاء السلف . أن يكون الآخر . غير المسلم في الدولة الاسلامية شريكا في الوطن . وليس لاجئا بذمة المسلمين . أو يكون هذا الآخر - المواطن منفصلا عن المحارب . وموصول التبعية بوطنه الذي يعيش فيه وليس بالآخر الأجنبي.

ويظل كتاب ابن قيم الجوزية . أحكام أهل الذمة : نموذجا يعبر عن الفكرة التي نحاول عرضها ومناقشتها . عندما يكون للتاريخ دوره الأساسي في صناعة الفقه . وتشكيل العلاقة مع الآخر بناء على عناصر ذلك الظرف التاريخي . فعندما كتب ابن القيم مؤلفه في القرن الثامن الهجري . كان شبح الحروب الصليبية لايزال ماثلا في الأذهان . وكانت أفاعيل المغول في قلب العالم الاسلامي يتناقلها الناس كأنها كابوس جثم على صدر الأمة . وأشاع الرعب في أوصالها . وكانت الفظائع التي اقترفها هؤلاء وهؤلاء محفوظة في ذاكرة المسلمين . الى جانب ذلك . فقد كان ابن القيم مدركا للمدى الذي بلغه الصليبيون والمغول في الاستعانة ببعض نصارى العرب . وخاصة السريان والأرمن والنساطرة.

هذه الخلفية المرة دفعت ابن القيم الى اتخاذ موقف لايخلو من تشدد وتجاوز في بعض الاحيان تجاه غير المسلمين . فذهب الى اعتبار الجزية بحسبانها الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالا وصغارا.

وقال ان اسمها مشتق من الجزاء . إما جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغارا . أو جزاء على أماننا لهم . لأخذها منهم رفقا (جـ ١ - ص ٢٢) وعارض بذلك الرأي الراجح بين الفقهاء الذي يرى الجزية بدلا نقديا عن أداء واجب الدفاع عن الوطن والنفس . ولا يرى في الصغار المذكور في الآية القرآنية (حتى يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون) معنى المذلة والمهانة . ولكن ذلك الرأي الفقهي الراجح - والأصدق تعبيرا عن احترام الاسلام لكرامة الانسان - يعني الصغار معنى الامتثال لسلطان الدولة . خاصة وأن الكلمة مذكورة في سياق موقف صدام مسلح . هزم فيه المحاربون للمسلمين فاستحقت عليهم الجزية.

على الجملة فان ابن القيم تعامل مع غير المسلمين بحنق وسخط شديدين . وتأثر واضح بما تصوره اسهاما منهم في هزيمة المسلمين وإذلالهم . أما ارتيابه وشكه في ولاء هؤلاء فكان شديد الوضوح . فبعد أن قدر هو أداء الجزية على نحو خاص وهيئة محددة . تحقق معنى الصغار والمذلة . دعا الى الباسهم ثيابا خاصة . والى تمييز بيوتهم عن غيرها . وتقييد احتفالاتهم ونشاطاتهم ... وهكذا

واذ نفهم أن يتخذ ابن القيم ذلك الموقف الذي أنكره عليه آخرون من الفقهاء اللاحقين . الا أن مالانفهمه حقا أن يعتمد البعض اجتهادات ابن القيم ويرى فيها صلاحية للاستمرار . وبدلا من أن يقرأ اجتهاده في ضوء ملابسات عصره . ويجتهد غيره على نحو آخر . بعد ما زالت الملابسات وتغير العصر . فان بعض اللاحقين مضوا على طريق التقليد . وتبنوا

وراء بين الشعبه لغير مذنب أو مبرر . فأساؤوا وأفسدوا وما أصلحوا

ونحن نجد امتدادا لمنطق بين الفئة في التعامل مع غير المسلمين في تفسير الاستاذ سيد قطب للقرآن الكريم (الظلال ـ جـ ٢ ص ٩٠١ و جـ ٣ ص ١٦٢٠) ونرى موقفا مماثلا في كتاب سعيد حوى (المدخل الى دعوة الاخوان) الذي يدعو فيه الى الترفع على غير المسلمين (ص ٢٤٦) في حين نقرأ في كتابات أخرى دعوة الى عدم المساواة بين غير المسلمين والمسلمين ، وضرورة اشعار الاولين دائما بقوة الاسلام وعظمته ـ (فقه الجاهلية المعاصرة ـ لعبد الجواد ياسين ص ٩٥) وهكذا

نلتقي بالدعاة المعاصرين يتحدثون عن الحرية او يرحبون (سعيد حوى) وعن أن غير المسلمين لا يرتدون عن دينهم لأن في عصر الحرية وفاء بينهم وبين المسلمين عهد (سيد قطب) وعن أنه لا مفر من الحرية والاشتراك في الحكم (عبد الجواد ياسين)

نعم ان تغير الفكر بين الفقهاء المعاصرين يطرح هذه الآراء جنبا . ... فكرة الحرية ويدعو الى مساواة بين المسلمين وغيرهم . فلم يخرج عن نطاق الالتزام الديني الشخصي . ولكنها فقط تدل على استمرار الاشكالية التي نحن بصددها في مدارس الفكر الاسلامي المعاصر

شيء من هذا نلمس نجده في كتابات مولانا أبو الاعلى المودودي . فهو يقرر بأن القانون الاسلامي يقسم رعاياه من غير المسلمين الى ثلاثة اصناف الذين يدخلون في كنف الدولة الاسلامية بعقد صلح او معاهدة ـ والمغلوبون بعد الهزيمة في الحرب . أي الذين فتحت بلادهم عنوة . والذين ينضمون الى الدولة الاسلامية عن طريق الصلح والحرب . ويشرح في كتابه (نظرية الاسلام وهديه) في الفصل الخاص بحقوق اهل الذمة ـ وضع كل من هذه المجموعات الثلاث ، وحقوقها في الدولة الاسلامية

(ص ٣٢٩ وما بعدها)

لم ينتبه الاستاذ المودودي الى انه يتحدث عن عصر غير عصرنا . وعن عصور أفرزتها تجربة تاريخية مضت ولن يعد لها وجود . لهذا السبب فقد كان خطؤه الأساسي هو أنه حدد موقفه من الآخر في زماننا . بمنطق عصور الاسلام الاولى . سواء عندما كانت الدولة الاسلامية هي صاحبة اليد العليا . او عندما كانت العلاقات الدولية قائمة على اساس فكرة الغالب والمغلوب . او المنتصر في الحرب او المهزوم

مشكلة الآخر الاسلامي . تختلف في الرأي الواقف على ارضية الاسلام قد دخلت في صنعها عناصر عدة . وفي عصرنا قد نسمع صوتا ... صوت الشيخ محمد الغزالي حين عبر عنها من جملة ما جنت عليه العادات العربية الموروثة ... كان للقبيلة سيد أو شيخ له رأي واحد . ولا مكان لتصور ان يكون هناك آخر ... ومنذ كان للعصبية العرقية والنسب دورها في تحديد المكانة السياسية والاجتماعية . ففي قريش كان هناك سادة القوم وعامتهم . وفي جزيرة العرب كان لقريش وضعها المتميز . حتى ظن البعض حقا أن لهم حقوقا في السيادة والقيادة بأكثر مما لغيرهم . وفي المجتمع الاسلامي ذاته . كان هناك العرب والموالي

وفي بعض مدارس الفكر الاسلامي المعاصر من ينادي برفض الاحزاب السياسية واستنكار فكرة المعارضة واخيرا شاع استخدام عنوان (حزب الله) الذي يرد في السياق القرآني وهو غير مفهوم الحزب المتداول في الخطاب السياسي الحديث .

دور التاريخ

ونحن نجد تأييدا لدعوة خلو الحياة السياسية الاسلامية من الاحزاب في المدونات التقليدية لجماعة الاخوان المسلمين والجماعة الاسلامية في باكستان

وان طرأ بعض التعديل على هذا الموقف مؤخرا ، حين قبلت الجماعتان ـ موقتا ـ بالمشاركة في الحياة السياسية في ظل التعددية الحزبية . وربما كان ذلك الموقف التقليدي هو السبب في أن أيا من الجماعتين ترفض أن تسمي نفسها حزبا منذ نشأة الاخوان سنة ١٩٢٨ ، ونشأة الجماعة الاسلامية في الهند سنة ١٩٤١ .

ورغم ان كلا من الجبهة الاسلامية في السودان وحزب التحرير الاسلامي في الاردن والشام وفلسطين يؤيد التعددية الحزبية ، الا اننا نرى في ادبيات جماعة الجهاد المصرية ادعاء منظريها ان « تعدد الاحزاب يختلف مع الاسلام اختلافا جذريا » ـ (من دراسة غير منشوره بعنوان ازمة النظام السياسي المصري) ـ بينما يعتبر مؤلف (فقه الجاهلية المعاصرة) ان النظام الحزبي هو من مظاهر « الجاهلية » ـ (ص ١٨٢) .

هنا أيضا نحسب أن التاريخ لعب دوره المؤثر والحاكم ، فمنذ احداث الفتنة التي كانت بدايتها مقتل الخليفة الرابع عثمان بن عفان من قبل « المعارضين » ومنذ تعاقب الصراع بين الامام علي بن ابي طالب ومعاوية بن أبي سفيان . ثم ظهور الخوارج بعد ذلك . . منذ ذلك الحين الذي بدت فيه الدولة الاسلامية مهددة بالانهيار ، والذي سالت فيه دماء المسلمين ، توجس الوعي الاسلامي شرا من المعارضة . واتجه فكر أهل السنة بوجه اخص الى ضرورة الالتفاف حول النظام السياسي القائم والحفاظ على سلطان الدولة ، التي كانت قيامة الدين من قيامتها ، وشاعت مقولة ابن عبد ربه ، صاحب « العقد الفريد » انه « اذا كان الامام عادلا فله الأجر وعليك الشكر ، واذا كان الامام جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر » .

ورغم تغير الظرف وزوال الفتنة وثبات الاسلام وذيوعه ، فقد ظلت المعارضة في الوعي الاسلامي مقترنة بالفتنة ، وحسبها البعض بابا للشر واجب الاجتناب والصد .

اين موقف الاسلام من ذلك كله ؟

يحتاج الامر الى تفصيل وحديث مطول □

في الكتاب العربي

في استفتاء أجرته مجلة الاداب اللبنانية في مايو عام ١٩٥٤ عن منافسة الصحافة المصورة والسينما والاذاعة للكتاب العربي منافسة حادة .

يقول الدكتور محمد مهدي البصير لاشك أن الصحافة المصورة والاذاعة والسينما تنافس الكتاب العربي منافسة حادة ، ولكن يخيل إلي أنها لا تشكل خطرا عميقا على مستقبله ، كما أنها تشكل مثل هذا الخطر على غيره من الكتب الحية ، ولكن الكتاب العربي عليه أن يشعر بالخطر الداهم ، فيعد للأمر عدته ، ويتجهز بكل ما من شأنه أن يكفل له البقاء ، من جودة في المادة ، وجمال في العرض ، وإتقان ، وعندي أن الكتاب العربي سيعيش إلى جانب الصحافة والاذاعة والسينما ، ولكنه سينحط أو سيزداد انحطاطا على مر الأيام بسبب مماشاته الأهواء ، وتملقه الجماهير ، سعيا وراء الرواج والرغبة في الاستثمار .

المجـهـود العــربى

بقلم : الدكتور أسامة الخالدي

حقق البحث العلمي العربي مؤخراً انجازات لاشك فيها . وبرزت بعض البلدان العربية لتنافس عدونا الرئيسي « اسرائيل » في هذا المجال . لكن مجمل البحث العلمي العربي مازال يعاني من صعوبات ، ليست كلها فنية . فما هي الانجازات العربية في هذا الميدان الحضاري المهم ، وما هي معوقاته ؟

يقسم المجهود العلمي التقني - عادة - الى أربع مراحل . ومع وضع تحفظات على هذا التقسيم يمكن تعريف هذه المراحل كمايلي :

١ - البحث العلمي الأساسي :

وهو البحث الذي لا تقصد منه فائدة اقتصادية مباشرة ، فانه المجهود الذي يقوم به الباحثون . في محاولة لفهم الظواهر الطبيعية والاجتماعية ، واستكشاف اسرارها . وهو مانسميه الاكتشاف او « العلم من اجل العلم » . تقود هذه المرحلة - عادة - الى منشورة علمية في مجلة محكمة تحتوي على معلومات كافية ، بحيث يتمكن زملاء الباحث من تأكيد الاكتشاف او نفيه . . ويعتمد القبول العالمي لهذا الاكتشاف على رأي هؤلاء الزملاء ، والأهمية التي يولونها له ، ويظهر ذلك من الرجوع الى هذه المنشورة في منشوراتهم ، ومن ادخالها في المراجعات العلمية

٢ - البحث العلمي التطبيقي :

وهو البحث الذي يقصد منه التوصل الى منتَج جديد ، او تحسينه ، وهو ما يمكن ان نسميه الاختراع . والمفترض ان يكون القصد من ورائه الربح الاقتصادي او خدمة المجتمع ويتبع بعد صدور براءة اختراع مسجلة ، او ما يوازيها ، كتقرير او مقالة ، او قد يحافظ على سريته الى ان يتطور في مرحلة لاحقة .

٣ - التطويـــر :

وهي المرحلة التي تجري فيها دراسة الجدوى الاقتصادية للمنتج ، كما تجري فيها دراسة طرق الانتاج العملية ، وادخال التحسينات على

الاختراع . وفي هذه المرحلة تتداخل العوامل الاقتصادية والاجتماعية مع النواحي العلمية . وفي نهاية هذه المرحلة يجب ايجاد نموذج فعلي عملي . قد يخضع لبراءة اختراع او عدة براءات

٤ - الانتـــاج :

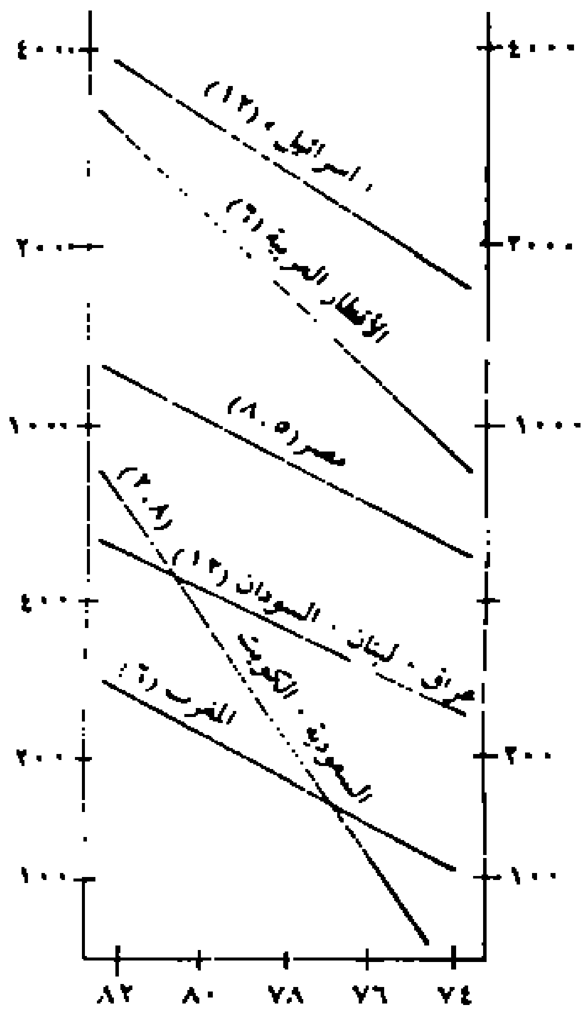
تسيطر عليه العوامل الاقتصادية . من تمويل وتسويق وبناء وسياسة دولة . وهو مايقود الى صنعة اقتصادية فعلية . ومنه ترجع الاموال التي صرفت على المراحل الثلاث الأولى

ان جميع هذه المراحل متداخلة . واي تقسيم لها هو تقسيم مصطنع . وكثيرا ما نسمي المرحلتان الأولى والثانية بمرحلتي البحث . او نسمي المراحل الثلاث الأولى بمراحل البحث والتطوير (R AND D) . كذلك نشير هذه المراحل في ان المرحلة الأولى والرابعة هما مرحلتان علنيتان . بينما تلف السرية كثيرا مما يحصل في الثانية والثالثة . ولذلك فمن الصعب جدا قياس كمية الجهد او نوعيته في هاتين المرحلتين . فبراءات الاختراع المعلنة لا تؤلف الا القليل من نتائج هاتين المرحلتين

وسيركز بحثنا على المرحلة الأولى . فالمرحلة الرابعة معلنة من قبل وزارات الزراعة والصناعة والصحة والاقتصاد والتنمية في البلدان المختلفة . والمجهود العربي العلمي فيها ضئيل . وهي تعتمد - غالبا - على التقنيات والبراءات المستورده

البحث العلمي الأساسي :

إن القصد المعلن وراء النشر العلمي - منتج المرحلة الأولى الاساسي - هو ايصال نتائج البحث الى المجتمع العلمي العالمي الواحد . ولذلك فان النشر يتم مبدئيا في مجلات علمية متخصصة . تدخل في المختصرات الدولية . وتصل بواسطتها الى الزملاء المهتمين في هذا الموضوع العلمي الدقيق . فيتمكنون من تقييم هذه النتائج . ومن الحكم عليها . كما يتمكنون من البناء عليها . مما يقود الى تقدم العلم .



الانتاج العلمي العربي - عدد المقالات الواردة في المختصرات الدولية

وهذا لا يعني ان الدافع الشخصي للعالم وراء النشر - دوما - او عادة - خدمة العلم الشريف . فهو في الغالب يتم بدافع محاولة العالم الناشر الحصول على اعتراف المجتمع . او زملائه بالسبق . مما يقوده الى الترقيات او الجوائز او مجرد الاعتزاز الشخصي بالمنجزات .

يقاس المجهود العلمي الاساسي في بلد ما بعدد المنشورات العلمية التي تصدر عن ذلك البلد في المجلات العالمية التي تدخل في المختصرات التخصصية . وبنوك المعلومات الدولية . وقد لاحظ كثيرون ممن درسوا هذا التطور العلمي ان عدد

المنشورات العلمية عالميا يتضاعف في كل عدد معين من السنين . وهذا هو المنوال الذي تسير عليه منذ اكثر من مائة سنة . لكن لا يمكن ان يستمر هذا التضاعف الى مالا نهاية ، خاصة ان مدة التضاعف العالمي تقرب من عشر سنوات . ولابد ان نصل الى وقت تتوقف فيه هذه الزيادة

لكن حتى نصل الى ذلك الوقت يمكن وضع رسم بياني للتقدم العلمي الاساسي ، برسم عدد المنشورات في السنين المختلفة على شكل شبه لوغارتمي ، بحيث تظهر كخط مستقيم يمكن منه قراءة اعدادها . كما يمكن قياس مدة التضاعف وكلما نقصت مدة التضاعف كان التقدم العلمي يسير بتسارع اعظم

قام الدكتور انطوان زحلان برصد المجهود العلمي العربي خلال العقدين الماضيين . وتمثل كتبه ومقالاته بما تحتويه من ارقام واحصائيات المرجع الاساسي لدراسة هذا التطور . واعتمادا على الارقام التي نشرها د زحلان يظهر ان اعداد المنشورات العلمية العربية ذات المختصرات الدولية تتضاعف كل ست سنوات تقريبا . وهذه نسبة معتبرة جدا ، وتفوق التسارع العالمي . ثم ان الفجوة العلمية بين العرب واسرائيل قد قاربت على الاختفاء بالنسبة الى عدد المنشورات

ويبرز من خلال هذه الارقام الدور الذي بدأت تلعبه المملكة العربية السعودية والكويت في العقدين الاخيرين . ففي اواخر السبعينات كان الانتاج العلمي لهذين البلدين غير ذي بال . لكنه اصبح الان يناهز دور مصر . واذا استمر هذا التضاعف مرة كل حوالي ثلاث سنوات ، فان السعودية والكويت سوف يخرجان من دائرة العالم الثالث قبل نهاية هذا القرن . بل ويتفوقان وحدهما على اسرائيل . في الانتاج العلمي الاساسي . من الصحيح ان جزءا لا يستهان به من الانتاج العلمي في الكويت والسعودية يقوم به علماء ليسوا مواطنين في هذه الدول . لكن حسب هاتين الدولتين فخرا انهما وفرتا المناخ المناسب لهؤلاء العلماء ليعملوا فيهما وينتجوا هذا الانتاج الجيد. وبالاضافة الى هذا التسارع المذهل فإن حجم الانتاج العلمي الكويتي والسعودي قد تفوق في السنين الاخيرة على انتاج العديد من دول العالم الثالث الكبرى

مجمل الانتاج العلمي الاساسي :

يعترض كثيرون في العالم الثالث على استعمال المختصرات الدولية وبنوك المعلومات لقياس الانتاج العلمي لبلدانهم . واعتراضهم قائم على ان اكثرية المجلات العلمية الصادرة عن دول العالم الثالث لا تدخل في المختصرات وبنوك المعلومات الدولية ،

وان كثيرا من انتاج علماء العالم الثالث ينشر في هذه المجلات المحلية . وتتراوح الأسباب المذكورة لعدم ادخال مجلات العالم الثالث في المختصرات الدولية بين ضعف هذه المجلات وعدم استمراريتها من جهة . وبعض التعصب ضد علماء العالم الثالث والسياسة التي تحكم علاقة العالم الثالث بالعالم المتقدم من جهة اخرى . ومهما يكن الامر فان جزءا مهما من الانتاج العلمي العربي الاساسي يضيع . لعدم نشره في مجلات عالمية . [illegible] بنوك معلومات دولية . [illegible] هذه البنوك [illegible] من مجتمع العلم الدولي . وغير منشور في مجلة علمية . [illegible] . لا [illegible] نشر [illegible] خاص

[illegible] تقدير حجم المنشورات الصادرة عن العلماء العرب التي لا تدخل في بنوك المعلومات [illegible] في جامعة [illegible] العرب . [illegible] دراسة عينة من [illegible] العلماء العرب . [illegible] بطلبات عمل . وتقدموا لجوائز علمية . وقسمت المقالات التي ذكروها في سيرهم الذاتية الى ما هو في مختصرات عالمية ومقالات محلية . وقد [illegible] هؤلاء العلماء تتوزع [illegible]

والاختصاصات المختلفة في قطاعات العلم العربي .

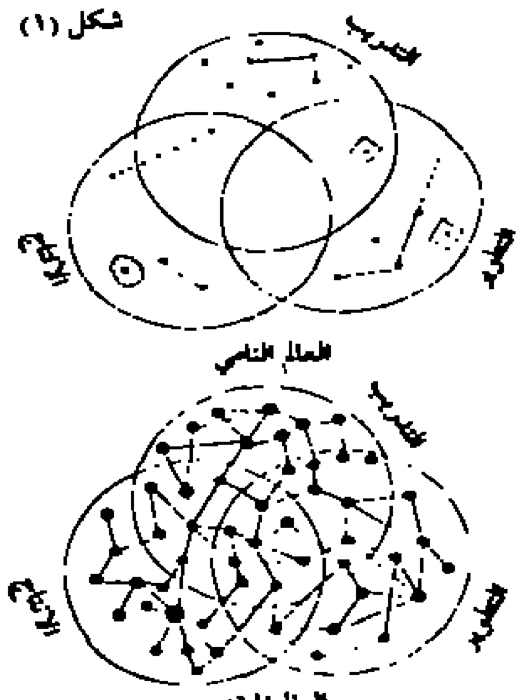
وقد تبين ان هذه العينة من العلماء العرب قد نشرت حوالي ٦٠ مقالة في مجلات علمية ، مقابل كل مائة في مجلات علمية تدخل في بنوك المعلومات ، فاذا اعتبرنا ان هذه العينة قريبة من تمثيل مجموع العلماء العرب فان مجموع ما ينشره العلماء العرب يزيد بحوالي ستين بالمائة عما هو موثق في بنوك المعلومات .

المجاعة العلمية :

يمكن تقدير عدد الباحثين العرب حاليا بما يقارب الاربعين الفا ، وسواء اعتبرنا انتاجهم المنشور اربعة آلاف او ستة الاف وخمسمائة مقالة علمية في السنة فان هذه الانتاجية منخفضة جدا ، واقل بعدة اضعاف من انتاجية العلماء العالمية .

ان اول الاسباب التي يمكن ان نفسر بها هذه الانتاجية المنخفضة هي الاسباب المالية ، فنحن نصرف اقل من ٠٫١٪ من دخلنا القومي على البحث والتطوير ، بينما تصرف الدول المتقدمة ستة او سبعة اضعاف هذه النسبة ، وحتى دول افريقيا وامريكا

شكل (١)



اللاتينية تصرف نسبا اكبر على البحث العلمي .

واذا حسبنا المبالغ التي تصرفها على كل باحث عربي يتضح لنا اننا ابخل اهل الارض قاطبة على علمائنا ، فبينما تصرف امريكا الشمالية ٧٦ الف دولار لكل عالم ، وتصرف اوروبا ٧٥ الفاً وآسيا ٤٥ الفاً وافريقيا ٥١ الفاً تصرف الاقطار العربية ٣٠ الفاً فقط .

قد لايكون من الممكن اجراء ابحاث علمية بمصروف أقل من مصروف الاقطار العربية فان احداً غيرنا لم يتمكن من ذلك وهذا قد يعني ان عنق الزجاجة في الانتاج العلمي هو في المصروف على هذا الانتاج .

والمهم ان زيادة المصروف على كل باحث تقود حتما الى زيادة الانتاجية بنسبة تفوق بكثير نسبة المصروف الاضافي ، فالثلاثون الف دولار المذكورة في الجدول تدخل فيها رواتب الباحثين ، وكلفة البناء ، والأدوات ، والادارة ، والصيانة ، الخ ، ومايصرف فعليا على البحث العلمي الفعلي هو جزء يسير جدا من هذا المبلغ . والباحث الذي يعمل على مستوى قريب جدا من « المجاعة العلمية » لا يمكن ان ينتج انتاجا ذا بال .

ولكن لعل هناك اسباباً اخرى غير المال تعوق تقدم انتاجية العلماء العرب وربما انعدام سياسة علمية تركز جهود الباحثين العرب في مواضيع محددة بحيث تتألف منهم الكتل الحرجة القادرة على الانتاج العلمي الجدي هي السبب الأهم في ضعف انتاجية العلماء العرب . ونحن نعتقد ان هذا عامل اهم من الضآلة المالية الخانقة .

تصنيف المنشورات العلمية العربية :

من أجل أن نصنف المنشورات العلمية العربية في المواضيع المختلفة انتقينا جميع المنشورات العربية المذكورة في الشهرين الأولين من فهرست المصادر (Citation Index) لسنة ١٩٨٥م ، فكانت (٥٠٤) مقالات ، ودرسناها بالتفصيل ، فتبين لنا ان

العلوم الطبية تستحوذ على حصة الأسد من المنشورات العلمية العربية (٤٤٪) ، وتتفاوت هذه الحصة بين قطر وآخر ، اذ انها تتراوح بين ٣٤٪ في مصر و٧٨٪ في قطر . ويظهر ان الاقطار التي تأسس فيها البحث العلمي قبل غيرها تتجه الى البحث العلمي في حقول اخرى ، بينما يسيطر الطب على البحث العلمي في الاقطار الحديثة العهد بالبحث العلمي ، اي ان البحث العلمي يبتديء في قطر ما اول مايبتديء في المواضيع الطبية ، وهذا منتظر ، لأن كثيرا من المنشورات الطبية ما هو الا نتيجة مباشرة للممارسة الفعلية للطب ، ولامكانية القيام بالبحث العلمي بالاعتماد على المختبرات والاجهزة الموجودة اصلا للممارسة العملية . ويساهم في ذلك ايضا التدريب الجيد الذي توليه الدول الناشئة لاطبائها ، وطول مدة هذا التدريب ، ويلفت النظر في هذه اللائحة مركز لبنان والسودان ، فمع عراقة البحث العلمي فيهما نجد ان الطب يستحوذ على نصف المنشورات العلمية في لبنان وثلاثة ارباعها في السودان ، واذا تذكرنا ان هذا حاصل في قطرين يشكوان من الحرب الأهلية المزمنة فقد يعني ان البحث العلمي في الطب هو ايضا اكثر تأصلا واصعب اجتثاثا عندما تضعف الابحاث العلمية الأخرى .

تأثير البحث العلمي العربي :

للبحث العلمي الأساسي فوائد مباشرة ، هي نتيجة نشر المقالات العلمية ، وهذا مالا يمكن قياس بعضه ، لكن لعل الفوائد غير المباشرة أهم في الدول النامية ، فمجرد قيام الاستاذ الجامعي ببحث علمي - سواء نشره ام لم ينشره - يحافظ على مستواه العلمي كأستاذ ، كما يفتح الباب امام قيام دراسات عليا وتدريب لعلماء شبان .

وينشر العلماء مقالاتهم في المجلات العلمية لكي يتمكن العلماء الآخرون من الحصول على هذه المعلومات والبناء عليها وتطويرها إما في اتجاه البحث العلمي الاساسي او التطبيقي .

ويصعب كثيرا قياس تأثير المنشورات العلمية على العلم التطبيقي ، اذ ان كثيرا من نتائجه قد تبقى سرية ، وحتى المنشورة منها قد لا تحتوي على اشارات كاملة لمصادرها جميعها والاستثناء الهام للسرية هو في مجال العلوم الطبية والتي تؤلف المنشورات فيها ما يقارب نصف المنشورات العربية وفيها يظهر ضعف تأثير هذه المنشورات على صناعة الأدوية العربية أو ممارسة الطب في العالم العربي او سياسات وزارات الصحة لكن قياس تأثير منشور ما على البحث العلمي الاساسي ممكن بالرجوع الى فهرست المصادر الذي يعدد المنشورات العلمية التي تذكر مقالة ما كمصدر اعتمدت عليه . وهنا حاولنا تصنيف المقالات التي ترجع الى عينة من المنشورات العربية الى ثلاثة اقسام :

١ - مقالات من نشر المؤلف نفسه (او الفريق نفسه) ، ويشترط فيها ان يكون احد مؤلفيها مذكورا مع التأليف في مقالة يمكن تحديدها . والعدد الذي حصلنا عليه هو الحد الأدنى ، اذ أننا قد لا نستطيع التعرف على مؤلفين من نفس الفريق .

٢ - مقالات نشرها مؤلفون من اقطار عربية .

٣ - مقالات نشرها اجانب .

ثم حاولنا ان نجيب على السؤال من الاتجاه الآخر ، اي الى من يرجع المؤلفون العلميون العرب في مقالاتهم . ولذلك اخترنا عينة عشوائية من مقالات نشرها علماء عرب في العلوم المختلفة ، وصنفنا المصادر التي رجعت اليها هذه المقالات التصنيف المذكور اعلاه فتبين لنا ان البحث العلمي العربي مايزال مشرذما ، بحيث ان ابحاث عالم عربي قلما تؤثر على ابحاث عالم عربي آخر الا في العلوم الاجتماعية ، وهذا متوقع لحداثة العلم الطبيعي في الوطن العربي ، ولضآلة حجمه ، ولأنه لم يصل الى درجة (الكتلة الحرجة) عندما تتفاعل اجزاؤه مغذية بعضها بعضا وتكون العديد من المنشورات العربية

الجيدة في العلوم الاجتماعية منشورا باللغة العربية .

ولعدم وجود السياسة العلمية الهادفة الى زيادة تفاعل العلماء العرب . وعدم وجود الخطة العلمية الهادفة الى تركيز البحث العلمي في مواضيع محددة ولذلك مايزال العلم العربي - اكثره على وجه التقريب عدا العلوم الاجتماعية - مرتبطا بأصوله الغربية . اي اننا ما نزال في طور التبعية العلمية للغرب

نموذجان للنظام العلمي التقني :

كثيرا ما يلجأ المرء الى استنباط النماذج . في محاولة لفهم النظم المعقدة . والتحكم في اتجاهه من التحكم فيها . والنموذج المنشود هو تبسيط لعمل النظام العملي بقدر الامكان . مع عدم ابتعاد الأمر عن الواقع . وهذا امر ليس ممكنا [illegible] . فالتبسيط هو في جميع الحالات ابتعاد عن الواقع المعقد . والنجاح في استنباط نموذج مقبول وتطويره يعتمد على الترجيح او المعادلة بين التبسيط والابتعاد عن الواقع . ولكن شخص حر في ان يقبل النموذج المعروض عليه او لا يقبله . والنموذج الناجح هو الذي يقبله عديد من الناس ويسهل عليهم الفهم والتفكير في الخطة التي يمثله ذلك النموذج. ومهما يكن النموذج لأي نظام فلا يمكن التفكير فيه بمعزل عن العوامل التي يعمل النظام ضمنها . واهمها الخصوصية والجوانب التي يوفرها المجتمع وهذا بدوره يعتمد على ما ينتظره المجتمع من ذلك النظام

يتبع النموذج (الكلاسيكي) لعمل النظام التقني من الدراسة التاريخية لتطور التقنية في البلدان الغربية . ومن دراسة تطوير [illegible] هذه البلدان ويقسم هذا النموذج التقدم التقني الى اربع مراحل . وهي البحث الاساسي والبحث التطبيقي والتطوير والانتاج

ولا تكمن [illegible]

[illegible]

الاساسية . وساقها العلوم التطبيقية . واوراقها وغصونها التطوير . وثمرتها الانتاج . فاذا قبلنا هذا النموذج تصبح (استراتيجية) تطوير النظام التقني واضحة . ويجب ان نبدأ بتقوية العلوم الاساسية . فكل دعم للبحث العلمي الاساسي سيقود عاجلا او آجلا الى الثمرات التقنية . شكل (٢)

ويزيد من قبول هذا النموذج انه يعطي التبرير للأكثرية الساحقة من المهتمين بدراسة النظم التقنية - من العلماء الاساسيين او الذين مارسوا البحث العلمي الاساسي سنين عديدة - [illegible]

اما النموذج الثاني الذي نود ان نعرضه فهو مستمد من النظر في عمل النظام العلمي التقني في العالم المتقدم . وفي العالم الثالث . وهو ناتج اساسا عن مقارنة بين النظامين . في محاولة للتعرف على التعديلات التي يجب ادخالها في انظمة العالم الثالث التي تسعى [illegible] العالم المتقدم . وقد قمت بتطوير هذا النموذج بالاشتراك مع الاستاذ يوسف الشيراوي وزير التنمية في البحرين . وقد عرضنا هذا النموذج في احدى الحلقات الدراسية . في حلقة استراتيجية العلوم في دمشق . ويتألف النموذج من ثلاث دوائر . تمثل كل واحدة منها حقلا من حقول العمل في المجال التقني العلمي . وهي

١ - البحث والتطوير

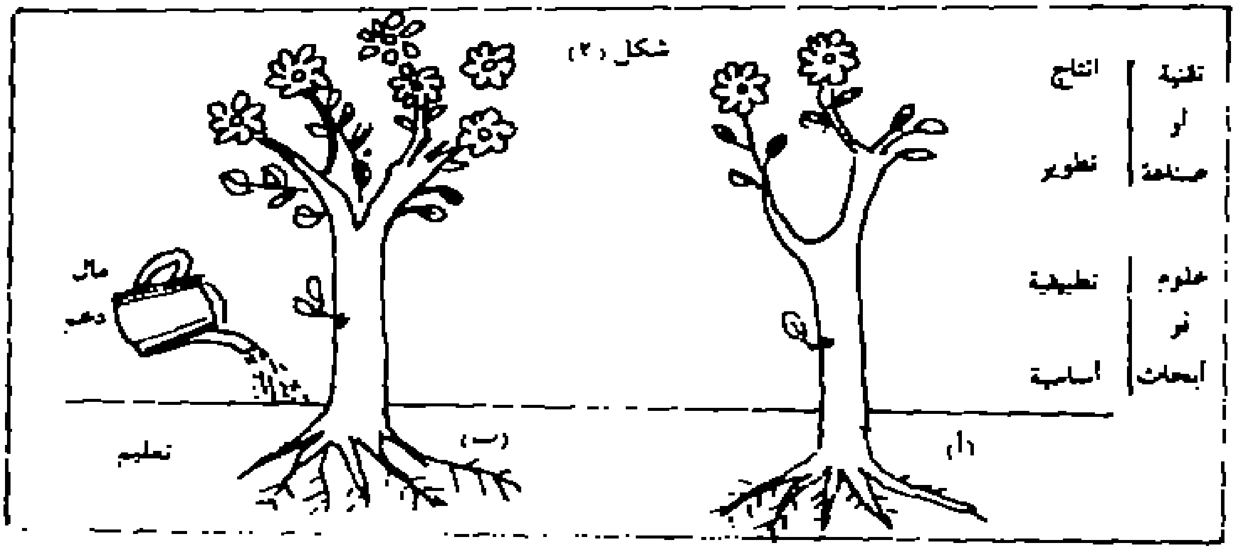
بما فيها الابحاث الاساسية والتطبيقية والابحاث الابداعية او الابحاث التحويلية [illegible]

٢ - التعليم والتدريب

في جميع مراحله واشكاله . [illegible] غير الرسمي الذي لا يقود الى [illegible] شهادة ...

٣ - [illegible]

[illegible]



فروع المعرفة او الانتاج

وبتمثل كل عنصر في احد هذه المجالات (عامل او مؤسسة أو جزء من مؤسسة) بنقطة قد تقع في مجال واحد من هذه المجالات ، او في اكثر منها ، او في ثلاثة معا شكل (١) .

وتتميز الدول المتقدمة عن دول العالم الثالث بعدة عوامل:

١ ـ حجم العناصر : فهي اكبر بكثير في العالم المتقدم

٢ ـ وجود هذه العناصر داخل الحلقات … نجدها هامشية في الدول المتأخرة ، وتتواجد عناصر كثيرة في العالم المتقدم ، تتولى القيام بأكثر من مهمة فهي اذن تقع ضمن دائرتين او ضمن دوائر ثلاث ، بينما تتمركز هذه العناصر في العالم …

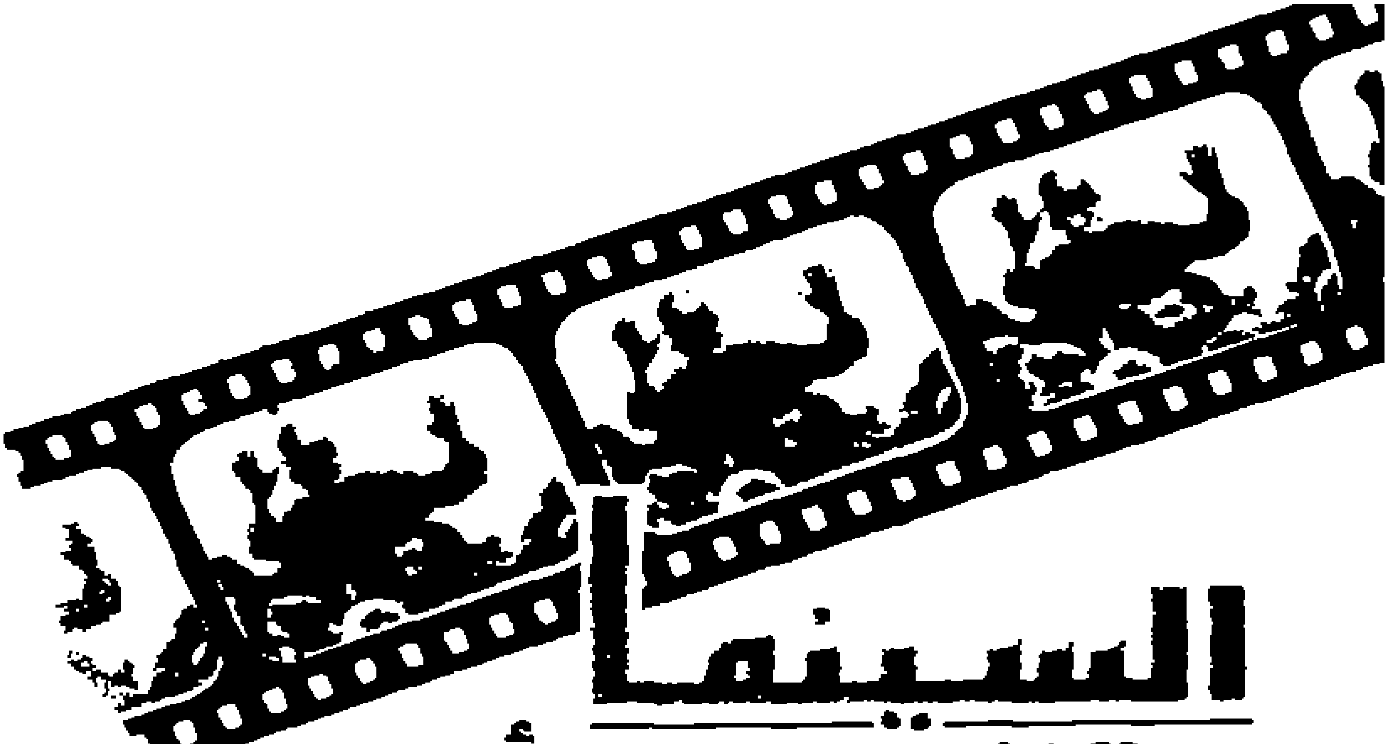
٣ ـ ترابط العناصر بحيث تؤلف شبكة متكاملة يشد بعضها ازر بعض ، بحيث لا يضيع … المجهود في احد المجالات الثلاثة ، بل تتعداه الى المجالين الاخريين

وتتمثل طرق الربط الشبكي … للاشخاص ، والاستعمال المشترك للمراكز ، والدعم المالي المباشر بين مؤسسة واخرى ، كما تتمثل بترتيب وظائف المؤسسات او الاشخاص ، بحيث تشمل الوظائف الثلاث …

نجد ان العناصر في العالم الثالث منفصلة عن بعضها بعضا تماما ، واذا كان لاي منها ارتباط فهو مع اخوته العربية لا مع العناصر الاخرى في المجتمع نفسه . وحتى النظم واللوائح التي تسير عليها مؤسسات العالم الثالث فانها قلما تخلو من نصوص تمنع التعاون بين هذه المؤسسات والعناصر الاخرى في المجتمع

ولعل نجاح العلوم الطبية عن غيرها في الدول النامية يرجع بدرجة كبيرة ـ الى كون الانتاج فيها وهو التطبيب والبحث العلمي والتدريب للمساعدين في صلب العمل (الأكاديمي) الطبي . فالحقول الثلاثة متواجدة بشكل طبيعي في مجال الطب .

والمهم في الامر ان (الاستراتيجية) التي يتبعها اصحاب القرار في تطوير النظام التقني في بلد ما تعتمد على النموذج الأكثر اقناعا لهم . فاذا ما اختاروا النموذج الاول اصبحت (استراتيجيتهم) تقوم على دعم البحوث الاساسية بشتى انواعها ، اما اذا اختاروا الثاني فعليهم اختيار مواضيع يحصرون فيها العمل ، وتيسير الوسائل للحصول على الكتلة الحرجة ، واكمال النواقص (واهمها وصل العناصر) . لقد اختارت اكثر الاقطار العربية النموذج الأول اساسا ، نظرا لصعوبة اتخاذ القرارات في حصر البحث العلمي في مجالات قد تظهر بعد علامات نجاحها ولا يمكن ان تظهر □



السينما وعلاقتها بالفنون الأدبية

بقلم : محمد صوف

عندما انطلقت السينما كانت فنا ، يعنى بالدرجة الأولى بالصورة . وباستعمال دقيق لعدسة تصوير ، يمكن التقاط صورة متحركة لشخص أو حيوان أو شيء ما . تلتقط العدسة بدقة متناهية اللون والشكل ، هادفة إلى إعادة إنتاج أمينة للواقع . ومع ذلك تظل هذه العملية جزئية ، إذ لا تتمتع بالصورة ساعة عرضها سوى العين . وبعد ظهور تقنية الصوت ونجاحها صاحبت الصورة ، وأمتعت الأذن أيضا . لكن المتعة بالصورة والصوت عبر حاستي البصر والسمع لا تأت تلقائيا ، ولن تأتي كذلك . إذ لا بد من شخص يختار ويعمل ، أي يتدخل بمعرفته وذوقه ورؤيته وزوايه . ووجود هذا الشخص خلف العمل ينفي إمكانية الاعادة الأمينة لانتاج الواقع . بل ويذهب إلى إدخال عناصر جديدة . توهم بالحقيقة ، في حين أنها غير ذلك ، كالممثل والديكور إلخ . إنها لا تعيد إنتاج الواقع . بل تنقله من خلال الموضوع ، والايقاع ، والتقطيع الفني ، والتمثيل ، والديكور ، والحوار ، والصورة ، وهي هنا تتوافق مع فن الأدب . ولا تكمن حقيقتها إلا في الكيفية التي تعبر بها عن الواقع

وقد كان هذا التعبير في البدء عبارة عن مزج بين الصورة والحوار المكتوب . يرى المشاهد الصورة وشفتي الممثل تتحركان في حديث لا صوت له . ثم تختفي الصورة ليظهر له ما قالته الشخصية مكتوبا . وهو أسلوب يولد تفاوتا بين التعبير الواضح والتعبير الغامض . ويفسح المجال لتدخل المؤلف في السرد السينمائي . كي تسمح بذلك الرواية لكاتبها . والحوار المكتوب في هذه الحالة ينحصر دوره في خدمة الصورة وإضاءتها . وهو تابع لها . لا يستمد وجوده إلا من وجودها . وبدون حاجتها إليه يفقد كل مبرر في ضرورته . وبعد أن تطورت التقنية وبدأت

تسمح للصوت بأن يصاحب الصورة ، تطورت الحاجة إلى الصوت ، وأصبح التعبير السينمائي دونه ناقصا ، إذ يعتبر غياب مزج الصورة والصوت والموسيقا والمؤثرات الصوتية بترا ، وقد سمحت تقنية الصوت للصورة ان تنطلق دون حمل هم التفسير المكتوب ، وأصبح الفنان يستطيع إنجاز تركيب سريع متلاحق للقطات التي تقبلها العين ، وتتفاعل معها ، دون إحراج ، وأعطى هذا الأمر - بدوره - للسرد السينمائي متانة ، تمكنه من تحقيق تناغم على مستوى الايقاع ، وثراء تعبيري ، وخصب إبداعي ، يتولد عن تضافر جهود الصورة والصوت .

فالصوت إذن قد أضاف للسينما شحنة جديدة ، جعلته يتجاوز دور الحوار المكتوب في خضوعه للصورة ، وأصبح يحظى بتفاعل جدلي معها ، وأحيانا يتوازى معها في الفاعلية ، وحينا آخر يصبح عنصرا مضادا لها ، حسب ما تقتضيه الضرورة الابداعية ، وهدف التبليغ الذي يسعى إليه السينمائي . ويتم التعبير السينمائي عبر تركيب وأسلوب يأخذ بها ميزة اللغة ، فهو كاللغة المكتوبة ، يستعمل الفصول والجمل والنقط ، والفواصل المصورة تأخذ في قاموس السينما مصطلحات كالوحدة الدرامية واللقطة ، واللقطة الكبيرة ، إلخ ، واستعمال هذه المكونات يجعل فن السينما أسرع من فن الكتابة في ترجمة الفكرة والخيال ، وإعطاء رؤية جديدة للعالم بواسطة إسراع حركة الصورة أو إبطائها مؤدية وظيفة شعرية ، أو بتثبيت انتباه المتلقي ، واختيارها لرؤية توجه نحوها الاهتمام ، دون أن تغير الواقع باستعمالها للقطة الكبيرة أو لتقنية الترتيب المضاد .

السينما والملحمة

الملحمة عمل أدبي يخلد موضوعا وطنيا كبيرا ، ونوع ثري من الأنواع الأدبية ، وإن كان ثراؤه محدودا ، حيث أنه قد يتعرض للجهل خارج البلد المعني بالأمر ، وفيه الأسطورة تمنح للسرد ميدانا واسعا ، يتحرك فيه بامكانيات كبيرة . وأشهر ملاحم التاريخ هما الالياذة والأوديسا ، حتى أن بعض الناقدين وصف الأولى بأنها قصيدة كل الحروب ، والثانية بأنها قصيدة كل الرحلات . وطابع الملحمة يجعلها أسطورة جاءت من الزمن القديم ، وبالتالي يجعل من حداثة الحربين العالميتين - الأولى والثانية - ما يمنع أن يحمل أي عمل أدبي عنهما صفة الملحمة ، وكذا ثورة أكتوبر في الاتحاد السوفياتي . ولعل أقرب الوقائع الكبرى في التاريخ إلى الملحمة هي احتلال الغرب لأمريكا . والحروب الأهلية التي أعطت الميلاد لشخصيات ملحمية ، أصبحت أساطير يرددها الأمريكيون ، دون أن تلقى ملحميتها معارضة ذات أهمية ، نظرا لقدمها ، ولاختفاء شخوصها من أبطال وشهود ، وهذا سبب جعل السينما الروسية تكتفي بتقديم بيير الأكبر وإيفان الرهيب ويلاحظ على هذين العملين أنهما معنونان باسمين لشخصيتين تاريخيتين ، وذلك لأن الملحمة تعتمد على وجود شخص كمحور ، تدور حوله الأحداث ، ولا يبتعد بطل الملحمة كثيرا عن النجم السينمائي الذي جعله نظام النجوم « الستار سيستم » يحظى بهالة من الاهتمام والاقبال ، فشخصية (زورو) و (درتاكتان) و (روبان دي بوا) و (أوليس) شخصيات لها علاقة ملحمية بدوكلاس فيربانكس ، وجون وين ، وجان ماريه . والتركيز على شخصية واحدة تتمحور حولها الوقائع مسألة حيوية بالنسبة للشريط السينمائي ، تجعل منها نقطة التقاء مع الملحمة ، ووجود هذه الشخصية يعطي بالضرورة وجود شخصيات تحرك الصراع ، أشهرها شخصية الخائن التي تسعى إلى تحطيم البطل ، بينما يسعى البطل إلى القضاء عليها ويكبر عنصر الفرجة والاثارة .

نظرة قصيرة على الالياذة والأوديسا تجعلنا نكتشف أنهما تحفلان بالمواضيع السينمائية ، من صراعات

فردية وجماعية ، ومبارزات بين الأبطال وأعداء الحق الخونة ، (أوليس ضد الطامعين في الحصول على زوجته) ، والمطاردات (هكتور وآخيل) ، وكذا لحظات الوداع المؤثرة ، والمشاهد اللامألوفة كما في الجزيرة العجيبة ، والانتصار على الوحش رغم طاقته التي تفوق طاقة الانسان ، والروحة المخلصة بينلوب . ويجعل تنوع الاثارة من الملاحم « سيناريوهات » جيدة ، تتعانق فيها بساطة التركيب وانسيابية الأحداث ، حيث تتابع الحلقات مترابطة مشدودة إلى موضوع رئيسي ومركزي . وعن هذا تولدت فكرة المسلسل ، والمسلسل ليس سوى نقل للتقسيم الملحمي .

السينما والرواية

إن السرد ـ بطبيعته ـ يقترب من المادة (الدرامية) أكثر من اقترابه من المادة الروائية ، إلا أن الرواية تتميز بقدرتها على تناول السرد وتطويره وإغنائه في إطار خارجي . تستطيع الرواية تقطيع السرد وإخضاعه لتحليل تجريدي ، يصعب على السينما إدراك عمقه . ومن هنا تأتي عملية نقل رواية إلى الشاشة شبيهة بتحويل العمل الروائي إلى « دراما » ، فكل شيء يصبح حركة . وبناء طبيعة السينما ، يتقيد هذا التعبير الحركي في زمن محدود جدا ، يبدأ وينتهي مع نهاية عرض الشريط ، في حين أن تلقي الرواية قد تمتد أياما أو ربما شهورا . ويستطيع السينمائي أيضا أن يقتحم ثلاثة أنواع من الرواية ، تلك التي تصور حقبة زمنية معينة ، وتلك التي تحكي حياة شخص وتطوره بتجارب وصراعات ، وأخيرا النوع الذي يجعل من سرد فترة زمنية قصيرة ، تتخللها أزمة ما موضوعا له . وفي النوعين الأوليين يقع اختيار السينمائي على لحظات ذات دلالة ، فهي لا تحكي الحقبة الزمنية المعنية بالتفاصيل « الرئيسية » ، ولا تعرض حياة شخصية بدقة تمتد على سنين ، بل تلتقط من هذه وتلك اللوحات الأساسية التي تختزل وتختصر تصوير مقاطع مختارة من عمل ضخم . ومهما حاولت السينما أن تجتهد في تقديم المهم من رواية « الحرب والسلام » لتولستوي ، أو من رواية « دافيد كوبر فيلد » لشارلز ديكنز ، فتراه العملية بجعل الصورة دائما قاصرة عن عطاء أكثر ، مما يحتلان به ، لكن رواية الأزمة التي تركز على فترة قصيرة عابرة من حياة فرد أو عائلة أو جماعة الخ تقترب أكثر من السينما . وتيسر عملية النقل إلى الشاشة وتحويل السرد إلى حركة . وأغلب الأعمال الأدبية التي نجحت السينما في إنتاجها وعرضها تنتمي إلى هذا النوع من الرواية . وترتاح السينما في تعاملها مع رواية الحركة أكثر من ارتياحها للتعامل مع الرواية التحليلية ، إذ أن هذا النوع ينحصر في سرد أزمة بعناصرها الزمنية ويعتمد على سلوك شخصياتها الخارجي ، الظاهر للعيان .

ومع ذلك فالفن السينمائي يعتمد في تعبيره على حلمس المتلقي . وهو في هذا يتأثر بالفن الروائي الذي يعتمد أيضا على ذكاء القارىء وتفاعله مع العمل . فالفن الروائي لا يقول كل شيء ، بل إن هناك بين السطور أشياء على القارىء أن يكتشفها . كما أن العناصر المكونة للعمل السينمائي تدع المتفرج يعتمد على بديهته ليكتشف ما لم يقله « الشريط » وهذه العملية لا تأتي إلا بعد مشاهدة طويلة ، تخلق الفة بين المتلقي والمشاهد ، كما خلقت هذه العشرة ألفة بين الرواية والقارىء .

السينما والشعر

إن الشعر باعتباره فنا أدبيا لا يعرف في السوق إقبالا إلا من طرف هواة القصيدة ، وتعامل السينما معه يطرح أولا إشكال الجمهور ، ويبقى السؤال المحاصر دوما : هل ينجح من يجري في خلق علاقة مع نوع أدبي لا يميل إليه إلا القلة ؟ حاولت السينما أن تتعامل مع القصيدة منذ بدايتها ، فتم انجاز الشريط الصامت المطلق ABSOLU ، وكان الفشل التجاري هو النتيجة المحققة لعرض قصيدة

مصورة . وما تزال أفلام القصيدة تفتقر إلى إقبال الجمهور الواسع . في حين أنها تلقى تشجيعا خلال المهرجانات . وبما أن في كل فنان جزءا من شاعر فإن بعضهم يحرص على إدخال الشعر في الفيلم التجاري بإدخال شخصية شاعر في الحبكة . وبالتالي تقديم نفس شعري للفيلم في خضم الحركة والتوتر . ليصبح الشعر جزئيا لكنه على الأقل حاضر . وكلما خرج الفيلم من إطار الحكاية العادية . ومن السرد المنطقي أمكن له أن يعانق القصيدة كما في فيلم « الجميلة والوحش » . و « العودة الخالدة » . حيث يفيد غياب عنصر السرد المكثف الأصالة الشعرية . وتفرض (تيمة) الصورة نفسها حين يسوقها الشاعر في نسق لا يخضع لمنطق السببية ولا للعقل . وقد سجل فلاهيرتي FLAHERTY - رائد الأفلام الوثائقية - جمالية شعرية ناجحة ومقبولة ولعل أنجح الأعمال الشعرية التي لا تخضع لمنطق هي الرسوم المتحركة التي تحملنا صورها إلى عالم جديد . والتي توفق في النقل البصري إلى الرؤية الشعرية . وكما في القصيدة لا ينخدع شاعر الصورة أو مخرج فيلم القصيدة بانفعالاته . بل يسهر على إعطاء الايقاع والأسلوب المناسبين لترجمة إلهامه . ولا قيمة لجمال الصورة إذا لم تهدف إلى التعبير عما يفرضه الالهام . وتبليغ الرسالة التي يرمي الشاعر إلى إيصالها . ومن هنا يأتي نجاح فلاهيرتي في نانوك . وموانا . ولويزيانا ستوري . إذ أخضع التجربة الشعرية لعلاقتها مع الواقع . وحرص على قيمة الايقاع في تبليغ الدلالة وترجمة الأحاسيس .

السينما والمسرح

أما المسرح فهو أقرب الفنون الأدبية إلى السينما . من حيث التركيب . ومن حيث ضرورة الزمن التي تتحكم في الخشبة والشاشة . ثم إن أعظم الأفلام السينمائية بنت (سيناريوهاتها) على موضوع حاد وأبدي . حافل بالتعبير الحي . يمنح للفنان إمكانيات العطاء . والقدر بتفاعلاته و (ميتافيزيقيته) أعطى مادة خصبة للأفلام التراجيدية . وميزة التراجيديا أنها تتلخص في أزمة رئيسية محورية تتنامى وتتطور .

في حين أن الكوميديا تخضع الفيلم لقوانين الفرجة وإثارة الضحك التي تتحقق عبر التعبير بالصورة . وعن طريق الحركة الكثيفة . ونلاحظ في الأفلام الكوميدية الشهيرة أن الايقاع يحتل الصدارة في العمل الفني . انطلاقا من ميليس MELIES، ومرورا بماكس ليندر MAX LINDER، إلى شارلي تشابلن CHARLES CHAPLIN وكلما تخلت السينما عن تكثيف الحركة واعتمدت التعبير على الطباع البشرية بتقديها سقطت في « تسنيم » المسرح . إذ يصبح الحوار سائدا . وفيه تكمن قيمة الفيلم الأساسية ولعلها الوحيدة . والحدث والحركة يشكلان الركيزة الأساسية للفيلم الضاحك . وقد عرف تاريخ السينما أنجح ما أعطت (الكوميديا) وهو ذلك النوع الذي يأخذ شخصية نمطية . ويعمل على تبرير تصرفاتها عبر الحركة والحدث . مثل أفلام « شارلو » والثنائي « لوريل وهاردي » و « الأخوة ماكس » . وقد وصلت شهرة هذه الأفلام إلى درجة (الكليشيه) . كما أن الشاشة استفادت كثيرا من مسرح « الفودفيل » أو مسرح الشارع . حيث تصبح الحبكة آلية . وتخلق مشاهد موازية تناقضات مثيرة . تعتمد على المنطق المغلوط . وعلى سوء التفاهم . وهما من أنجع ما يثير ضحك المتلقي .

يبقى الحوار - وهو العنصر الأساسي في المسرح - غير ذي متانة في السينما لأن الصورة تطغى . ولأن (الدبلجة) تقتضي تسجيل الحوار بعد التصوير . محافظة على تطابق حركة الشفتين مع القول . وقد تخلت السينما عن قوة التعبير الشفوي المثير للعواطف والانفعالات في المسرح . معوضة ذلك بالصورة البليغة الناطقة دون أن تتكلم . غير أن هذا لا ينفي تأثير جودة الحوار في الفيلم . بل ينزع عنه فقط صفة الأولوية التي تجعل منه ضرورة على الخشبة بدونها لا يتحقق العمل المسرحي ☐

العربي عيونك على العالم

الموصل

تتحدث [illegible]

[illegible]

استطلاع : صلاح حزين

تصوير : طالب الحسيني

حين بلغنا الموصل كانت المدينة الخضراء تودع ربيعها الأول ، لتستقبل ربيعها الثاني ، فلكل مدن العالم ربيع واحد ، وللموصل ربيعان ، واحد في الربيع ، وآخر في الخريف ، وبين الربيعين تتزين المدينة وريفها بالثوب الأخضر الموشى بآلاف الورود الحمراء والصفراء والبيضاء ، مستقبلة السكان المحتفلين بأعياد مدينتهم الزاهية .



- [illegible] [illegible] [illegible] ، من أشهر للمآذن في العالم الإسلامي .



حين يأتي الربيع يخرج أهل الموصل إلى الغابات القريبة ، والجبال الخضراء ، ومساقط المياه المجاورة ، ويرقص الشباب والفتيات ، ويتقافز الأطفال بين الأشجار ، ويتمرغون فوق العشب الذي استطال فجاوز أحجامهم الصغيرة . ويتأمل الكبار في الأفق الممتد فوق السهول والجبال التي شهدوها صغاراً و يافعين . هاهي الجبال والسهول والغابات تواصل عادتها الخالدة في استبدال ثوب بثوب ، ولون بلون . وتموت أجيال ، وتأتي أجيال ، ويزول الناس البسطاء كما زال ملوك « اشور » العظام . وكما زال البابليون والسلوقيون والفرس والتتار ، وكل الغزاة الذين مروا بهذه المدينة العظيمة . ولا تزول الجبال والسهول والغابات والمياه الجارية ، بل تبقى شاهدا على جبروت الانسان وضعفه ، وعلى مجده وعاره ، وعلى حياته وموته الذي تعددت أسبابه .

حين بلغنا الموصل كانت الحرب هناك أيضا . فقد كانت المدينة تودع شهيدا سقط في الحرب التي اشتدت في الجنوب ، فاكتوى بنارها الشمال ، وألقت بظلها على كل شيء . لكن متى انتهت الحرب هناك ؟ ومتى غادرت الحرب أرض الموصل ؟ لقد بنيت الموصل بالقرب من أطلال مدينة نينوى القديمة ، حاضرة الأشوريين الذين لم يخل عصر منذ من ملوكهم من حملة أو أكثر . حتى طغى الجانب العسكري من نشاطهم على ماعداه ، مما جعل بعض الباحثين لايرون فيهم غير أمة من الجند والقادة المقاتلين والملوك القساة المستبدين ، ويتهمونهم باتباع سياسة النار والحديد مع الأقوام المجاورة ، رغم ما عرف عن بعض ملوكهم العظام من اهتمام بالعمارة والفنون والأدب الذي حفظ منه كثير

بعد الأشوريين جاء البابليون ، ثم السلوقيون ، فالساسانيون ، وأقوام أخرون غيرهم ، ثم جاء الفتح العربي الاسلامي . وفي كل عهد من هذه العهود كانت الحرب هناك لاتبارح . لذا كان السور المنيع الذي يحمي المدينة إحدى ضروراتها ، فكان سور نينوى القديم ، ببواباته الخمس عشرة التي أخذت أسماء الآلهة الأشورية ، مثل بوابة شمس ، وأود ، وسن ، وغيرها . ثم بعد ذلك كان سور الموصل الشهير بمتانته الذي لم يبق منه الآن غير تلك القلعة الحصينة المسماة « أشطابيا » الواقعة على ضفاف دجلة ، تروي قصة الغزاة الذين وقفوا على أعتابها دون أن يقتحموها . قال عنه ابن بطوطة : « إنه من أسوار الدنيا المعظم ، وأنه لم ير مثله في أسوار الدنيا إلا السور الذي على مدينة دهلي حاضرة ملك الهند » . وزارها الرحالة الأندلسي ابن جبير فكتب : « وهذه المدينة عتيقة ، ضخمة ، حصينة ، فخمة ، قد طالت صحبتها للزمن ، فأخذت أهبة استعدادها لحوادث الفتن ، قد كادت أبراجها تلتقي انتظاما لقرب مسافة بعضها من بعض » .

حين هدمت المدينة سورها

ومع ذلك فإن التاريخ يروي لنا حادثة طريفة ، اضطر فيها أهل الموصل إلى هدم سور مدينتهم بأيديهم . فقد ذكر المؤرخون أن الموصل ثارت على هارون الرشيد سنة ١٨٠ هـ ، فجرد حملة على المدينة ، وهدم حرمة من السور ، وأرسل مناديا في المدينة يقول : « من هدم ما يليه من السور فهو آمن » . فهدم الناس سور مدينتهم بأيديهم .

وظلت المدينة بلا سور فترة طويلة من الزمن قبل أن يبنى من جديد ، ليهدمه المغول ، ويعاد بناؤه ثانية ، وتبليه الغزوات العديدة والزمن ، فيتحول إلى أطلال وأنقاض بعدما دخلت الحروب عصر المدفعية الثقيلة والطائرات والصواريخ . وبعد ما عجزت أسوار المدن عن حماية سكانها . فقامت بلدية الموصل ببيع ما تبقى من أنقاض السور بعد عام ١٩١٥ ، فكان ذلك فصل الختام في تاريخ السور الحصين ، وبداية عهد جديد للمدينة التي شهدت فجر التاريخ . فماذا سجل التاريخ عنها ؟

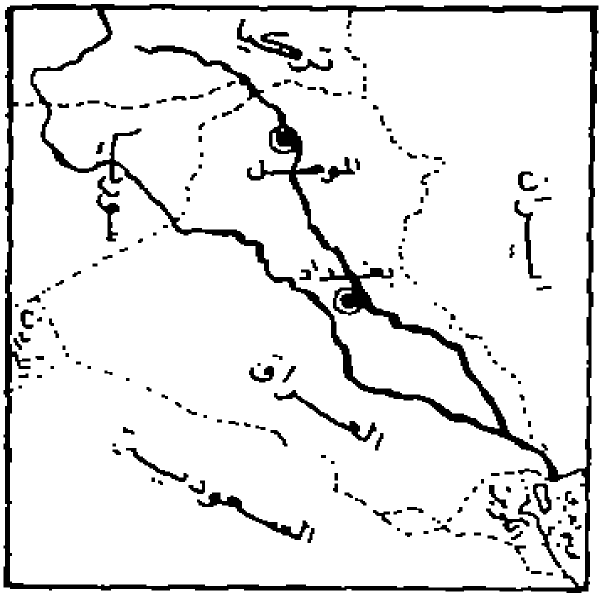
« هي خط الركبان ، ومنها يقصد إلى جميع البلدان ، فهي باب العراق ، ومفتاح خراسان ، ومنها يقصد إلى أذربيجان ، وكثيرا ماسمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة : نيسابور ، لأنها باب الشرق ، ودمشق ، لأنها باب الغرب ، والموصل ، لأن القاصد من الجهتين قل مالا يمر الا بها . . وما عدم شيء من الخيرات في بلد من البلدان إلا وجد فيها » . هكذا وصف ياقوت الحموي الموصل في زمن غير هذا الزمن . فماذا عن تلك المدينة العراقية الواقعة على بعد ٢٦٨ ميلا إلى الشمال من بغداد اليوم ؟

لقد قدم لنا ياقوت المدينة باعتبارها جسرا يربط بين حضارات مختلفة ، في أماكن مختلفة من العالم ، ولذا كان اسمها الموصل . يقول ياقوت : « قالوا سميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق ، وقيل وصلت بين دجلة والفرات ، وقيل لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة ، وقيل بل الملك الذي أحدثها كان يسمى الموصل »

غير أن هناك من يقول أن الموصل ما هو إلا تحريف لكلمة « موسيلا » ، وهو الاسم الذي أطلقه على المدينة القائد اليوناني « زينفون » ، حينما مر بها بصحبة عشرة آلاف مقاتل في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد

وفي الواقع أن الموصل مدينة متعددة الأسماء والأوصاف . فقد سماها الآراميون حصن عبرايا ، وسميت هي ونينوى بالحصنين ، كما سميت بالحدباء لاعوجاج دجلة عندها ، واحديداب الأرض القائمة عليها ، ووصفت بالبيضاء والفيحاء وبالخضراء لاخضرار بقاعها وجدرانها بعد سقوط الأمطار ، ولقبت أيضا بأم الربيعين ، لأن خريفها معتدل كربيعها .

وحين بلغنا الموصل كانت أعياد الربيع الأول قد انتهت ، فخلدت المدينة إلى السكون بين ربيعيها .

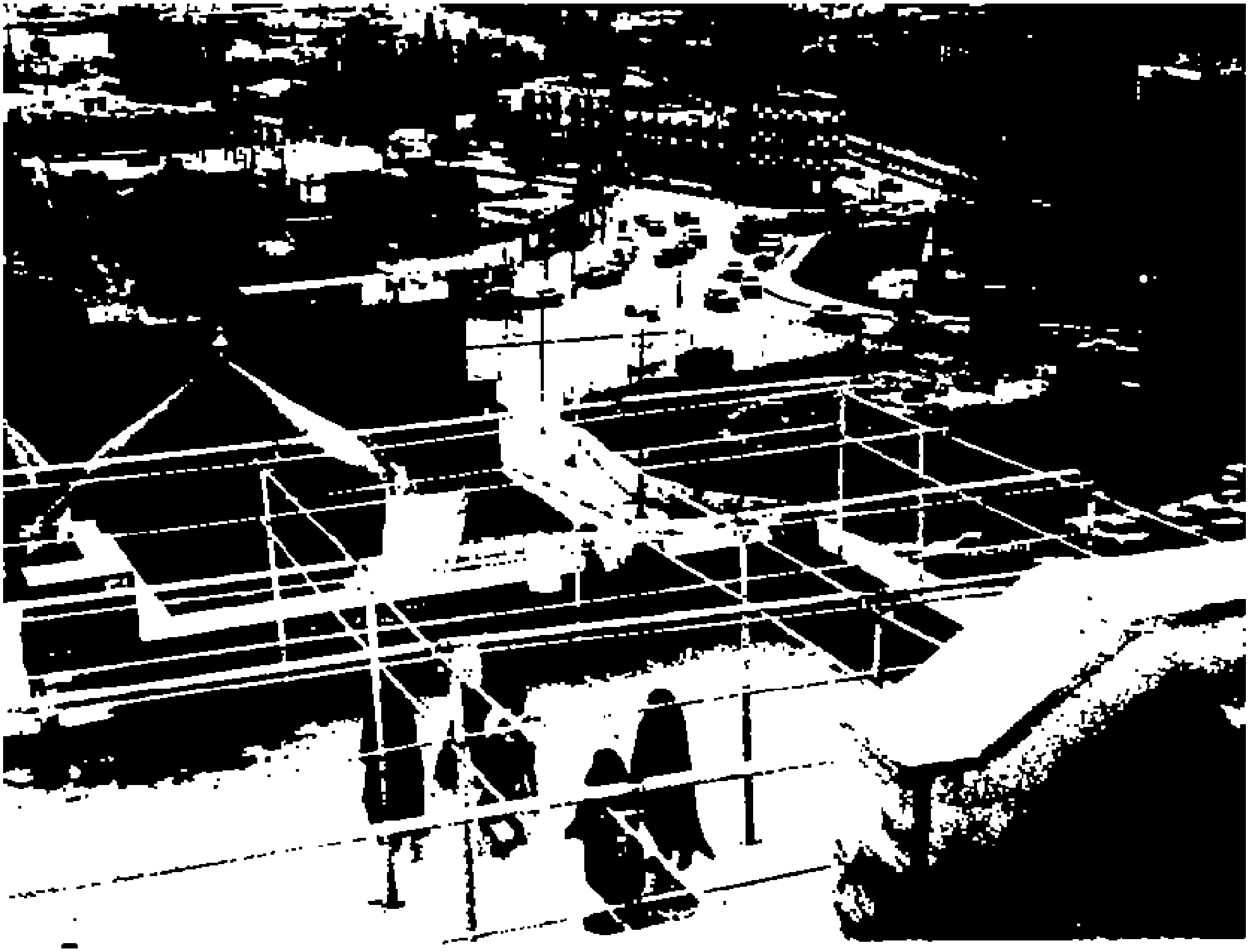


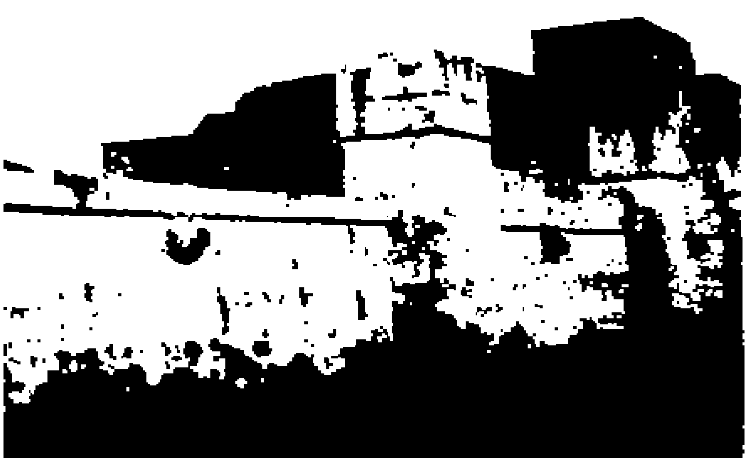
الموصل

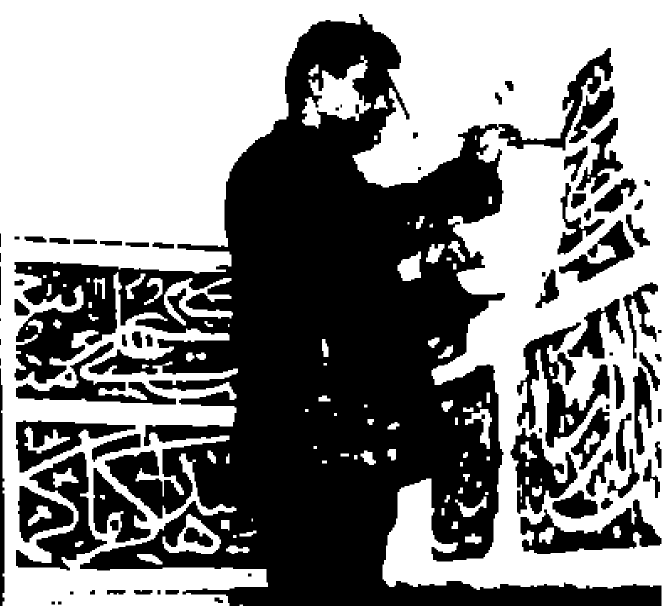
سباق مع الغروب

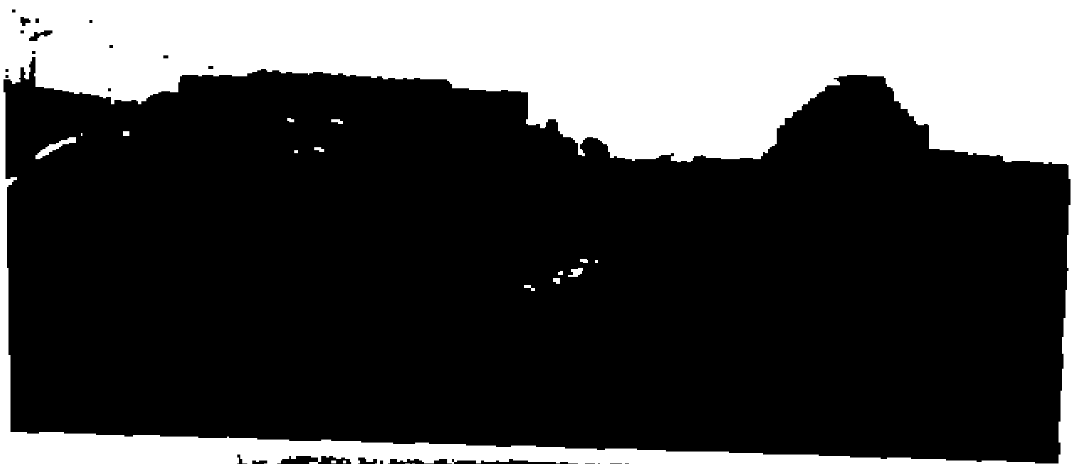
لانخيل في الموصل إلا نخيل الزينة في الشوارع الفسيحة والساحات الكثيرة التي تزين المدينة وتعلن عن الاهتمام بها . وبهذا تختلف الموصل عن مدن العراق الجنوبية المكتظة بالنخيل . وليس في الموصل ذلك المشهد الأحمر المغبر الذي يميز جنوب العراق ووسطه ، بل الخضرة النضرة والشوارع التي اعتادت نزول المطر ليغسلها ، والساحات التي انتقت مياهها النوافير ، والأبنية الحديثة العديدة والجسور التي تربط شطري المدينة القائمين على نهر دجلة الذي يخترقها . وعلى أطراف المدينة تشابكت أشجار الغابات ، فوق بساط من العشب الطالع من الأرض الحمراء ، بساط يفرشه سكان المدينة حين يخرجون إلى الغابات للاحتفاء بالربيع ، بساط لمتعة الأطفال وتأمل الشيوخ ورقص الشباب حين يخرجون في استجابة عفوية لنداء الطبيعة الغامض

في داخل المدينة كانت الحياة تسير ، والناس والسيارات والعربات والمركبات والباعة والمشترون والمتنزهون والمتسكعون والواقفون على الأرصفة يمارسون عادة الانتظار التي ألفها البشر منذ آلاف







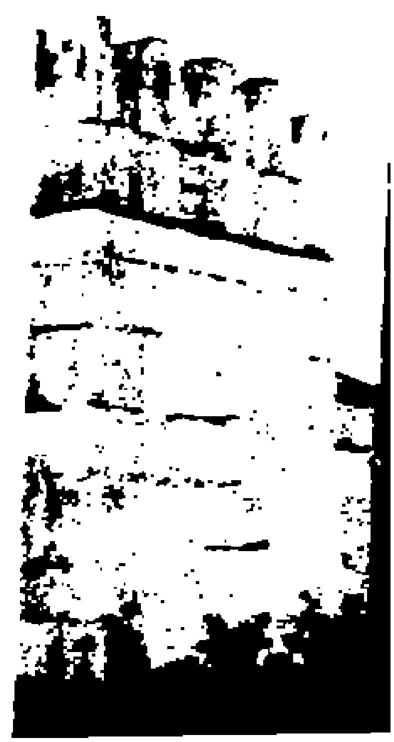








. ا (أخي) حد ... تعلمت
على حسن ذحة (أسلمل (
أسرحة ... العهدين . ...
عروضة ... ا ...
... (أمي) قطعة شمعة
... من ... حرمع ...
... (أقصى
النهدين) ترعيه لأدعيه في ...
خونجي



السنين .

كانت الشمس توشك بالمغيب . ودجلة يواصل سيره على عهده منذ آلاف السنين . ولم يكن أمامنا وقد وصلنا المدينة في آخر النهار إلا مراقبة الغروب الجميل . لكن الأبنية العالية داخل المدينة . والغابات الكثيفة خارجها . كانت تحول دون استمتاعنا بمشاهدة المنظر الخالد . ركبنا السيارة . واتجهنا نحو الأفق . في محاولة للظفر بمشاهدة الشمس الغاربة . ومن ضفة النهر وعبر غابات الموصل . ومن خلال أغصان الأشجار المتهدلة شهدنا غروب شمس الموصل خلف نهرها الخالد في مشهد جميل وجليل . والتقط زميلي المصور ما أراد من صور لهذه اللحظة التي تشي بأكثر من معنى . وعدنا إلى الفندق للمبيت قبل أن نبدأ يوم عملنا الأول في الصباح التالي

استيقظت المدينة في اليوم التالي على صبح ربيعي رائع . لمسات البرد الخفيفة كانت تذوب سريعا في حرارة الشمس التي بدأت تزداد رويدا رويدا . فتزيل غبش اليوم الذي انقضى . وتعطي النهار وهجا جديدا . وتحت شمس النهار الصاعدة كان أهل الموصل يغادرون منازلهم نحو مراكز العمل . غير مبالين بكل هذا الجمال الذي ألفوه . وكانت الحوانيت تفتح أبوابها والمركبات تسير بكسل في شوارع المدينة المستيقظة . والساحات والشوارع تموج بالقادمين من أطراف المدينة . ومن القرى المجاورة يتوجه العاملون إلى أعمالهم . والطلبة إلى مدارسهم . والفلاحون إلى حقولهم القريبة وتبدأ دورة الحياة اليومية

في ذلك الصباح الربيعي كنا على موعد مع مزاحم الزوبعي مدير آثار النمرود في إدارة آثار نينوى . فالموصل هي عاصمة محافظة نينوى التي أخذت اسم مدينة نينوى القديمة . إحدى عواصم الدولة الآشورية ذات المجد القديم . أما النمرود فهو الاسم الذي أطلقه العرب على مدينة كالحو العظيمة . وهي عاصمة المملكة الآشورية الثانية الواقعة قرب الموصل . ومع أن السيد الزوبعي اختصاصي في الحضارة الآشورية القديمة إلا أنه يعرف المدينة بأحيائها وشوارعها الخلفية وأزقتها الضيقة وأسواقها القديمة معرفة تامة

ومن مكتبه الواقع في سفح تل كانت تقوم عليه في مضى أجزاء من نينوى القديمة . بدأنا رحلتنا نحو ساحات الموصل الرئيسية التي تشكل امتدادا لبوابات سور الموصل المنيع الذي تحدثنا عنه . فأحياء الموصل هي امتداد للأحياء القديمة التي كانت تقود إليها . وأبواب السور القديمة مثل باب سنجار وباب البيض وباب الطوب وباب السراي وغيرها . ومن أحد هذه الأبواب - من باب الطوب - دلفنا إلى المدينة القديمة . لنرى ماذا فعل الزمن بالموصل . وماذا فعلت الموصل لتتحدى الزمن - وهي التي يعود تاريخها إلى الألف السادس قبل الميلاد - حين كانت قرية زراعية صغيرة تدعى نينوى

في سوق الهرج

اخترقنا الأبنية العتيقة والأزقة الضيقة المليئة بالعربات والناس بملابسهم التقليدية . مشترين وبائعين وعاملين ومتسكعين . ودلفنا إلى أسواق المدينة القديمة التي تراصت الحوانيت فيها جنبا إلى جنب . حتى وصلنا ساحة صغيرة وقفت بها عربة . وفوق العربة جلس شاب في سن العشرين . وقد بدا بملابسه التي تتكون من عمامة وقميص وسروال فضفاض كأنه خرج من حكايات ألف ليلة وليلة أنه ينتمي إلى ذلك الحيز الذي يحفظ للمدينة تقاليدها . وللمهن أسرارها فيحافظ على ما يمكن أن يقتطع إذا شكل نموذج الحياة الجديد من اختراق هذا الجزء العزيز من مدننا القديمة . إن الحياة تجري خارج هذا الجزء الموصلي القديم . وخارج المدينة الحديثة . وخارج العراق والوطن العربي . لكنها تجري هنا بوتائرها الخاصة وأسلوبها المميز . ويحاول هذا الجزء

العريق الذي كان يوما مركزها المزدهر أن يبقى على ما كان عليه من مجد غابر . لكن للزمن قوانينه . وللتطور الذي هو سنة الحياة منطقه الخاص الذي لايقف عند حنين الناس إلى القديم الأصيل والعريق . بل يفرض نفسه على نمط الحياة بقسوة بالترة .

في السوق وقف رجال يساومون على ثمن مسابح والعاديات والمصنوعات اليدوية الخفيفة . رجال وشباب من مختلف الأعمار . ونلمحت من خلال حوارهم لهجة أهل الموصل المميزة القريبة من لهجة مدن شمال سوريا . ويلبسون الزي الموصلي التقليدي الشبيه بزي الريف في بلاد الشام . العمرة والعقال والجلباب المنسوج الطويل من مقدمته . يحتد به حزام جلدي أو قماش فوق سروال أبيض طويل

حتى الرجال المسنون يزينهم هذا أمام حوانيتهم التي غصت ببضائعهم التقليدية ذات الألوان الداكنة المتنافرة

اقتربنا من بعضهم . وقدمنا أنفسنا . طالبين التحدث إليهم . وأخذ بعض الصور لهم . فرحب بعضهم بالحديث لكنه اعتذر عن الصورة معللا أنه لايحب التصوير . وقبل بعضهم الآخر بعد مساومة أن تؤخذ له صورة بزاوية معينة اختارها هو . ووقف آخرون لامبالين بالصورة التي التقطها لهم زميلي المصور . واستسلم غيرهم لينه وهو يوجههم كيفما شاء . فيما حاول بعض الشبان الصغار الدخول في محيط الصورة . وهم يشيرون بأيديهم إلى أشخاص وهميين مومئين لهم ومبتسمين ابتسامات تمثيلية متنوعة . وأقبل كثيرون ليروا ما يحدث في سوق الهرج . وكان طريفا أن نعرف أن هذا السوق قد سمي بهذا الاسم لوجود المنادين على بضائعهم بصوت عال . وحيث يكثر الهرج والمرج

اخترق الجمع شخص تطوع فورا للحديث والشرح . وأعلن عنه ممانعته في أن نأخذ مانشاء له من الصور . وصاح بعضهم « أبو علي السواس » .

وبدأ أبو علي السواس بلحيته البيضاء الخفيفة وهيئته الأليفة . وقد تمنطق بعدد من السيور الجلدية التي أحاطت بوسطه . وامتدت من صدره إلى ظهره عبر كتفه . وحمل قربة السوس (العرقسوس) . وداعب بأصابعه المدربة الأكواب النحاسية التي يصب بها السوس لزبائنه . فأضفت لنا عمرا على حديثنا المثير

وبدأ أبو علي السواس يتحدث بطلاقة ودراية وتمكن إنه حسين السواس . يبيع السوس في هذا السوق منذ كان في الحادية عشرة من عمره . وهو الآن على أبواب السبعين . وفي الشتاء يتحول أبو علي لبيع القهوة العربية . لهذا فهو شخصية معروفة مألوفة في سوق الهرج يبحث عنه الصحفيون والمصورون ليلتقطوا له الصور التي تمثل الموصل القديمة . ويسألونه عن ماضي السوق كما عرفه صغيرا . وعما حل به مع الزمن الذي طالت معه كل شيء . إنه جيل آخر من الرجال الذين حفظوا تراث المدينة العريقة . حتى بعد اتساع الموصل . وامتدادها . ودخول الأسواق الجديدة و (البوتيكات) والوكالات التجارية الغربية إليها

وبدا لنا أبو علي السواس والفتى القادم من حكايات ألف ليلة وليلة منسجمين تماما مع الدكاكين القديمة التي امتدت بشكل طولي حتى نهاية السوق . وبداية سوق جديد . وبدونا نحن بزينا الأوروبي وأجهزة التصوير كأننا غرباء عن المشهد كله

من سوق الهرج إلى سوق الحبالين الذي تنعطف به الطريق الآتية من سوق الهرج في أحد الحوانيت العتيقة وقف أحمد يونس . يرتب حباله الملونة . ويعلق ما تشابك منها . ليعرضها على أفضل صورة . إنه يبيع الحبال في هذا المحل منذ ٤٠ سنة . وقبلها كان والده يرعى المحل حتى توفاه الله

وسألت أحمد يونس عن صناعة الحبال وبيعها . أي مهنة الحبالين التي لانعرفها أجيالنا جيدا . فأجاب - إن مهنتنا تبور . فلم يبق هنالك من يستخدمون





ـ شباب الموصل يحتفلون بربيع مدينتهم (بعشار) حاملات الخضراء من أشهر تماثيل الموصل (أقصى اليسار) الموصل القديمة تروي تدريجيا بحلاته على الموصل ساحات وتماثيل وبنايات حديثة في الموصل الحديثة .











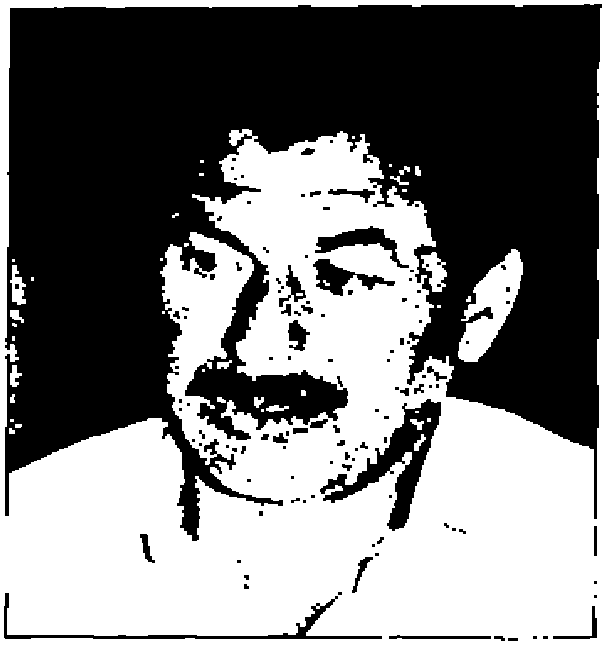
الخيل والجياد في الموصل . بعضهم يستخدم البغال . لكن هؤلاء أصبحوا قلة لا يقيمون سوقاً . وتركت أحمد يونس وأنا أقلب في ذهني فكرة اختفاء الجياد التي اشتهر بها العرب وما يزالون . لقد مضى عصر الفروسية فلم لا تختفي الجياد ؟

ومن سوق الحبالين إلى سوق البزازين (الأقمشة) . إلى سوق العطارين . فسوق الصفافير . وسوق السراجين . وغيرها من المهن التقليدية التي أقامت الموصل لكل منها سوقاً . والحال هو الحال . المهن القديمة تختفي وتندثر . ويعاني البائعون من وضع السوق الذي لم يعد كما كان . فيهجر بعضهم حوانيتهم . ويهجر آخرون مهنهم . بينما يبقى آخرون متمسكين بها في وجه الحياة الحديثة الزاحفة إليهم في عقر أسواقهم

دار التوتنجي

ومن مجمع الأسواق ذاك أكملنا جولتنا في الأحياء القديمة ، في حي القليعات ، وهو من بقايا مدينة نينوى الأشورية . وباب السراي . والسرج خانة . وسوق الصغير . نفس الأزقة الضيقة تتكرر أمام عيني الزائر . ومجاري المياه على الطريقة القديمة تنساب على امتداد الممر الضيق . والأبواب المزخرفة وشناشيل النوافذ التي قاربت على الالتقاء لضيق الأزقة . ومع أن هذه الأحياء ما زالت باقية إلا أن أحياء قديمة غيرها هدمت . لتقوم مكانها شوارع فسيحة . وبنايات حديثة . وأسواق تعرض البضائع الاستهلاكية . وتبيعها

وحتى يصان الطراز الموصلي التقليدي في بناء البيوت استملكت المؤسسة العامة للآثار عدة بيوت قديمة . بهدف ترميمها . وإعادة بنائها حسب الطراز الأصلي الذي يعكس الهندسة المعمارية الموصلية . من حيث ترتيب الغرف والردهات والسراديب . ومن هذه البيوت دار التوتنجي التي كان يملكها أحد أعيان الموصل في سالف الزمان . وحين وصلنا الدار



ـ سعيد مزاحم الربيعي مدير [illegible]

كانت الأشغال وأعمال الترميم قائمة فيها على قدم وساق

تتكون الدار الموصلية التقليدية من قسمين . وكل قسم من طابقين ، ويفصل بين القسمين العلويين باب صغير . وذلك عدا البوابة الرئيسية التي تتفرع حال دخول الدار إلى بوابتين داخليتين . تؤدي كل منهما إلى قسم من قسمي الدار . فالقسم الأول : وهو القسم الخارجي خاص بالضيوف الذين يمكنهم ربط خيولهم في الدور الأرضي الذي تتوسط ساحته بئر للماء . وزير مليء بالشعير لإطعام الجياد . وفي الدور العلوي غرف للنوم . وأخرى للسهر والمسامرة . أما القسم الداخلي الذي يفصل بينه وبين القسم الخارجي باب صغير فيسمى حرم الدار . أي دار العائلة التي تحتوي على الإيوانات وغرف النوم والسرداب الذي تتوسطه نافورة صغيرة . وفي الدور العلوي ذي الأقواس المطل على الفناء تجلس العائلة في أمسيات الصيف ، متنعمة بنسيمه العليل . وفي الداخل هناك المخزن الذي يوضع فيه تموين الدار ، والمطبخ . وغرف النوم . ثم فناء الدار الذي زينته كتابات

بالخط الكوفي الجميل . وعنصر البناء الرئيسي في الدار الموصلية هو المرمر الموصلي الذي يكثر في أطراف المدينة . وحاولت أن أتتبع يد الخطاط الذي جاء ليرسم فناء دار التوتنجي . وقد وقف فوق « سقالته » النحيلة . وأمسك بفرشاته . يتتبع باللون الأبيض اثار الكتابة فوق شريط أزرق اللون . يمتد بعرض جهات الفناء الثلاث . فقرأت

يـاكاشف الكربـات عن شـاكيهـا

بـاراحم العبـرات من بـاكيهـا

غـذوتني وأنـا جنـين في احشـا

لا أعـرف الـدنيـا ولا أدريهـا

ونطقت ربي في المهد طفلا مرضعا

وررقتني النعيـم والترفيهـا

صـلى عليه وآلـه وصحـابـه

وعلى البتـول وبعلهـا وبنيهـا

وخرجنا من دار التوتنجي عبر الأزقة الضيقة التي سقفت أجزاء منها . ونحن نتساءل عن السحر الكامن في الأماكن القديمة . هل هو في بساطة حياتهم . أم في نظرتهم إلى الحياة وموقفهم المبسط من الفقر والغنى . أم في طريقة التعبير عنها . أم هو فينا نحن . نستقطه على شيء مضى وانقضى . ونرسم صورة زاهية لعهد لن يعود ؟ !

الموصليون

على مقربة من دار التوتنجي تنهض الموصل الحديثة . بشوارعها الواسعة . وبناياتها العالية . ذات الهندسة المميزة . وساحاتها الخضراء الفسيحة التي تزينت بالنوافذ والأضواء والتماثيل التي تسجل جوانب من حياة الموصل القديمة . مثل الفلاحات وحاملات الجرار وغير ذلك من أعمال فنية . وفي أحدى هذه الساحات وقف نصب معدني ضخم لاناء جميل متناسق التكوين والأضلاع . إنه نسخة مكبرة . لأشهر إبريق موصلي صنعه من النحاس الأصفر المطعم بالفضة شجاع بن منعة الموصلي سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣٢ م) . ويرمز هذا الابريق إلى أزهى عصور الموصل . وأكثرها ازدهارا ورخاء . وهو عصر الأتابكيين الذين أنجبوا عماد الدين زنكي . ونور الدين زنكي . ومهدوا لظهور صلاح الدين الأيوبي الذي كان له شرف توحيد مصر وسوريا والعراق . وهزيمة الصليبيين . واستعادة القدس منهم . لكن تلك قصة أخرى

وقد وصف المؤرخ الشهير ابن الأثير - وهو من أبناء الموصل - حكام المدينة من الأتابكة . فكتب يقول عنهم - نعمة أنعم الله بها على أهل تلك العصور . فقد تقدمت فيها العلوم والفنون . ونبغ منهم المؤرخ عز الدين بن الأثير . وابن يونس الفيلسوف المشهور . وأبناء جبل المشهورون بالطب . والهروي السائح . وابن عصرون . وآخرون غيرهم

وازدهرت فيها صناعة التحف . حتى صارت مثلا في الدقة والاتقان . واشتهرت هذه الصناعات في أوروبا باسم الموصليني (MOSLINE) نسبة للموصل . وهو اسم أطلقه الأوروبيون أيضا على النسيج الموصلي الذي عرفوه جيدا في القرون الوسطى

الحدباء

وفي عهد الأتابكة أيضا بني الجامع النوري (نسبة إلى نور الدين زنكي) الذي اشتهر بمنارته المائلة نحو الشرق . وهي واحدة من أشهر المآذن في العمارة الاسلامية . أطلق عليها اسم الحدباء لاحديدابها . وميلانها الذي يشاهده زائر الموصل من كل مكان في المدينة . ويبلغ ارتفاع المئذنة نحو (٥٥) مترا . ويحيط بها على التوالي سبعة أشرطة زخرفية . كل منها يختلف عن الآخر بطريقة الزخرفة الظاهرية التي كان أساسها الآجر أو الطابوق . وداخل المئذنة هناك درجان . يصعد منهما إلى الأعلى . وينزل إلى الأسفل . بحيث لايلتقي الصاعد بالنازل . وفي







ـ أسواق [illegible] (فوق) وحسين خفاف وصانع [illegible] في أسواق الموصل القديمة. (إلى اليسار) سوق [illegible] وعشرون من [illegible] الأغنام. (إلى اليسار) [illegible] من [illegible] إلى [illegible]








[illegible]

تفسير ميلان المئذنة الحدباء بعاملين هناك احتمالين . الأول أن يكون المهندس هو الذي عمد إلى بنائها بهذه الطريقة . والثاني أن تكون الرياح الغربية هي التي أمالتها نحو الشرق . وليس بين الاحتمالات أن يكون هناك خلل في عملية البناء . قد أدى إلى اعوجاجها بهذه الصورة . وغادرنا الجامع النوري الكبير الذي بني بين عامي ٥٦٦ ـ ٥٦٨ هـ ونحن نتساءل عما إذا كانت هناك احتمالات خطأ هندسي أدى إلى احديداب مئذنته كما هو الحال مع برج بيزا المائل في ايطاليا . وهل هناك علاقة بين اسم المئذنة واسم الموصل . حيث يطلق على كل منهما اسم الحدباء ؟ ! !

وإن كانت الحدباء أشهر مآذن الموصل فإن جامع النبي يونس هو أشهر جوامعها الكثيرة . ويقع جامع النبي يونس فوق تل يسمى تل النبي يونس . وهو أحد تلين كانت تقوم عليهما مدينة نينوى القديمة . أما الثاني فتل قوينجق المقابل له . وينسب تل النبي يونس إلى (يونان بن متى) . صاحب الحوت الذي ورد ذكره في القرآن الكريم والتوراة . ويذكر أنه عاش في مدينة نينوى وبشر فيها . وفوق هذا التل يقوم مسجد النبي يونس الذي يعد من أهم الأماكن المقدسة في محافظة نينوى . حيث يأوي إليه الزهاد والنساك والعباد . وبخاصة في مواسم معينة من السنة . وقد مر المسجد بأدوار مختلفة من البناء . وجدد بناؤه أكثر من مرة . كما شهد الموقع نفسه تغيرات عديدة . وأدوارا مختلفة . فقد كان المسجد في بادىء الأمر معبدا أشوريا . ثم اتخذ موضعا لعبادة النار . ثم ديرا أو كنيسة مسيحية . وأخيرا اتخذ جامعا إسلاميا . ولذا فإن أقدم غرفة تعود إلى أيام الآشوريين . وعندما دلفنا إلى تلك الغرفة وجدنا الحجارة العتيقة . وقد اكتست بطبقة من السواد المتمكن منها . ولما سألنا عن سر ذلك السناج قيل إن هذه الغرفة كانت « مطبخا » في معبد أشوري ! فما سر هذا الحساء الآشوري العجيب وماذا عساهم كانوا يطبخون حتى بقي السناج طوال هذه الآلاف من السنين ؟ !

وفي إحدى الغرف داخل المسجد الفسيح مقام

للنبي يونس . وقد علقت على جدران الغرفة التي تحتضن المقام عظام حيوان بحري يقال إنها عظام الحوت الذي ابتلع سيدنا يونس . ومن فوق المسجد حيث القباب المميزة بشكلها المخروطي وسطوحها النحاسي الداكن شاهدت مدينة الموصل بأحيائها العديدة . منبسطة أمامي ، يختلط فيها إسمنت الأبنية بخضرة الأشجار والغابات . وفي الأسفل على مقربة من المسجد رقد تمثال متوسط الحجم للثور المجنح . المشهور به الحضارة الآشورية حتى صار رمزاً لها وحين سألت عن سر وجوده هنا قال لي شرقي محمد صالح الذي توارثت عائلته حراسة المسجد أباً عن جد : إن هذا التمثال قد عثر عليه أثناء حفر الأساسات لتوسيع المسجد . وعند ذلك تذكرت من جديد أن التل الذي يقوم فوقه المسجد هو أحد تلين قامت عليهما مدينة نينوى الآشورية قبل آلاف السنين . وكلمة نينوى تكتب بلغة الآشوريين المسمارية (ننفصنري) . وتكتب بالعلامة المسمارية الخاصة بكلمة مدينة . وداخلها السمكة . حيث ساد الاعتقاد بأنها مدينة الآلهة نينا . آلهة السمكة . وهناك ما يشير إلى أن لفظة (نون) وتعني بالآشورية السمكة هي أصل اسم العلم بأشكاله المختلفة يونان ويونس وذو النون والاسم الأخير تشتهر به مدينة الموصل دون غيرها من مدن العراق . وهناك من يبالغ بالقول فيقول بأنه من بين كل ثلاثة من أهل الموصل هناك اثنان يحملان اسم ذي النون

إذن فالموصل ليست جسراً بين حضارات ازدهرت في أماكن مختلفة فحسب . بل جسر بين حضارات مختلفة وعصور متباينة في أزمان متعددة وهكذا أوقفنا رحلتنا عبر المكان . وبدأنا رحلة أخرى عبر الزمان . لنتابع عصور مدينتنا . وكان مزاحم الزويني هو مرافقنا هنا أيضاً . فهو اختصاصي بالحضارة الآشورية دون غيرها . وهل يمكن أن يكون دليلنا غير واحد من أهل الاختصاص مثله ؟

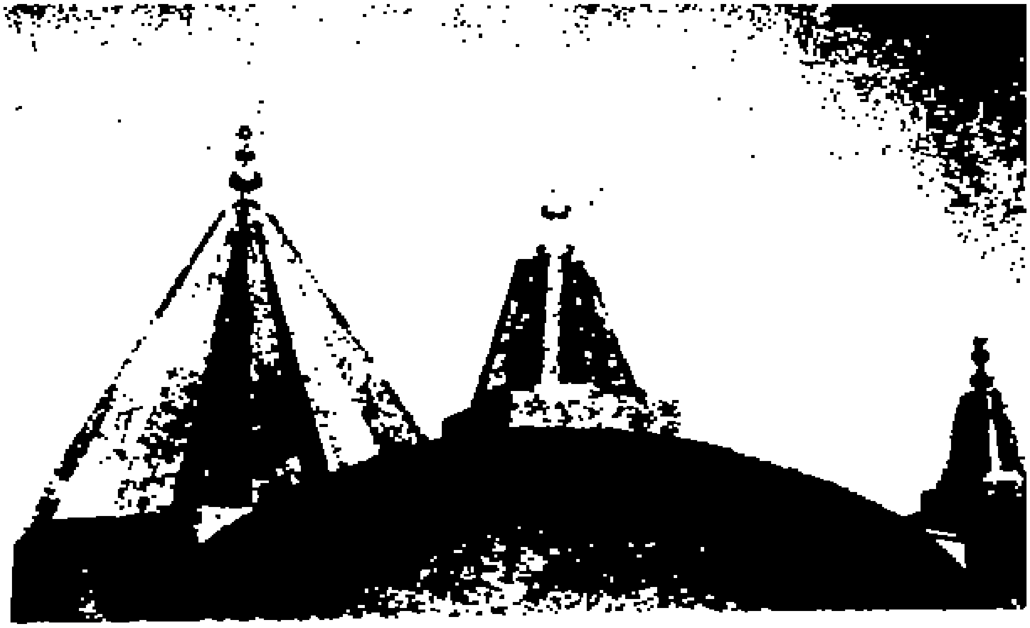
عصر الحجاب الآشوري

تعد مدينة نينوى التي قامت على أطلالها الموصل واحدة من أقدم المدن في العالم . ويقدر أن تاريخ المدينة يعود إلى الألف السادس قبل الميلاد . عندما كانت نينوى قرية صغيرة . وقد دلت الأدوات والآلات المكتشفة فيها على أنها قد ظلت مأهولة منذ ذلك التاريخ . لكنها كثيراً ما كانت تقع تحت حكم الأكديين والسومريين والبابليين . وفي أحد عهودها تمت نينوى سلالة أور البابلية الأولى . برغم أنها سنين سيركها حمورابي في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد . وقد ظلت هكذا حتى قدم إلى آشور ملوك عظام . وكانت لهم مدن وحواضر وعواصم . وكانت نينوى تلقى اهتماماً خاصاً . حتى عندما لم تكن عاصمة للدولة . كما تدل الألواح المسمارية المكتشفة في المناطق المجاورة . وقد جعلت الحضارة الآشورية من الملوك العظام آشور . وشمشي أدد . وسرجون الثاني الذي اتخذ من مدينة خرسباد المجاورة لنينوى عاصمة لحكمه . وأبقى نينوى مقراً له ولأحفاده

من أهم من حكموا نينوى ملكة آشور الأسطورية سمورامات التي يطلق عليها في الغرب الاسم اليوناني سميراميس التي جلست على العرش الآشوري مدة خمس سنوات . باعتبارها وصية على ابنها القاصر . وهذه هي الحالة الوحيدة في تاريخ العراق الموغل في القدم الذي حكمته فيه امرأة .

وربما كان ذلك سبب نسج العديد من القصص والأساطير حول شخصيتها المثيرة . رغم إجماع المؤرخين تقريباً على أن الفترة التي حكمت فيها سميراميس كانت فترة ضعف وانكماش . أدت إلى قيام ثورة في البلاد . انتهت بقيام الامبراطورية الآشورية الثانية في عام ٧٤٥ ق . م

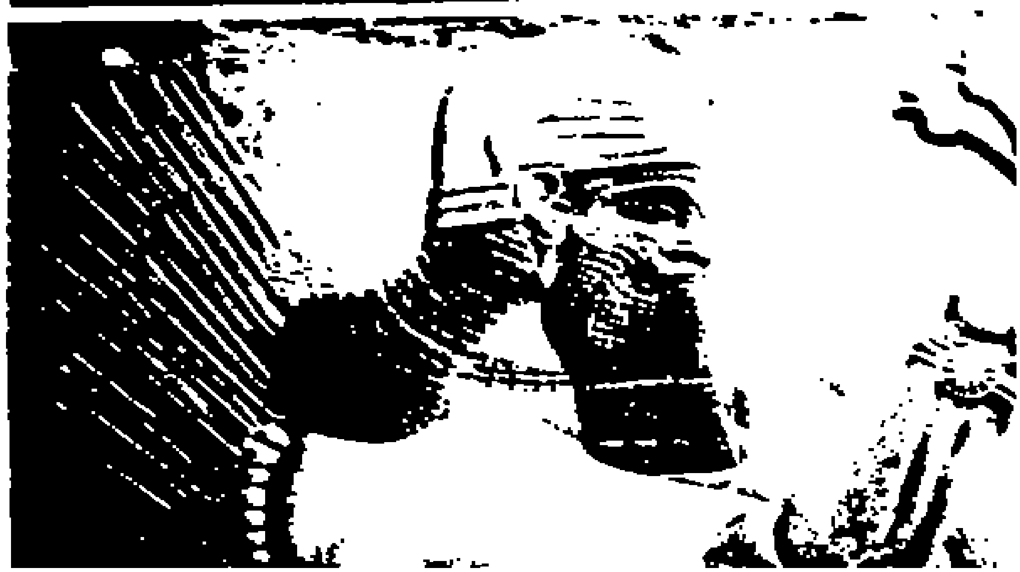




- قبب جامع الشيخ عدي
بلونها المميزة شكلها
المخروطي



- شفق الأفق
الآشورية - غروب
دجلة .



- شلالات الشيخ ،
حكمة الشرور وعجيبها
يلاحظ اللون الأسود كم
هو محبب الأف لشيبي

- صورة لخضر
بجانب آلهة الشمس
(زرادشت)



حين سرقوا النمرود

تقع آثار النمرود على بعد ٣٧ كم جنوب غربي الموصل. والنمرود هو الاسم الذي أطلقه العرب على مدينة كالخ أو كالخو. وهي عاصمة الامبراطورية الآشورية الثانية. ويعتقد بعض المؤرخين أن اسم نمرود جاء من القبائل العربية المجاورة التي تعزو كل عمل هائل إلى الملك الأسطوري النمرود. ويقول ابن منظور في لسان العرب: إن النمرود اسم ملك معروف. أو هو نمرود الملك الذي أمر بإلقاء ابراهيم في النار... وعلى أي حال فإن الكلمة التي هي في الأغلب تعريب لكلمة «نمورتا» وهو اسم إله آشوري. قد أصبحت صفة تدل على الجبروت والطغيان. وهي تقابل كلمة «فرعون» لدى بعضهم.

بنيت مدينة كالخو أول مرة في عهد الامبراطور شلمنصر. لكنها تحولت إلى خرائب. بعد أن فقدت أهميتها حتى جاء الملك آشور ناصر بال الثاني الذي حولها الى عاصمة لملكه في احتفال مهيب. استمر عشرة أيام. وحضره ٦٩.٥٧٤ شخصا كما تذكر الألواح المسمارية التي اكتشفت على جدران قصره المعروف بالقصر الشمالي الغربي. كما نقشت على هذه الألواح قوائم الاطعمة التي تناولها هؤلاء في حفلتهم المميزة. ومنها أكلة تسمى «كوبي باز». ويرجح العلماء انها أكلة «الكبة» التي ماتزال مدينة الموصل تشتهر بها.

مررنا بالزقورة القريبة من القصر، ومعبد نمورتا ومعبد نابو المجاور الذي شيدته الملكة سميراميس. والزقورة عبارة عن بناء ضخم. بني فوق كتلة صماء. كانت في الأصل عدة طبقات بنائية متدرجة في الصغر. تنتهي عند القمة على شكل المئذنة الملوية الشهيرة في سامراء.

على باب معبد نمورتا وضعت ثلاثة تماثيل ضخمة للثور المجنح. تهشم رأسا اثنين منها. أو ربما سرق. والثور المجنح الذي هو أشبه برمز للحضارة الآشورية في عهودها المختلفة حيوان غريب. له رأس إنسان. وأرجل ثور. وجسد أسد. وجناحا نسر. وقد كان هنالك اعتقاد بأن من شأن هذا التمثال أن يطرد الأرواح الشريرة.

واقتربنا من التمثال الذي كان يواجه الداخلين بعمره ورهبته الأسطوريين. وحين تجاوزناه داخلين في المعبد لاحظنا أن له ثلاث أرجل أخرى محفورة على الصخر. مما يعني أن للتمثال في الواقع خمس أرجل وليس أربعا. لقد واجه الفنان الذي أقام التمثال مشكلة فنية تتمثل فيما يسمى بالبعد الثالث. فلم يجد لها حلا أفضل من صنع تمثال بخمس أرجل. وربما كانت تلك أول محاولة في التاريخ لحل مشكلة البعد الثالث في فن التصوير!

وحين دخلنا المعبد. دهشنا أولا لجمال التماثيل والرسومات وعظمتها ودقة العمل فيها وشدة الشبه بينها وبين الرسومات الفرعونية. ودهشنا ثانيا لأننا شاهدنا أكثر من دليل حي على محاولات لم تكتمل لسرقة بعض هذه التماثيل والرسومات البارزة على الجدران. فقد كان لصوص الآثار يلجأون إلى السهولة في عملية السرقة. فيقطعون رأس التمثال أو الجزء العلوي من جسمه. مما يسهل اقتطاعه وإخفاءه ليباع بثمن بخس في سوق الآثار الرائجة. وقد شهدنا أكثر من تمثال للملاك المجنح أو الثور المجنح أو للملك آشور ناصر بال الثاني.

وقد دقت في الجزء العلوي منه الأزاميل بهدف اقتطاعه. لكن المحاولة لم تكتمل لسبب أو لآخر لكن هذا السبب بالتأكيد لايتعلق بصحوة الضمير حول سرقة تراث البلاد. وفي أوائل السبعينيات

سرق لصوص الآثار رأس الملك منحوتا من مدينة الحضر. وهربوه عبر سوريا. لكن الشرطة العراقية تمكنت من ارجاعه إلى بغداد. تحولت فيما بعد ذلك إلى فلم سينمائي

في بلاد عربايا

تقف مدينة الحضر بآثارها الشاخصة على بعد ١١٠ كم إلى الجنوب من الموصل . أعمدة مرتفعة . وبوابات عظيمة . ومعابد شبه مكتملة . كلها مبنية من الحجر الصلب . كلما تقترب من المدينة فتتضح معالمها وحجارتها التي احتفظت بشيء من النضارة رغم السنين . لقد كانت الحضر عاصمة لمملكة عربية . تسمى بلاد عربايا . أي بلاد العرب . وكان يطلق على المدينة اسم (حطرا) أو (حطرا دي

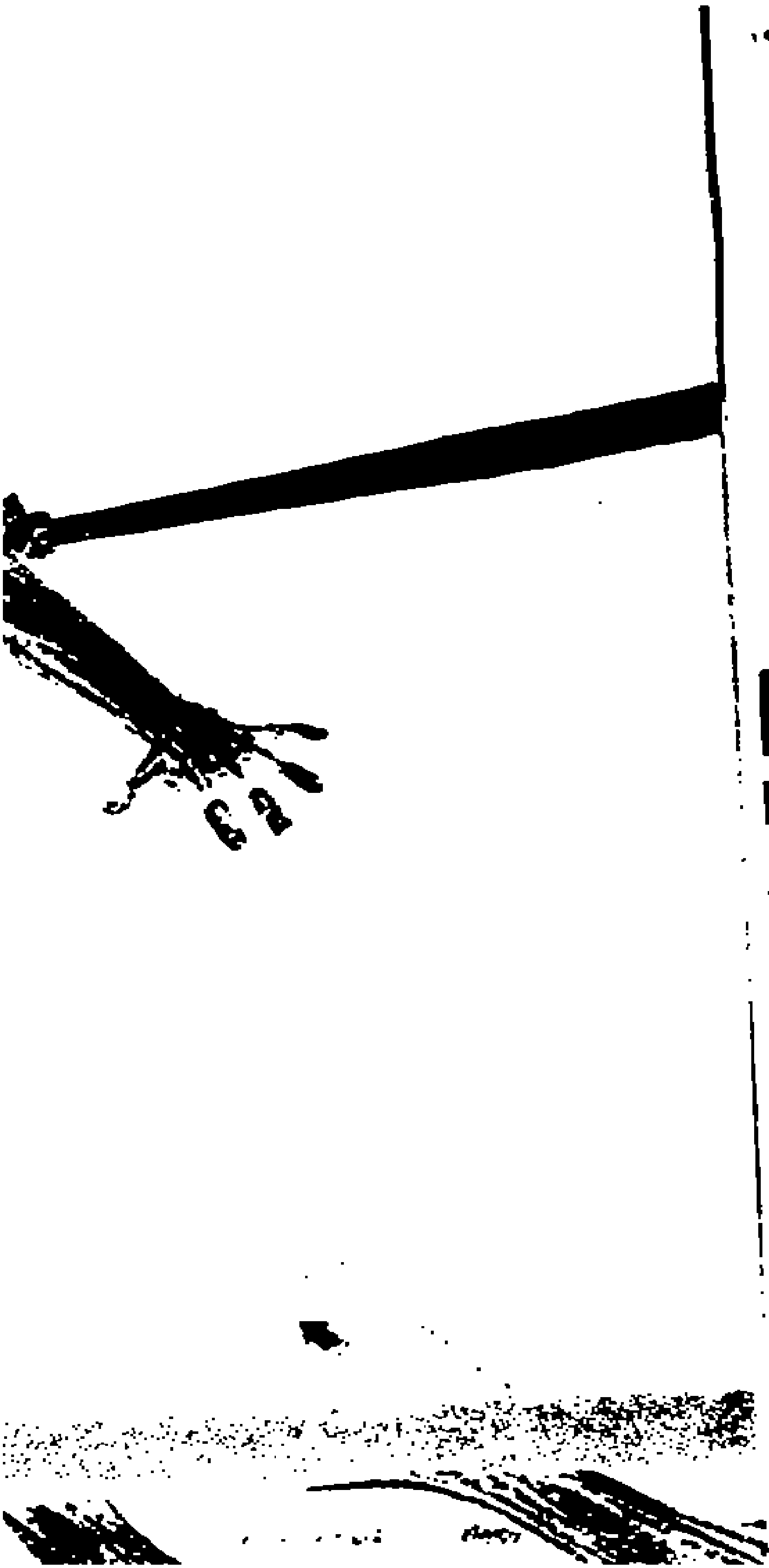
لم يكن ذلك زمن المرأة الذهبي بالتأكيد . فقد اكتشفت في سور بعض الألواح الطينية التي كتبت عليها باللغة الآشورية قوانين . تتعلق بعضها بالنساء فقط . وبالجرائم التي يرتكبنها . وبعلاقة المرأة بزوجها . وبطقوس الخطوبة والزواج والطلاق . وتتضمن هذه القوانين أيضا عقوبات للزوجة التي تسرق زوجها وهو على فراش المرض . وعقوبات جرائم الجنس . مثل الاغتصاب والخيانة الزوجية . تصل حد الإعدام . وحددت إحدى مواد القانون الآشوري شخصية الآشورية التي يجب أن تسمى كذلك على الحجاب . ويفرض على المحجبة ألا تكون إلا امرأة من العامة . وتمنع الأمة الجارية من التحجب إلا في حالة الزواج من رجل حر . وتنص مواد خاصة على طقوس معينة على أن يقوم الخطيب بصب الزيت على رأس عروسه المستقبل في يوم العيد . وتعطي مادة أخرى من مواد القانون الحق للزوج بأن يقص شعر زوجته أو يجرح أذنيها إن رغب في ذلك !!

ومن الطبيعي في ظل ظروف تخرج مثل هذه القوانين أن يكون مصير سميراميس الحقيقي هو الفضيحة في ثورة عارمة تكون مثال كثير من شخصيات التاريخ تصنعها الأسطورة الخرافية حين تستنكر الواقع على المرأة أن تكون ملكة حقيقية وقائدة منتصرة . فروي عنها وعن مصرعها من الأساطير ما يخلدها

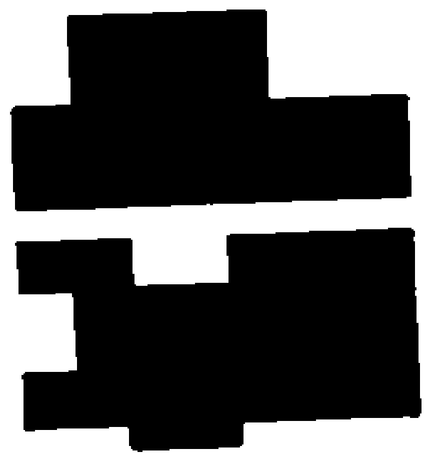
شمش) - أي الحضر مدينة الشمس . وقد ازدهرت المدينة في القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد . حيث بدأت القبائل العربية بالتجمع حولها . وغدت هذه المدينة مركزا دينيا مهما . كانت القبائل العربية تحج إليه . وتقدم له القرابين والنذور في بيت الأصنام . . وقد انتصبت مدن العراق الأخرى مثل

... أهم معابد الحضر أيام قامت وازدهرت بعض العصر العربي . وما حفظ الآثار القليلة حضارة عربية قامت قبل الإسلام . وقد سقطت الحضر كمدينة عربية وحصن منيع عندما فتحها الملك الساساني سابور الأول عام ٢٤٠ م وسقطت أسوار الحضر شاهدة لتبقى الشواهد شاهدة لمصداقية العظمة . وقد روت الأساطير فيما بعد أن برابرة سابور فشلوا رغم ... وقوة ... وتقول الأسطورة أن ابنة ملك الحضر وقعت في حب الملك الفارسي . فطلب منها أن تمكنه من فتح المدينة . ففعلت . وفتحت ثغرة في السور الحصين . ثم تم النصر . وبعد أن تم له الانتصار وتزوجها بعد شهور سأل الزوج زوجته وسألها عن نوع المأكل والملابس التي كان يقدمها لها والدها . فأجابت أنها كانت من أفخر الأنواع . فأجاب الزوج بقسوة إن كان ذلك والدك ويوفر لك كل هذا فخنته فما الذي يجعلني لا أخشى أن تخونيني ؟ وكانت نهاية الفاجعة مقتل الابنة الخائنة . وتنتهي الأسطورة التي لا يعرف أحد مدى صحتها ويذهب الخصب . وتبقى الحضر واقفة في صحراء العرب . وتنتظر مجدها الغابر

ودعنا حصن العرب الذي كان يطوف به بعض سكان مدينة الحضر الجديدة القريبة من الحصن القديم . وبعض السائحين الأوروبيين الذين كانوا يقفون مبهورين في أرجاء هذه المدينة الشاخصة التي شهدت في يوم من الأيام مجدا عربيا زاهيا . واتجهنا نحو ... التي لم يبق فيها من حضاراتنا القديمة إلا القليل □



سباق القيمة الفكرية والجمالية في أعمال النحات الكويتي



بقلم : حميد خزعل

أجساد آدمية مشدودة بالحبال ، وصرخة ألم مكبوتة ، ومربع مغلق على ما لا يحكى من الأسرار الرهيبة التي يعاني منها الانسان . هذه هي مكونات أعمال النحات الكويتي سامي محمد .



إن الطريقة المفرطة بالغرابة التي يعالج بها هذا الفنان أفكاره هي الميزة الأساسية في خصوصيته التشكيلية . فهو ينتمي الى ذلك النوع من الفنانين الذين يقدمون القيمة الفكرية والفلسفية على القيمة الجمالية . وانبعاث كل هذا الكم من الغرابة المرعبة في أعماله التي تشعر المشاهد بالقشعريرة المجنونة تجاه هذه الأجزاء الآدمية والحيوانية المتفسخة التي نكاد نشم رائحتها من بين ثنايا الكتل البرونزية تؤكد اتجاهه هذا .

والتساؤل الذي يطرح في محاولتنا للبحث عن الشخصية الخاصة لفكره هو : هل الصندوق شكل هندسي . أم مفردة تشكيلية ؟ فأعماله المبكرة . وأشكاله المتوترة من هذا الشكل الهندسي ذي الأضلاع الأربعة . أو هذا المكعب المليء بالأسرار القائمة تحتم طرح هذا السؤال .

والحلول الصعبة التي اختارها لاعطاء مفرداته سمة الترابط التي تعتبر سمته الأساسية في نجاح العمل النحتي من الناحية التشكيلية أضفت على أفكاره بمدافعتها تميزا . وأعفته من مهمة الاستعانة بمفردات أخرى . كان يجب إضافتها لتكويناته . حتى يصل لحل المعادلة . أو للنقطة التي تتيح له التوصل لابراز هذه الأفكار . ذات الرؤية التحليلية الغريبة

يحاول بعضهم وضع أعمال سامي محمد ضمن المدرسة « السريالية » . إلا أن هذا التبويب ناقص مبتور . بالرغم من أن الخطوط العامة لأعماله توحي بأشكال سريالية . إلا أنها تخلو في مضمونها من الفلسفة (الميتافيزيقية) التي يعتمد عليها الخط السريالي في تحقيق مفاهيمه . وأشكاله التعبيرية المختلفة . لموازنة . لا واقعية » مضامينه

إن من أهم الأسباب التي أعطت المسوغ لربط هذه الأعمال بالسريالية هو نزوعها الى تشكيل عناصرها . ومفرداتها . بصورة مغرقة بالمأساوية التي تتجاوز الواقع . وتتفوق عليه في احداث الصدمة .

لكن لا يمكن بأي حال ادراج هذا الفنان ضمن أصحاب الخط السريالي . فهو وإن عمد الى ترميز عناصر أفكاره في معالجاته التشكيلية إلا أنه قد التزم خطا واقعيا في التعبير عن عاطفة الوجد . وهو قضية الانسان في معاناته . وصراعه مع الحياة . ولقد استطاع أن يستغل الاطار الرمزي . لأفكاره استغلالا جيدا تمكن من خلاله من تشكيل أعماله بأسلوب ابداعي .

ففي مجموعة « الصندوق » و « صرخة من الأعماق » و « محاولة خروج » و « الصراع » . و « الاندفاعة » التي رمز بها الى القيد . تجيء معالجة ناجحة لهذا المعنى . حلل فيها الرموز . وشرحها بطريقة مبدعة . فقد حصر مفرداته في كتل متماسكة . اغنت المضمون الذي أراد التعبير عنه . واستغل المسطحات الخلفية للصندوق في اختزال الصفات التشريحية لهذه المفردات لتقوم بدورها بالتعبير عن هذه الأفكار مقدمة تجربته الخاصة في دراسته لمفهوم الحيز تشكيليا . مانحا قوة للنتيجة التي برزت على شكل هذه الكتلة المترابطة في قالب واحد . تخرج فيه الأشكال من نقطة خفية . وتعطي احساسا بالتوالد التلقائي الذي يتمثل في بناء أشكال جديدة . تعزز قوتها فنيا وفلسفيا .

أما مجموعة المسطحة « الصراع (١) ١٩٧٩ . والصراع (٢) ١٩٨٠ . والمعلق ١٩٨٠ . والحبل الأزرق ١٩٨١ ـ وهي منفذة بخامة الحبر الشيني على الورق ـ فهي لا تبتعد فكريا عن مضمون مجموعة « الصندوق » الذي استبدل هنا بالحبل . ليؤدي نفس الغرض في التدليل البصري عن القهر الانساني بشكله العام . ولا تبدو المقارنة الزمنية لولادة أي من المجموعتين قبل الأخرى ضرورية هنا . فالترابط الفكري . ووحدة الموضوع . تلغي فكرة التسلسل الزمني . وكلتا المجموعتين تعتبران تطويرا لمحاولة أولى . تمثلت في مجموعة « المكعب » . إن جاز لنا أن نطلق عليها هذه التسمية التي نفذت في سنة ١٩٧٩ .

ثم نضجت فنيا لتولد مجموعة الصندوق . ثم الخيال . ودمج المجموعات الثلاث في رؤية تشكيلية واحدة يبرز اهتمام الفنان في معالجة قضية علاقة الكتلة التي تعبر عن احتواء حيز « معنوي » بالمحيط الخارجي « كفراغ » . وارتباط هذا الجانب فكريا وفلسفيا بالانسان الذي هو بطل الحدث الوحيد عند سامي محمد .

الانسان والعصر :

عندما نستعرض أهم مجموعة في أعمال هذا الفنان التي يدور من خلالها تحليلنا لفكره في العمل التشكيلي تبرز أمامنا أسماء كثيرة مختلفة . لكنها تظل متفقة على معنى واحد . وهو قضية « الصراع » ؟

ولكن أي صراع ؟

إن تركيز الفنان على الجانب الانساني في معالجته لأعماله قد أبرزت بشكل واضح تلك العلاقة القائمة بين الانسان ومشكلات العصر الحديثة . وهي مشكلات لا حدود من تبويبها . والبحث في أنواعها . وأشكالها . فالمعاناة تأخذ شكلا واحدا . والقهر والإذلال لها ألف وجه . لكن تلك الوجوه عندما تنطبع على وجوه ضحاياها تأخذ صفة واحدة

إن سبل التعبير المثيرة التي انتهجها في تحقيق إرادته جاءت إضافة انسانية جديدة لبحث العلاقة بين الفنان والمجتمع

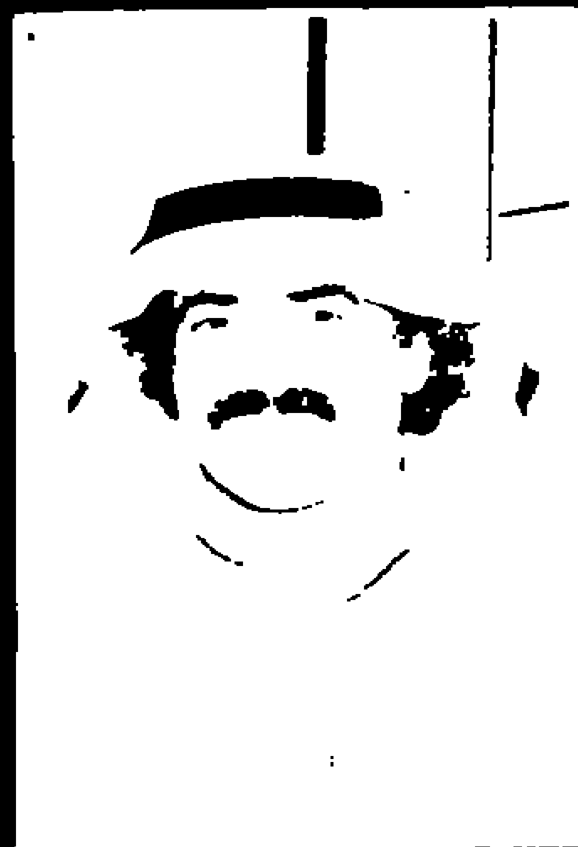
من أهم ما يميز سامي . معرفته الدقيقة . لإمكاناته الفكرية والتشكيلية . فهو يحسب هذه الامكانات بدقة رياضية . ويعلم تماما متى يبدأ . ومتى يقف . فالتمادي في السير بفكرة معينة . مضمونا وشكلا . سيؤدي الى إهدار قيمتها الفنية . وجعلها في قضية مستهلكة تشكيليا وفكريا . وقد أخذ هذا الأمر بالاعتبار . فالصندوق أولى بحجم التزاماته تجاه أفكاره الخاصة . وبحوثه التشكيلية والفكرية . واستطاع أن يكون مرحلة مميزة من مراحله المتعددة بهدوء وتوازن . لذلك كان حتميا أن ينتهي هذا البحث التشكيلي للفنان . ليبدأ مرحلة أخرى من البحث . وهكذا جاءت مجموعة (صبرا وشاتيلا) وهي عبارة عن عملين لا يبتعدان في مضمونها عن الخط العام لالتزامه الفكري بقضايا الانسان ومعاناته . بل إن هذين العملين يعتبران تأكيدا لهذا الالتزام الانساني . فالميزة المهمة التي برزت من خلالها هي إشهار المضمون . وتقديمه للمشاهد . فبعد أن أخرج شخوصه من الصندوق لم يجد لزاما أن يستخدم الرمزية بحدة . كما أن التعبير عن مأساة مخيمي صبرا وشاتيلا يحتاج الى كثير من الحرية في حركة المفردة التي لم تكن بعنف حركة المفردات التي احتواها الصندوق . والتي تعبر عن قضية عامة . قد تحتاج الى قليل من المعالجة لشرح فكرتها . فالتجربة كانت تهدف الى إحداث صدمة للضمير الانساني بقدر قوة المأساة التي أحاطت بضحايا صبرا وشاتيلا . وكان التعبير التشكيلي هو الوسيلة لتحقيق هذه الصدمة الفكرية . وقد ساعد الفنان في ذلك قوة الفكرة . وطريقة التشكيل في إضفاء طابع الهدوء النسبي على حركة الأشكال . بدلا من الحركة « الرياضية » المتعمدة

وقد كان لتهدئة الحركة المقهورة فعل ايجابي في تقديم العملين تقديما مقبولا . فضلا عن أنها شرحت بإيجاز النقطة الفلسفية التي استهدفها الفنان في عمليه المذكورين

التواصل الفني والفكري :

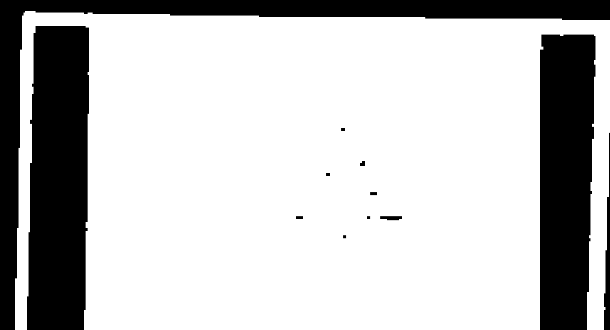
من أهم العوامل التي أعطت أعمال سامي محمد التشكيلية قوة الثبات على أرضية صلبة هو توكيده التام على إيجاد صلة بصرية وفكرية بين كل خطوة وأخرى يخطوها . مما جعل لأعماله إطارا واحدا وإن تعددت طرق التشكيل والأداء حسب ما تقتضيه حاجة الفكرة التي تولد في ذهنه . ففي مجموعة (المكعب والصندوق) اتجه لعلاج قضية العلاقة بين الكتلة والفراغ . ومعالجة حركة هذه الكتلة كشكل













يؤدي دورا « روائيا » في أعماله ، خلال حيز معين ، يخلقه هو ، ويتحكم في حجمه وماهيته « المكبس والصندوق » ، ثم يأتي في نقلته التي تبعت مجموعة الأعمال هذه ليعالج جانبا آخر من جوانب رؤيته الفلسفية لقضية الانسان ، لكنه لم يندفع تماما الى بحثه الأول ولم ينسلخ عنه كذلك ، وهو العلاقة بين الكتلة والفراغ ، بل لقد تمكن من ايجاد مفهوم جديد ، خاصة لهذه العلاقة التي تمثلت في علاقة العمل بالفراغ المطلق .

فأعماله : (المربع الأزرق ، والحبل الأزرق ، والمعلق ، والصراع) قد حرر فيها بطل أعماله ، وأخرجه من حيز محدود الى فراغ اللوحة ، في حركات متشنجة ، حيث بدا منهكا ومستسلما لمصيره المأساوي . إن (الصندوق) بجدرانه المسطحة المغلقة بسرية تامة لن يساعد على ايجاد حلول تشكيلية وفكرية ناجحة ، تخدمه في تحليل هذه العلاقة بين أشكاله وفراغاته ، كما أنه لا يريد أن يحيد عن رؤيته الفلسفية لهذه القضية ، فكان لزاما عليه ايجاد بديل ناجح بصياغاته التشكيلية ، يؤدي نفس الغرض الذي كان يؤديه (الصندوق) ، ويتعايش مع هذه المرحلة بانسجام ، ويخدم هذا الشكل المرعب الذي يصور علاقة الانسان « بالقيد » ، فالناظر يتمعن الى هذا الجسد البشري المعلق بوحشية ، والمقيدة أجزاؤه بعضها ببعض بهذا العنف اللاإنساني بشر الغثيان ، ويعطي أساسا للتواصل الفكري بين (الصندوق) و (الحبل) ، باعتبارهما رمزين لمجموعتين أو مرحلتين من مراحل تطور الفنان ، ثم تأتي بعد ذلك مجموعته التالية بقطعتين من البرونز ، باسم صبرا وشاتيلا ، بالاضافة الى قطعة من الرخام ، باسم « يكفنون الناس وهم أحياء » ، لتشكلان الهيئة النهائية لهذه الرؤية ، ولتوظفان بشكل مدروس الواقع الذي كان مفقودا في الأعمال التي سبقت (صبرا وشاتيلا) .

لقد كانت حلوله الأخيرة ملائمة ، من حيث تشكيل العلاقة في أعماله التي تحررت من حيز (الصندوق) مع الكم الهائل من الفراغ المحيط بها من كل جانب ، فأسلوب التعبير الأدائي يفرض عليها أشكالا عديدة من (الحركة) ، تتناسب مع الدور الذي تلعبه في العمل ، وهذه الأشكال الحركية تحتاج ـ بالتالي ـ الى مساحة فراغية شاسعة ، تزخ من خلالها كل هذه التشنجات العنيفة ، والانتفاضات الجسدية التي تنم عن ألم وقسوة لا نهاية لها . □

فلنترجم

يقول الاستاذ ميخائيل نعيمة في كتابه (الغربال) : نحن في مرحلة من تطورنا الأدبي والاجتماعي ، تنبهت فيها حاجات روحية كثيرة ، لم نكن نشعر بها قبل احتكاكنا الحديث بالغرب ، وليس عندنا من الاقلام ما يفي بسد هذه الحاجات ، فلنترجم . ولنجل مقام المترجم ، لأنه واسطة التعارف بيننا وبين العائلة البشرية العظمى ، ولأنه يكشف لنا أسرار عقول وقلوب كبيرة ، تسترها عنا غوامض اللغة ، فيرفعنا من محيط ضيق إلى محيط نشرف منه على العالم الأوسع .

العدد ٣٤٦ السنة الثلاثون سبتمبر ١٩٨٧

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL ARABI

Issue No 346 Sept. 1987. P.O.BOX 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

ص.ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٣ - ٢٤٢٧١٤١
برقياً "العربي" الكويت - تلكس: [illegible] 44041 KT
تلفون فاكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الأردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	[illegible] جنيه استرليني
مصر ٢٠ قرشاً	لبنان ١٥ ليرة	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ١٠ ليرات	امريكا دولاران

محتويات العدد



الشتاء النووي ص٤٤



النحات سامي محمد ص٨٨



الدلفين والانسان ص١٠٣



صورة الغلاف

[illegible]

الاستطلاع ص [illegible]



د. فاطمة المرنيسي



علاء الدين محسن

استطلاعات ومقابلات



مركز الطب الإسلامي ص ١٢٩



عمان بلاد النخيل والنارجيل ص ١٤٤

أبواب ثابتة :

البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع



أرقام

بقلم : محمود المراغي

المجتمع العربي :
نموذج مصر

قديما كانت الخليقة تتجمع حيث تتوفر أسباب الحياة . المياه والزرع والأمان والطمأنينة ، وحديثا اختلف منطق الأمور . فأصبحت أسباب الجذب للتجمع السكاني متعددة ، فهناك جاذبية النشاط الاقتصادي . أيا كان نوعه . وهناك جاذبية المدينة بما توفره من فرص عمل ومتع وخدمات أكثر

لقد أصبح الناس يتجمعون ويتفرقون لأسباب شتى . تستدعي التأمل والدراسة . كما تستدعي طرح سؤال : هل يختلف الأمر بين دولة وأخرى ؟ وهل يختلف منطق التجمعات البشرية . ونموها ومساراتها من بلد عربي إلى آخر على سبيل المثال ؟

مصر نموذج عربي

من المؤكد أن البيئة تختلف من قطر عربي إلى آخر . وكذلك عنصر الثروة . ودرجة النمو . إلخ . ومع ذلك فإن هناك أوجه شبه كبيرة . والدليل هو آخر تعداد شامل لسكان أجرته مصر .

في ليلة (١٧ ـ ١٨) نوفمبر ١٩٨٦ ـ وهي ما يسميها رجال الإحصاء . ليلة العد . ـ كانت صورة المجتمع العربي في مصر على النحو التالي :

(٥٠،٥) مليونا من البشر يسكنون في جزء يسير من الأرض المصرية ، ويهجرون معظم الأرض التي يكسوها اللون الأصفر . وقد نما عدد السكان بين عامي تعداد (٧٦ ـ ٨٦) بنسبة (٢،٨ ٪) سنويا في المتوسط ، وزاد عدد المهاجرين منهم . كما زاد عدد المتعلمين والأصحاء والأطفال . ونلاحظ الآتي :

أولا : ان المجتمع العربي في مصر ـ وهو ربع المجتمع العربي في الوطن العربي على وجه التقريب ـ قد حافظ على نسبة نمو سكاني عالية . وهو نفس الأمر في معظم الأقطار العربية . بل إنه نفس الأمر في معظم البلدان النامية . وذلك على عكس ما يحدث في العالم الصناعي المتقدم . حيث انخفضت نسبة النمو إلى أقل من ١٪ في معظم البلدان . وإلى الصفر في بعض البلدان التي تعادل فيها القادمون والراحلون من البشر .

معنى ذلك أن المشكلة السكانية ـ في مصر وبقية الأقطار العربية ـ ما زالت قائمة . وأن جهود تنظيم الأسرة لم تقدم شيئا يذكر . وأن أحد مدخلات قضية مستوى المعيشة ـ وهي العلاقة بين الموارد والسكان ـ ما زالت خارج السيطرة .

ثانيا : يلفت النظر ارتفاع نسبة المهاجرين . بالأرقام المجردة ، فقد تقول إن عدد المهاجرين للعمل في الخارج يقترب من تعداد بعض البلدان ، لكن الأهم هو الأهمية النسبية ، وهي في مصر (٤,٥٪) ، وهذه النسبة قد تبدو صغيرة ، لكن أثرها كبير بالنظر لطبيعة المهاجرين ، فقد بلغ عدد الفنيين خريجي الجامعات منهم (٤٩) ألفا عام ١٩٨٣ ، أو . بالنظر للأهمية الاقتصادية حيث تحويلات هؤلاء المصريين أكثر من (٢٠٪) من موارد البلاد بالعملات الأجنبية . وعلى الجانب الآخر يأتي التأثير السلبي بانسحاب هؤلاء من قطاعات عمل قد تحتاجهم ، وبعودتهم من الخارج بأنماط استهلاك تفوق طاقة المجتمع .

والنموذج هنا ليس مصريا خالصا ، لكنه نموذج متكرر في السودان واليمن ، وبدرجة أقل في تونس والأردن وغيرهما

ثالثا : تأتي حكاية الحضر والريف ، والقلب والأطراف ، وفيها أيضا تتشابه مصر مع معظم الأقطار العربية ، حيث يتزايد سكان الحضر ويقل سكان الريف ، ويتزايد سكان ما يمكن تسميته بقلب الدولة ، بينما تظل الأطراف والحدود قليلة السكان ، قليلة الكثافة .

في مصر يشكل سكان القاهرة (١٢,٥) من السكان ، فإذا أخذنا ما يسمى بالقاهرة الكبرى - أي النطاق الاقليمي للقاهرة الذي يضم أجزاء من محافظات أخرى فإن النسبة ترتفع إلى ٢٠٪ ، والرقم يقترب من عشرة ملايين نسمة ، لكن ـ في نفس الوقت ـ تبدو الآثار العكسية لازدحام المدينة ، وتزايد متاعبها ، فتسجل القاهرة نسبة نمو بين (٧٦ و ٨٦) أقل من النسبة العامة للتزايد ، وتتراجع قليلا نسبة التزايد في الحضر بشكل عام ، بينما تحتفظ الحدود بأهميتها النسبية الضئيلة ، حيث لا يتجاوز سكانها (١,٢٪) من بالسكان .

ظواهر اجتماعية

في نفس الوقت تبرز في التعداد مؤشرات توضح مسيرة المجتمع ، فيزداد بتحسن الصحة عدد الأطفال تحت سن ١٢ سنة ، ويزيد متوسط العمر ، بينما لا تتغير سنوات العمل ، وهو ما يعني في لغة رجال الاقتصاد

ارتفاع نسبة ما يعوله كل مشتغل ، وما يعكسه ذلك على مستوى حجم الأسرة ، ويتراوح بين (٤,٩) أفراد في الحضر ، و (٥,٣) أفراد في الريف ، و (٦,٣) أفراد في محافظة صحراوية كمطروح ـ وهو متوسط مرتفع

ومن الأرقام ذات الدلالة تراجع الأمية ، إذ تقترب من (٥٠) ، وتزايد أعداد المتعلمين ، وتضاعف أعداد الجامعيين ومن هذه الأرقام أيضا تفاقم مشكلة الاسكان ، حيث يشغل كل غرفة فرد ونصف

لكن ـ مع ذلك ـ هناك ما يقرب من (٢) مليون شقة مغلقة ، بعضها بسبب السفر ، وبعضها بسبب ارتفاع السعر

أليست هذه الظواهر في معظمها عربية عامة ؟ □

■ إذا سألت كريما حاجة فدعه يفكر ، فإنه لا يفكر إلا في خير ، وإذا سألت لئيما حاجة فعاجله ، فإنه إن فكر عاد الى طبعه .

(الإمام علي)



د. فاطمة المرنيسي علاء الدين محسن

■ « الديمقراطية » قضية .

وهاجس مستمر في تاريخنا العربي .

■ العقل العربي يجب أن يهاجر ، ويبدع في

أي مكان ، وأي ثقافة في العالم .

ضيفة « العربي » في « وجها لوجه » لهذا الشهر هي الباحثة المغربية الدكتورة فاطمة المرنيسي التي تعتبر أحد أبرز الأسماء الفاعلة في حركة الثقافة المغربية اليوم .

وعلى الرغم من أن تخصصها هو علم الاجتماع تعتقد أن البحث الاجتماعي إذا كان صحيحا أنه يهتم بدراسة ظواهر آنية ، بالاستقصاء والتحليل ، فإن هذا التحليل لا يمكن أن يخلص إلى نتائج أقرب ما تكون إلى الدقة ، بدون العودة إلى « ماضي » اللحظة الراهنة التي يجري بحثها .

وانطلاقا من هذا الاقتناع وجدت نفسها تصبح باحثة في التراث العربي ، إضافة إلى تخصصها في علم الاجتماع .

محاولاتها لفهم الظواهر والسلوكيات والمفاهيم الاجتماعية بالعودة إلى التراث . من أجل وضع « اللحظة » ضمن سياقها التاريخي . بما يكفي لفهم صيرورتها . أعطت لبحوثها تميزا خاصا ، يمكن أن تجد ملامحه أيضا في جرأتها على مناقشة تراثها ومسلماته

وبسبب ثقافتها الفرنسية الانجليزية وجد من يأخذ على أبحاثها احتواءها على شيء من « النكهة الاستشراقية » ، إلا أن الدكتورة فاطمة المرنيسي تقول في حوارها مع « العربي » : « إنني امرأة خطفت حق الكلام من الرجل ، ولأننا لم نتعود سماع صوت امرأة تتكلم ينظر إلي بدهشة واستغراب » . وكأنها ترد بذلك على كل ما يقال بصدد أبحاثها .

صدر كتابها الأول « خلف الحجاب » عام ١٩٧٥ باللغة الانكليزية ، وهو ما يزال « خلف الحجاب » للأسف ، إذ لم يترجم إلى العربية بعد ، في حين ترجمت لها كتب أخرى صدرت في بيروت والرباط ، منها : « الحب في حضارتنا الاسلامية » ، و « السلوك الجنسي في مجتمع إسلامي رأسمالي تبعي » ، و « نساء الغرب » ، و « كيد النساء » ، ومن كتبها الأخرى التي صدرت بالفرنسية ولم تترجم بعد : « المغرب كما ترويه نساؤه » ، و « الحريم السياسي » ، وهو آخر كتاب صدر لها ، أما كتابها القادم فهو عن « حسناوات العرب » ، وقد نشرت بعض فصوله - خلال عام ١٩٨٦ في إحدى المجلات المغربية الصادرة بالفرنسية - التي حاولت فيها الاحاطة بمفهوم الجمال في الحضارة الاسلامية .

وفي هذا الحوار مع « العربي » يتعرف القراء العرب لأول مرة على جوانب من السيرة الذاتية لهذا الصوت النسائي المغربي « المشاكس » ، إضافة إلى محاور أخرى تتعلق بالجديد من أبحاثها وانشغالاتها .

أما محاورها فهو الزميل علاء الدين محسن ، الكاتب الصحفي العراقي ، مراسل « العربي » في المغرب :

ولدت في زمن مهم ، ومدينة مهمة :

* إن سيرة حياتك - على العكس من أبحاثك الاجتماعية والتراثية - غير معروفة للقراء . فهل يمكن أن نعود بالذاكرة قليلا إلى الماضي ؟

- أنا « مباركة ومسعودة » - كما يصف المغاربة الناس المحظوظين - فلقد ولدت في زمن مهم ، ومدينة مهمة ، فالمدينة فاس ، والزمن سنوات الأربعينات ، وآنذاك كانت هذه المدينة عاصمة

معتقد الوطني، والصراع الثقافي والسياسي والعسكري ضد الاستعمار الفرنسي.

وقد فتحت عيني على مسافة ٣٠٠ متر من القرويين، في مدينة عريقة إسلامية، تعيش ثورة ثقافية حقيقية. ومن أجواء هذه الثورة التي ما تزال عالقة بذاكرتي أن أمي كانت ترفض الانزواء في البيت، والانصراف لتدبير شؤونه، شأنها شأن باقي النسوة اللواتي كن يغادرن منازلهن قائلات لأزواجهن: سوف لن تحضر الطعام هذا اليوم، لأننا ذاهبات لسماع خطبة علال الفاسي في القرويين. فقد خرج علال الفاسي من السجن هذا اليوم. وكن يأخذنني معهن لسماع هذه الخطب.

لم تكن هناك ثورة تهم الرجال فقط، بل ثورة ثقافية حضرية شاملة، شاركت فيها جميع الطبقات. وفي وسط هذا الجو، وهذه الثورة ترعرعت.

والعالم الإسلامي الذي تفتحت عيناي فيه كان قادته المتنورون هم زعماء ثورة، تدفع بالمرأة للخروج للعلم، بل كانوا هم الذين يؤسسون المدارس. وقد درست في إحدى مدرستين أنشأهما أستاذي مولاي إبراهيم الكتاني مدير معهد المخطوطات الآن. وكانت المدرستان مفتوحتين للجنسين، ومنفتحتين على مختلف العلوم، إذ كنا ندرس الرياضيات والقرآن والأدب العربي واللغة الفرنسية. ثم انتقلت بعد ذلك إلى مدرسة الأستاذ بن عبد الله، وهو من الفقهاء ورجال الدين الذين قادوا هذه الحركة التعليمية للبنات.

إنني أتحدث عن هذه المرحلة المبكرة من حياتي وتعليمي، لأنها كانت أساسية في تكويني، ولأنها جعلتني أكتشف مبكرا أن ليس هناك تناقضا أو عدم انسجام بين أن يكون المجتمع إسلاميا، وبين أن يكون ـ في الوقت نفسه ـ ثوريا، يعني إعادة النظر في بنياته، وطرح مشاكله على بساط البحث، ومعرفة جميع الناس على مختلف طبقاتهم واهتماماتهم وآرائهم بطريقة ديمقراطية، من أجل التوصل إلى حلول لتلك المشاكل التي تؤمن بتقلبك، لأنها مجتمعه وعشته.

● من أثر فيك أكثر من أساتذتك في تلك المرحلة؟

ـ أثر في بدرس الشعر العربي الذي كان يعلمنا إياه الأستاذ شفيق. هذا الأستاذ لم يعلمني الأدب العربي فقط، بل علمني طريقة للوقوف في وجه العالم. والأستاذ شفيق جاء من منطقة الرزون إلى فاس، ليعلم في مدرسة فرنسية يسيرها المستعمرون، لكن هل تدري كيف كان يدخل هذا الرجل إلى القسم، الصف، ويقدم درسه، وهو مرفوع القامة؟ كان وسيما وأنيقا. وفي تلك المرحلة علمني أن من الممكن أن تكون عربيا وسط النظام الاستعماري الذي يحاصرك، وهذا الممكن هو ما يمكنك مواجهة المستعمر بصلابة. والأستاذ شفيق لم يكن يدرسنا قصائد امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة فقط، بل كان يعلمنا كيف نواجه العالم الأجنبي، دون خوف، وهذا شيء أساسي أثر في بعمق.

ليس هناك عالم عربي وآخر غربي!

● والآن كيف تنظرين إلى العلاقة مع الآخر ـ الغرب؟

ـ غالبا ما أسافر إلى أقطار توصف عادة بأنها عنصرية، لكنني لا أحسها كذلك، إذ لا يخطر على بالي، ولا يمكن أن أتصور أن هناك من يظن أنني أعاني من نقص في عقلي أو ثقافتي لمجرد أنني عربية، فأنا أعرف غنى ثقافتي وتاريخي وتراثي. وهذا الإحساس بالامتلاء، والوقوف على أرض ثقافية صلبة أنا مدينة به لتلك المرحلة الأولى التي كانت مؤثرة في حياة المغرب، وحياتي. وأنا لا أعتبر أن هناك عالما عربيا وعالما غربيا، بل أعتبر أنني، أنا

فاطمة المرنيسي - مثلاً - أنتمي إلى مجتمع عربي ضمن العالم الأوسع ، وهذه الكرة الأرضية ليست ملكاً للغرب ، إذ أن لي الحق فيها ، ولي الحق في ثقافة هذا العصر ، لأنني أمتلك حضارة يمكنني أن أساهم بها على الصعيد العالمي.

لقد مللت من النقاش حول الشرق والغرب ، إذ كيف يمكنني أن أقول « أنا في مواجهة مع الغرب » ، في حين أنني أستعمل السيارة والتلفاز والحاسوب « الكمبيوتر » ؟ فالقضية ليست هي أن نكون ضد الغرب أو معه ، لكن القضية في سؤال يقول : كيف يمكننا أن نجد مكاناً لنا في هذا العالم اليوم ، وكيف يمكننا مثلاً المساهمة في حضارة « التلفزة » ؟

والجواب لا يمكن أن يكون أبداً بالانكماش على الذات ، وبناء الجدران ، ورسم الحدود ، لكنه - على العكس من ذلك - يكون فقط بالانفتاح ، وبأن نأخذ من جذورنا الثقافية ما نعتز به أنها.

● وهل تعتقدين أن « استبداد » الشرق يمكنه أن يواجه « ديمقراطية » الغرب ، ونحن كذا ذلك ؟

- في كتابي الأخير « الحريم السياسي » ، أتناول بالبحث من حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - الثلاث سنوات الواقعة ما بين غزوة أحد وفتح مكة التي كانت زاخرة بنقاش صاخب حول حقوق الإنسان ، من خلال محورين هما : الحق بين العبيد والسادة ، والحق بين المرأة والرجل .

لقد تطلب مني هذا الكتاب خمس سنوات من العمل ، وأعتبر أنه سيصحح الفكرة التي تقول بأن العالم العربي ليس له في تراثه نقاش أو صراعات حول « الديمقراطية » ، وأنه نقل النقاش « الديمقراطي » عن الغرب . واعتمدت في الكتاب على نصوص ووثائق استخرجتها من السيرة النبوية لابن هشام ، ومن الطبري ، وسأعطيك مثلاً .

أحد هذه النصوص يحدثنا عن أحداث الفتنة الأولى بين عائشة والإمام علي - كرم الله وجهه - فقد كان طلحة والزبير يخطبان في أحد مساجد البصرة ، فقام لهما رجل من عبدالقيس ، فقال له طلحة : أيها الرجل انصت حتى نتكلم ، وقال له عبدالله بن الزبير : « ومالك والكلام » ؟ لكن الرجل تكلم . وقال : « يا معشر المهاجرين ، أنتم أول من أجاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان لكم بذلك فضل ، ثم دخل الناس في الإسلام كما دخلتم ، فلما توفي رسول الله - عليه الصلاة والسلام - بايعتم رجلاً منكم ، والله ما استأمرتمونا في شيء من ذلك ، فرضينا واتبعناكم ، فجعل الله عز وجل للمسلمين في إمارته بركة ، ثم مات رضي الله عنه ، واستخلف عليكم رجلاً منكم فلم تشاورونا في ذلك ، فرضينا وسلمنا ، فلما توفي الأمير جعل الأمر إلى ستة نفر ، فاخترتم عثمان ، وبايعتموه عن غير مشورة منا ، ثم بايعتم علياً عن غير مشورة منا ، فما الذي نقمتم عليه فتقاتلونه ، هل استأثر بفيء أو عمل بغير الحق ، أو عمل شيئاً تنكرونه ، فنكون معكم عليه ، وإلا فما هذا ؟ »

فهموا بقتل ذلك الرجل ، فقام من دونه عشيرته ، فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه فقتلوا سبعين رجلاً

تاريخ الأمم والملوك للطبري - الجزء الخامس ، ص ٧٩ ؛

وهذه القصة بالنسبة لي تحمل صوتاً هو من أهم الأصوات المطالبة « بالديمقراطية » ، فكيف يمكن بعد ذلك القول بأن قضية « الديمقراطية » وحقوق الإنسان غريبة على تاريخنا ، وأن الاستبداد هو فلسفة الشرق ؟

لقد قلت في جوابي السابق : إن علينا أن نواجه العالم بالعودة إلى تاريخنا ، والتمعن المتفتح في هذا التاريخ من شأنه أن يجعلنا نعرف أن الديمقراطية كانت باستمرار قضية وهاجساً ضمن هذا التاريخ ، لكن

لسنا مجموعة من فاقدي الذاكرة ، بل لدينا ذاكرة مكتوبة ، يمكنها أن تعطينا قوة متى عرفنا كيف نجعلها تعيش العصر .

نحن اليوم نعيش العصر بشكل ما ، وإنما ـ للأسف ـ حضورنا « العالمي » هذا هو محصلة لمزقات وصراعات . فالحرب اللبنانية مثلا قد دفعت بالعقول اللبنانية الخلاقة نحو أوروبا . وهكذا « فعاليتنا » تمت بطريقة مؤلمة ، لكن فيها مع ذلك جانب إيجابي ، رغم أنه رمزي ، يتمثل في ان العالم أصبح يتعامل مع هذه الطاقات العربية الخلاقة

هناك من يتحدث عن هجرة العقول العربية ، وسلبيات هذه الهجرة ، لكنني لا أتفق مع هذا الرأي ، لأن العقل العربي يجب أن ينتقل ويعمل ويبدع في أي مكان وأي ثقافة في العالم .

والسؤال الذي يجب أن يطرح بصدد هذه العقول العربية المهاجرة خارج اوطانها هو كيف يمكن لنا أن نربط جسرا للابداع بين الداخل والخارج . أقول هذا وفي ذهني ان الصين لها أقليات في جميع الأقطار الآسيوية ، وهي تستعملهم كوحدات جماعية او كعناصر مفردة ، وتدعمهم ثقافيا ، وتنمي بينها وبينهم علاقات اقتصادية وثقافية ، لتحقق هدفين الأول يتجلى في استمرار محافظة هذه الأقليات على الروح والحضارة الصينيتين والثاني هو تمكين الأقليات الصينية من القيام بدور سياسي وثقافي في البلدان التي تعيش فيها

لقد زرت ماليزيا ، وذهلت عندما رأيت ان الماليزيين من أصل صيني هم الذين يقودون البلاد ويغذونها اقتصاديا .

ويجب أن لا يفهم من مضمون جوابي هذا على أنه دعوة للاستيلاء على العالم ، لأنني أدعو في العمق الى المساهمة في خلق عالم له أصوات ثقافية متعددة بما فيها الصوت العربي .

الرجل العربي تعيس !

● أبحاثك الاجتماعية والتراثية تتحدث عن المرأة ، ونريد ان اسألك هنا ، عن رؤيتك للرجل العربي ؟

ـ لست أنا من سيكون رأيا في الرجل العربي ، لكن الكتاب والسينمائيين والروائيين والمغنين العرب هم الذين عندما تقرأ أعمالهم او تشاهدها او تسمعها تجدها تتحدث عن رجل تعيس . لا ينال حقه من الحنان ، وعلاقته بالمرأة دائما علاقة بامرأة يخاف منها لأنها مخادعة ، تهجره وتختار حبيبا آخر . وهمها هو البحث عن الرجل الغني

وبعبارة اخرى فان الابداع الثقافي هنا هو الذي يعبر عما يجول في خاطر الرجل ، وإحساسه إزاء نفسه

لقد استرعى ذلك الخطاب الرجالي عن الرجل العربي انتباهي . وفي النهاية وجدت انه ليس صعبا فهمه ومعرفة اسبابه ، فالعلاقة المريضة المبنية على عدم التوازن التي احد طرفيها مهضوم الحقوق لا يمكنها سوى ان تنتج رجلا كهذا . ومن الخطأ ان نعتبر الرجل العربي غير مقموع ، بينما الطرف الآخر الذي يعيش معه علاقة الحب والعشق مقموع ايضا ، انه يستهلك علاقة مع انسان لا حقوق له . وعلاقتهما بالتالي علاقة السيد بالمسود ، مما يجعل الرجل مسلوب الحق بالسعادة من خلال الحب . وهذا يجعلني اقول ان الرجل العربي غير سعيد عاطفيا

● أي قمع تعنين في جوابك هذا ؟

ـ في سلسلة مقالات نشرتها بمجلة « كلمة » المغربية ، بالفرنسية تناولت مفاهيم الحب والجمال ، وضمنها تساءلت لماذا ارتبط مفهوم الجمال بالصمت ، ولماذا نحب ان تكون المرأة الجميلة

صامتة ، ومن اين أتى الينا هذا التصور ، وما علاقة مفهوم الجمال بمفهوم الصمت ، وهل هو سياسي ويقابل الحق في التعبير .

غريب ان يصبح الجمال رقابة ، بوليسية ، تمارسها المرأة على نفسها ، كي تكون محبوبة ، وأي نوع من الرجال ذلك الذي يحب امرأة تمارس على نفسها مثل هذه الرقابة . لقد قالت لي ثقافتي بأنني اذا اردت ان اكون جميلة فيجب ان اصمت ، لكنني عرفت رجالا احبوني لأنني اتكلم ، وهذا معناه ان الرجل احيانا يفلت من قبضة العقلية السائدة ، وهي عقلية تحاول تبرير مواقفها بالعودة الى مرجع هو التراث . لكن هل تراثنا الحقيقي كذلك حقا ؟

انني متشبعة بالمثال النبوي ، والنبي - ﷺ - مثلا كان يحب عائشة ، وأحب خديجة وام سلمة ، ولقد انزعج النبي(ﷺ) مرة ايما انزعاج لأن عائشة وصفت خديجة بعد موتها بالعجوز ، انزعج لأنه رفض أن تمس خديجة التي كان يحبها حتى بعد موتها . ولك ان تتصور اي احترام واي علاقة جميلة كانت تربط النبي (ﷺ) بنسائه ، فكيف يقال لي اليوم انه ليس من صميم حضارة الرجل العربي ان يحب المرأة الا اذا كانت . . صامتة ؟ هذا احد الأمثلة عن القمع الذي اعنيه .

لقد خطفت حق الرجل :

● وهل تكتبين في قضايا المرأة على الأخص احتجاجا على هذا القمع ؟

- اهتمامي بالمرأة هو استمرار لصيرورة تاريخية . تتجلى في ان هناك دائما خطابا عن المرأة ، اي انني اكتب في هذا الموضوع استمرارا للموروث من تراث حضارتنا . ولقد انجزت مؤخرا لليونسكو بحثا حول كيفية تعامل الكتّاب العرب مع المرأة العربية . وارفقته بوثيقة ، وهي لائحة كان قد وضعها صلاح الدين المنجد ، وجمع فيها ما ألفه العرب عن النساء ، وقد بلغ ذلك ثمانين كتابا . وهذا الرقم لا يعبر بالطبع عن مسح شامل .

استخلص من ذلك ان كتابتي عن المرأة امر طبيعي ، وفي حالتي فان ما هو غير طبيعي يتمثل في كوني امرأة تكتب في قضايا المرأة لماذا ؟ لأن هذا الخطاب عن المرأة كان دائماً من قبل حكرا على الرجل ، بل هو من امتيازاته .

ما حدث اذن ، هو انني امرأة ، خطفت ، حق الكلام حول هذا الموضوع ، ولأننا لم نتعود سماع صوت امرأة تتكلم ينظر الي بدهشة واستغراب ، ولو كنت امرأة تتحدث بصوت خافت ، وتعيد ما قاله الرجل من قبل ، وتكرس ما هو سائد ، لقيل عني بأنني امرأة عظيمة . □

النحو - قواعد

تقول الأديبة العراقية الدكتورة نازك الملائكة : إن قواعد النحو العربي ليست إلا صورة من القوانين المنتظمة التي تخضع لها الجماعات ، والجماعة التي تضع قواعد لغتها لابد أن تضع قواعد تفكيرها وحياتها ، وإن لزوم القاعدة النحوية صورة من إحساس الأمة بالنظام ، ودليل على احترامها لتاريخها ، وثقتها بنفسها ثقة كاملة أصيلة .



أفضل أصدقاء الإنسان

بقلم : سمير صلاح الدين شعبان

في عام ١٩٥٤ م انطلقت إحدى سفن الأبحاث الفرنسية من عدن باتجاه الخليج العربي ، للتنقيب عن النفط فيه . وبينما كانت السفينة تودع الميناء لمح القبطان في الأفق بقعة كبيرة من سطح البحر ، يرتفع فيها الزبد ، وكأن الماء « يغلي » ! فاعتقد القبطان في بادىء الأمر أن هذا الزبد المرتفع ينشأ عن ارتطام الأمواج « بشعب » أو جدار صخري . وبغية التأكد رجع القبطان إلى خارطته « ليشاورها » . فارتسمت على وجهه ملامح الدهشة ، إذ لاوجود لكل هذا « الشعب » في تلك المنطقة !

اقتربت السفينة من ذلك الزبد شيئا فشيئا ، فوقعت عينا القبطان على مشهد لم تريانه ، وربما لن تراه عين بشر ، « رقصة باليه مائية » ، يشارك فيها ما يزيد عن ١٠٠٠٠ دلفين ، كل دلفين ينفث الماء في الهواء كالصاروخ ، مستمتعا بقفزاته التي تنتهي

بارتطام يثير كثيرا من الزبد . وتساءل القبطان : كيف اجتمع هذا العدد الهائل من الدلافين ، في هذا الزمان وفي هذا المكان ؟

سفينة أخرى كانت تمخر عباب البحر في الشرق الأقصى بسرعتها القصوى . وتأرجحت مقدمة السفينة إلى الأعلى ، ثم إلى الأسفل ، لتدفع أمامها موجة عالية . وفجأة لاحظ القبطان أن هناك من سابقه ، مجموعة من الدلافين ترافق السفينة ، من كلا الجانبين ، وتنطلق بسرعة مساوية لسرعة السفينة ، وتزيد عنها أحيانا !

« الدلفين القائد ، بأخذ زمام المبادرة ، ويسطلق كالسهم أو الطوربيد إلى مقدمة السفينة ، وحتى يصل إلى قمة الموجة التي تدفعها السفينة أمامها ، يسترخي فوقها ، ويترك لها تدفعه إلى الأمام ، ثم ينطلق تحت الماء ، ويغيب عن الأنظار ، لتسمح للدلفين التالي بركوب الموجة ، وبعد قليل يفسح الثاني المجال للدلفين الثالث ، وهكذا دواليك ، كي يفسح المجال لجميع الدلافين المشاركة في هذه اللعبة المرحة » .

يحدث كل هذا والدلافين منطلقة بسرعة لا تقل عن ٥٠ كيلو مترا في الساعة . وفجأة ، يلتصق دلفينان على جانبي السفينة ، وكأنهما يحاولان حمل السفينة ، نفسها ، مانهما طافية على سطح الماء ! وقد لاحظ القبطان أن ألعاب الدلافين هذه جماعية ، تشارك فيها الجميع دون استثناء ، وأن الجميع يبدءون الحركة واللعب في نفس اللحظة ، وتساءل القبطان : كيف يتم تحديد « لحظة الصفر » ؟ وهل للدلافين لغة خاصة بها ؟

شاهد الأستاذ (البروفسور) « رينيه بوسنيل BUSNEL » في عدد من المناسبات أرتالا من الدلافين ، يزيد طولها عن (٣٥ - ٤٠) كيلو مترا ! وقد أحاطت الدلافين - مرة - بسفينة من كل جانب ، أثناء إحدى رحلاته في البحر الأبيض المتوسط . وقد رتبت الدلافين نفسها ، بحيث يتمتع كل منها بحيز يقارب ٢٠ ياردة مربعة فقط من سطح البحر . وقد قدر « بوسنيل » عددها ببضعة ملايين ! فما الذي يدفع الدلافين إلى السعي لمرافقة السفن ، بهذه الأعداد الكبيرة ؟

ومرة كان الغطاس الأمريكي « ادوارد لابيان » يراقب فقاعات الهواء الصادرة عن زفيره ، على عمق ٣٠ قدما ، في مياه شواطىء « السلفادور » ، ففوجىء بدون سابق إنذار بأنه وجها لوجه مع دلفين ، لا تفصله عنه المسافة ، سنتيمترات ... نسان ودلفين ! ورفع لابيان يده ، تداعب فم الدلفين ، فأغمض الدلفين عينيه حزنا . لكنه بقي ثابتا بدون حراك ، بعدها فتح فمه ، وكأنه يدعو الغطاس إلى مبادلة الشعور نفسه بالمثل ، ومرت لحظات طويلة ، والاثنان محدقان ببعضهما : إنسان ودلفين !

كان هذا الدلفين مشهورا لدى غطاسي أهل المنطقة ، وكان كثير التردد عليهم ومداعبتهم ، وقد أطلقوا عليه اسم « ساندي » . وفي كثير من الحالات كان يصحح إقلاع محرك قارب أحد الغطاسين كافيا ، لكي يطلق « ساندي » إلى القارب صفير سرعة ، تعبيرا عن فرحته المتسعة ، حتى يصبح نفسه أمام مقدمة القارب ، إنه حيوان وحشي يبحث عن صحبة الإنسان !

بقي « ساندي » يسبح ويلعب مع الغطاسين المشهورين قرابة سنة كاملة ، لكنه اختفى فجأة ، تماما كما جاء فجأة ، ولا أحد يدري إلى أين ذهب .

حياة الدلفين

يعيش الدلفين في جميع محيطات الأرض ، وفي عدد من الأنهار ، في أمريكا الجنوبية (مثل الأمازون) ، وفي آسيا (مثل الغانج) ، ورغم أن مظهره الخارجي يشبه الأسماك ، لكنه من الحيوانات الثديية (اللبونة) التي ترضع صغارها . والدلافين - وتسمى أحيانا بوربوس PORPOISE - عبارة عن حيتان صغيرة مزودة بأسنان

اكتشف علماء الأحياء البحرية حتى الآن مايزيد عن ٥٠ نوعا من الدلافين والبوربوس، يختلف بعضها عن بعض في كثير الصفات، مثل الحجم والشكل والوزن. وعلى سبيل المثال فإن «دلفين الموانىء» صغير جدا، لايزيد وزنه عن ٣٤ كيلوغراما، وطوله ١٥٢ سنتيمترا. أما أكبر أنواع البوربوس، وهو «الاوركا ORCA»، فقد يصل وزنه إلى حوالي ٨٠٠٠ كيلوغرام، ويطلق عليه أحيانا اسم «الحوت القاتل»، ويصل طوله إلى ٨ امتار. إلا أن أكثر الأنواع المشاهدة ندرة هو مايسمى «بالدلفين العادي»، وإليه يعود الفضل في معرفة كثير من الحقائق عن الدلافين والبوربوس بشكل عام.

وبما أن الدلفين من الثدييات «اللبونات» فهو مضطر إلى تنفس الهواء، لذا يضطر للظهور بين فترة وأخرى للتنفس، بواسطة منخره الوحيد الموجود في قمة رأسه. وعندما يظهر الدلفين يفتح منخره، ليزفر الهواء المتراكم في رئتيه، ويستنشق هواء نظيفا، ثم يغلق المنخر، ويغطس في الماء مرة أخرى.

يصعد معظم أنواع الدلافين إلى سطح الماء للتنفس مرة كل (٤–٦) دقائق. وحتى عندما تكون نائمة فإنها تتحرك بصورة لاإرادية إلى السطح لتتنفس. ويضطر بعض أنواع الدلافين – مثل دلفين «أنف الزجاجة» – للتنفس مرة كل ٢٠ ثانية.

وهناك أنواع أخرى تتمكن من حبس أنفاسها مدة تصل إلى ٣٠ دقيقة أحيانا.

الدلفين «متلائم» مع بيئته المائية بشكل ممتاز. فجسمه محاط بطبقة سميكة من الدهن، تحميه من برودة مياه الشواطئ الباردة، وجسمه انسيابي بالطوربيد، مما يسهل انزلاقه في الماء. وزعانفه الموجودة على جانبي جسمه تساعده على التوازن، وتغيير وجهته. أما زعنفة المؤخرة، فهي تمثل مجدافه القوي الذي يتحرك نحو الأعلى



والأسفل، ليدفعه إلى الأمام بسرعة هائلة. وإن لزم الأمر، وإلى هذه الزعنفة يعود الفضل في تصنيفه ضمن أسرع السباحين، فهي التي تؤمن له سرعة تصل إلى ٥٠ كيلومترا في الساعة في بعض الأحيان.

هل هناك علاقة بين «ألوان» جسم الدلفين و«تأقلمه» مع بيئته المائية؟

إن ألوانه تسمح له بالاختفاء عندما يشعر بالخطر. فمن ينظر إليه من الأعلى لايقدر على تمييز لون ظهره القاتم «الداكن» عن لون مياه الأعماق القاتمة أيضا. وعند النظر إليه من الأسفل يتلاشى لون «بطنه» الفاتح مع اللون البراق لسطح الماء

سباحة الدلافين بمجموعات كبيرة تعطيها حماية إضافية ضد الأخطار المختلفة، ويتراوح عدد أفراد مجموعة الدلافين بين بضعة حيوانات وعدة آلاف، وقد يتجاوز عدد مجموعة منها في بعض الأحيان



تدريب الدلافين على ... صعب مهمات

١٠٠٠٠ دلفين ! وعندما تسبح الدلافين بشكل مجموعات فإنها تبقى على اتصال مستمر فيما بينها، عن طريق إصدار الأصوات المختلفة. وعندما يشعر أحد الدلافين بالخطر يصيح طالبا النجدة من رفاقه.

يعرف عن الدلافين بأنها تهب مجتمعة، لإنقاذ الدلافين المجروحة، أو المريضة، أو المصابة بعارض ما، إذ كثيرا مايصعب على الدلفين المصاب الصعود إلى سطح الماء للتنفس. وهنا تثار الدلافين على حمل المريض منها إلى السطح على زعانفها، وتسبح معه إلى السطح.

يروى عن قيام الدلافين بإنقاذ بعض الغطاسين من البشر بالطريقة نفسها حكايات كثيرة ! لكن هذه ليست الطريقة الوحيدة لتضامن الدلافين وتكافلها. فعندما تلد أنثى الدلفين الحامل تقوم الإناث الأخريات بمساعدتها في عملية الولادة نفسها أولا، ثم تساعدها مع وليدها على بلوغ سطح الماء للتنفس. علما بأن الوليد الجديد يطفو إلى سطح الماء فورا للحصول على الشهيق الأول. وإلا مات غرقا، وسبب حزنا لأمه ولرفيقاتها !

تضع أنثى الدلفين مولودا واحدا ! بعد مضي سنة كاملة تقريبا على عملية الإخصاب. وتتم الولادة غالبا في بواكير الربيع من كل سنة. وبعد الولادة مباشرة تقوم الأم بدفع وليدها - تساعدها الإناث الأخريات - برفق إلى السطح. وقد تساعدها الأخريات أيضا في الإمساك بالوليد الجديد أثناء عمليات الرضاعة الأولى. تستمر الأم بإرضاع وليدها قرابة ١٠ أشهر. والأم مزودة بعضلات خاصة تمكنها من عصر حليبها في فم رضيعها.

تم تدريب عدد من الدلافين الذكية الفصولية على القيام بعدد من المهام والحيل في أحواض سنية خاصة، بإشراف عدد كبير من علماء الأحياء البحرية. وهناك يقفز عدد منها عبر حلقات معلقة في الهواء، أو يقفز لاقتناص سمكة من يد المدرب الواقف على حافة الحوض. وغير ذلك كثير. فمن أين جاء هذا الذكاء ؟

الرؤية السمعية

يرجع الفضل للدكتور كينيث نوريس (K. S. NORRIS) من جامعة كاليفورنيا في (سانتا كروز) في الإثبات العلمي على أن مقدرة الدلفين المدهشة على الرؤية ، تحت الماء ، إنما تتم بواسطة حاسة السمع " ففي عام ١٩٥٩م قام (نوريس) بربط عيون أحد الدلافين ، ثم وضعه في مساحة معتمة . لكنه أصيب بالدهشة عندما وجد أن الدلفين شق طريقه بكل سهولة ويسر فكأنما يعرف طريقه وهو معصوب العينين "

يجيب الدكتور (نوريس) عن هذا السر قائلا : بأن الدلفين يطلق أصواتا … بواسطة … الجيوب الأنفية (الموجودة داخل جمجمته) وهذا الأمر يشبه صوت (البالون) … الطفل … وبعد ذلك … الصدى (المرتد) عن … ويلتقط قطارا من (الطقطقات) … يتم تركيز هذه الأصوات … بواسطة (عدسة) من الدهون الموجودة في جبهة الدلفين تماما كما تقوم العدسات الزجاجية بتجميع أشعة الضوء في نقطة تجمع (محرق) رئيسية

يطلق الدلفين مثل هذه النبضات بين فينة وأخرى ، وينصت ، علّه يعثر على طعامه المفضل ، مثل سمك البوري أو أحيانا التي يلتهم كميات كبيرة منه بشهية واضحة ، وتساعده جملة النبضات هذه أيضا على الاهتداء إلى الطريق الصحيح ، وتجنب الحواجز . وقد لاحظ العلماء أن عدد (الطقطقات) التي يصدرها الدلفين يزداد ، كلما أصبح على مسافة أقرب من فريسته . وقد وجد الدكتور (نوريس) أن الدلفين قد تمكن بمساعدة طريقة (تحليل الموجات) هذه ، من التحديد الدقيق لموقع كبسولة (فيتامينات) تحت سطح ماء الطرف الآخر لحوض مائي كبير "

وقد أعرب (نوريس) عن اعتقاده بأن البشر سيكتشفون – يوما ما – المهارة الفائقة للدلافين (في التقاط الصور الصوتية) . ويشير إلى أنه أصبح من الثابت الآن أن بمقدور الدلافين التعرف على طبيعة الأجسام وحجمها ، ويعتقد بأن هذه القراءات الصوتية الشديدة الحساسية قد تسمح بقراءة أحاسيس الدلافين الأخرى وانفعالاتها "

وقد وجد (نوريس) أيضا أن الدلفين ليس له أذن خارجية ، بل فتحة أكبر بقليل من رأس … الأذن الحقيقية ، لكنه هي … رقيقة من عظام الفك الأسفل … الأصوات خلالها . وأثناء … تثبيت غطاء على فكي إحدى … إحدى الملامح الأساسية للدلافين … ابتعدت عنه . وقامت بحركات عنيفة ، حتى خلصت … الوثاق في فمها وأعادته إلى … وكأنما تريد أن تقول له … هذه حيلة … حيلتك … "

لدى … الدلافين حكايات طريفة عن ذكاء الدلافين … وعلى سبيل المثال ، فقد عود … (J. MULLEN) دلافينه على (تنظيف مسابحها) وكلما أحضر الدلفين للمدرب قطعة من الأوساخ نال سمكة بوري مكافأة على النظافة . لكن الشك اعتراه ، عندما أصبح أحد الدلافين ، المسمى (السيد سبوك) ، ينال المكافأة تلو الأخرى ، جزاء إحضاره قطعا من الأوراق الممزقة . وأخيرا وجد المدرب أن (السيد سبوك) كان ينال مكافأة في كل مرة على قطع من أوراق البني المتشابهة ، الممزقة من كيس واحد . وغطس المدرب في الحوض فوجد أن (السيد سبوك) كان قد خبأ كيس ورق في إحدى زوايا الحوض ، وأنه كان ينزع منه قطعة صغيرة في كل مرة ، ويقدمها للمدرب (الكريم) "

تجري دراسات عديدة في عدد من دول العالم على

الدلفين ، لمعرفة مزيد من المعلومات حول براعاته وخصائصه ، وقد وجد الدكتور « سام ريدجواي S. RIDGWAY » أن للدلفين عددا من « المعدات » ، مثل البقر ، والماعز ، وقد وجد بعد دراساته المكثفة في « مركز الحمل الحيوية » في « سانديفو » أن الدلافين تركز الملح في الكلى ، مثل الجمال تماما ، وأنها بحاجة إلى ساعات محدودة من « النوم » ، مثل البقر أي من ساعتين إلى ثلاث ساعات ، كما وجد أنها قادرة على النوم مع إبقاء إحدى العينين مفتوحة ، كما يبقى نصف المخ مستيقظا !

يضع علماء هذا المركز نصب أعينهم استخدامات أقرب إلى الحياة العملية ويشير « ريتشارد سول » الذي يرأس قسم الحمل الحيوية إلى أن أدق تجهيزاتنا « الالكترونية » لاتتمكن من محاكاة عشر مقدرة الدلفين السمعية تحت الماء

ويقول ان البحرية الامريكية ترغب في تسخير هذه القوة ، بغية ابتكار أذن صناعية قادرة على التصنت تحت الماء ، انطلاقا من تقليد الدلفين !

يقوم الدلفين باصدار عدد من أصوات الاستكشاف ، ترددات أو ذبذبات أعلى بكثير من تلك التي تقدر الأذن البشرية على سماعها . أو فلنقل إنها موجات « فوق صوتية ULTRA SOUND » .

وقد نجح مهندسو البحرية الامريكية في توليد النبضات التي يولدها الدلفين . ولكن بواسطة الأجهزة « الالكترونية » . وبثها ونشرها ضمن الماء . وبعد ذلك يقوم حاسب « الكتروني » باستقبال الأصداء المنعكسة . وتحويلها إلى موجات تتمكن الأذن البشرية من سماعها . وهكذا يتمكن الغطاس من البشر وهو مغمض العينين من التمييز بين الأجسام الموجودة في الماء . مثل الدلفين تماما !

يكمن الهدف النهائي لمثل هذه الاختبارات في التوصل إلى حاسة سمعية صناعية « الكترونية » بالكامل . لاتتفوق عليها قدرة حواس الانسان إطلاقا . ويستخدمها الغطاسون ليلا . أو تستخدم في توجيه « الطوربيدات » إلى أهدافها المحددة سلفا !

يوجد في مركز الأبحاث هذا أنثى دلفين عجيبة . أطلق عليها اسم « كاي KAE » . وقد اشتركت ذات يوم مع مدربها « ايرل مورتشيسون F. MURCHISON » في لعبة « عشرون سؤالا » .

قام المدرب بتغطيس عدة أجسام مختلفة الأشكال والأحجام . كل جسم على حدة في الماء . وعلى بعد ٢٠ قدما من « كاي » - في الوقت نفسه كان أحد المحررين يستمع إلى الأصوات تحت الماء بواسطة مكبر صوت - وسأل « ايرل » « هل هناك شيء ؟ » . فردت « كاي » بإصدار « طقطقاتها » الرادارية ، حتى اطمأنت وتأكدت . وبعد ذلك سارعت لتقدم « الجواب » ، وقد ضربت الكرة الحمراء التي يعني ضربها لها : « نعم » . وهنا أجابت « كاي » نعم حصلت على مكافأتها

وازداد اعجاب الحاضرين « بكاي » ، عندما أجابت إجابة صحيحة على السؤال الثاني عندما وجه إليها . وقد كان السؤال « هل هو اسطوانة ؟ » .

وقد قام « ايرل » بتغطيس اسطوانات من أحجام مختلفة ومن مواد مختلفة أيضا . منها ما هو مصنوع من الخشب . أو الفولاذ . أو اللدائن . أو الألمنيوم . ومنها ما هو مصمت « خال من التجويف » أو مجوف . وفي كل مرة كانت « كاي » تشغل « رادارها » الصوتي - ثم تقدم الاجابة الصحيحة « نعم » .

ثم انزل المدرب قطعة حديد بشكل زاوية . فتم سبرها ذلك ، وأصدرت طقاعة من منخرها . وأجابت « لا » . وهذا يوحي بأن هذا الحيوان يدرك فعلا « المفهوم التجريدي » للاسطوانة

كانت التساؤلات التالية في برنامج التدريب : هل هو معدني أم لا ؟ » ، « هل يتحرك ؟ » .

وبالاعتماد على هذه التساؤلات التي تكفي الإجابة عليها بنعم أو بلا . سيتمكن العلماء من معرفة المزيد عما « يراه » الدلفين بواسطة « راداره الصوتي » . □

منتدى العربي

قضية

تعريب التعليم الجامعي

أجرى الحوار : أبو المعاطي أبو النجا

قضية التعريب قضية قديمة متجددة ، ذات اتصال وثيق بإشكالية الأصالة والمعاصرة ، من أهم عناصرها قضية تعريب التعليم الجامعي ، التي تتميز فيها جامعة دمشق بموقف قومي رائد وجريء . [illegible] حول هذا الموقف تجري مجلة العربي هذا الحوار مع أستاذين كبيرين في جامعة دمشق هما : الدكتور عادل العوا ـ رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب والدكتور عدنان تكريتي ـ أستاذ [illegible] بكلية الطب . وفي هذا العدد ننشر الجزء الأول من الحوار مع الدكتور عادل العوا .

لجامعة دمشق موقف تتميز به [illegible] في قضية التعريب ، وتعتبر أول جامعة عربية [illegible] مواد العلم باللغة العربية [illegible] في مستهل تفصيل هذه القضية [illegible] للدكتور عادل العوا الفلسفة أو الإطار الفكري الذي يقوم عليه هذا الموقف في جامعة دمشق ؟

ـ ليسهل تحديد هذا الإطار نوضح في البداية ماذا نقصد بمصطلح « التعريب » ، ونفرق بينه وبين مصطلح « الترجمة » ، فحين نقوم بترجمة كتاب أو نص من أي لغة إلى اللغة العربية مثلا فهذه ترجمة . والترجمة هنا هي عملية نقل المعرفة ، وهنا ينبثق سؤال : ماذا أريد من هذه الترجمة ؟ فإذا كنت أريد

من نقل هذه المعرفة أن أتيح الفرصة للثقافة العربية لكي تتحاور مع ثقافة جديدة ، وأن تتلاقح معها ، لتنمو ثقافتها وتزدهر ، وتصبح أكثر قدرة على الاسهام في الثقافة العالمية ، وفي النهضة العلمية العالمية ، فهذا هو التعريب ، إذن فالتعريب مصطلح يجب أن يطلق على ما نقصده من عملية الترجمة ، وهو أن نجعل الثقافة العربية المعاصرة على المستوى المعروف عالميا ، وأن نمضي بها قدما ، بحيث تساهم في تقدم المعرفة الانسانية بشكل عام .

إننا نظرنا في هذا الاطار إلى حركة النهضة العلمية العربية القديمة التي تمت في العصر العباسي في عهد المأمون من خلال إنشاء بيت الحكمة قلنا إن الروح العربية في نهضتها هي التي أرادت أن تعانق [illegible] ما هو موجود في الثقافات العالمية آنذاك ، وهذه الروح هي التي قادت إلى حركة الترجمة . وقد كانت الترجمة مجرد وسيلة لتغذية هذه الروح المتفتحة ، المتطلعة إلى ما حفلت به الحضارات القديمة ، سواء في أقصى الشرق في فارس والهند أم في أقصى الغرب في « اليونان » ، أو ما كان يسمى آنذاك بالمعجزة اليونانية .

بداية التعريب في جامعة دمشق

* كيف يمكن أن نحدد بداية هذه الحركة ، أعني حركة التعريب بالمفهوم الذي أشرتم إليه في الجامعة السورية في العصر الحديث ؟

ـ في الواقع أن روح التعريب موجودة في سوريا ، وأكاد أقول أنها موجودة قبل القرن الحالي ، ففي زمن السيطرة العثمانية كانت الروح العربية الكامنة تعبر عن نفسها باتجاه الناس إلى الترجمة من اللغة التركية ، ومن اللغة الألمانية ، وسواهما ، وفي مختلف فروع المعرفة ، والتجربة السورية المعاصرة لا يمكن فهمها إلا بإضافتها إلى التجربة العربية الكبيرة في عهد المأمون ونسبتها إليها ، حين استطاع أن يبلور النهضة بتمازج الثقافات القديمة من خلال الجهود التي قام بها بيت الحكمة الذي نظم جهود الترجمة التي كانت قبله ، وجعل منها مؤسسة تنسق جهود العلماء لغاية واضحة وتوجهها .

فالتجربة السورية في إطار التعريب إذن قديمة ومستمرة ، وعميقة الصلة بنزوع الروح العربية للنهضة والتحقق ، فإذا جئنا إلى جامعة دمشق وجدناها قد أحدثت ـ منذ نشأتها ـ تستجيب للحاجات الاجتماعية والثقافية في سوريا ، فأصبح التعليم فيها منذ وجود الانتداب الفرنسي باللغة العربية . أنشئت أولا أثناء الحرب العالمية الأولى كلية اسمها مدرسة الآداب ، أغلقها الاستعمار الفرنسي بعد ثلاث أو أربع سنوات من إنشائها ، لنمو الروح الوطنية بين طلابها ، ثم أنشئت كليتا الحقوق والطب ، وكان التدريس فيها باللغة العربية ، وكان الأساتذة الرواد رائعين في نقل المصطلحات في مجال الحقوق والآداب والطب ، وقد ترجمت آنذاك بعض المعاجم المتخصصة في الطب ، وطبعت في جامعة دمشق ، وفي تلك الفترة أيضا أنشيء المجمع اللغوي في دمشق ، للعناية باللغة العربية ، ولوضع المصطلحات العلمية ، ثم حدث تنظيم الجامعة سنة ١٩٤٦ بعد الاستقلال ، ومنذ ذلك الوقت بدأت قضية التعريب والترجمة تطرح بصورة فعالة ، ليس على مستوى كليات الآداب والحقوق والطب فقط ، بل على مستوى جميع الكليات النظرية والعملية .

صعوبات على الطريق

* بطبيعة الحال واجهتكم وأنتم تقومون بهذه المهمة في التعريب صعوبات وتحديات كثيرة ، ولعلها تواجه كل المهتمين بقضية التعريب في وطننا العربي ، سواء فيما يتعلق بمنهج وضع المصطلح ، أو بتوفيره بما يجاري التطور الحاصل في شتى فروع المعرفة ، أو في تأليف الكتب العلمية باللغة العربية ، أو في الترجمة ... الخ . نود أن توضحوا لنا طبيعة هذه



د . عادل العوا

الصعوبات ، وكيف تواجهونها ؟

ـ لقد كانت هناك صعوبات مختلفة وما تزال ، ولكن بعضها يرجع إلى العنصر الانساني بالدرجة الأولى ، إننا نسمع عما يسمى بالترجمة الآلية ولا نريد أن تكون ترجمتنا آلية ، ولو بأفضل الامكانيات ، لأن العلوم الانسانية تحتاج إلى العنصر الانساني ، لا سيما في مجال الأدب والفكر ، إذ يمكن أن نترجم معادلة رياضية أو كيميائية بطريقة آلية اصطلاحية ، أما اللغة في العلوم الانسانية والنصوص الأدبية فهي تحتاج إلى الانسان ، لفهم النص وتذوقه وقراءة ما بين السطور .

فإذا عدنا إلى الصعوبات التي تتعلق بالعنصر الانساني أمكننا أن نشير إلى أن من أهمها تنوع ثقافات أعضاء هيئة التدريس بالجامعة ، فبعضهم استكمل دراسته العليا في بلاد تدرس باللغة الانجليزية ، وبعضهم درس باللغة الفرنسية أو الروسية . . إلخ . ونود أن تصبح هذه الصعوبة وسيلة لاخصاب عملية التعريب وإثرائها ، لكننا اليوم نتغلب على هذه الصعوبة بالممارسة العملية . فالمصطلحات التي نتفق عليها أو نقرها نسعى إلى تعميم استخدامها ، ونشرها بين الجميع على اختلاف خلفياتهم الثقافية .

ومن الصعوبات أيضا الاختلافات التي تظهر أحيانا بين ما يراه « المجمعيون » وبين ما يعيشه الجامعيون ، سواء فيما يتعلق بمنهج وضع المصطلح ، أو أولوياته ، فالمجمعيون يسيرون في عملهم بإيقاع هادىء ، ووفق مناهج محددة ، قد يستغرق الوفاء بمطلباتها وقتا طويلا ، بينما يجد الجامعيون أنفسهم أمام ضرورات عاجلة ملحة ، حيث يتطلب الوفاء لمنهج دراسي محدد وضع مصطلحات جديدة ، لم يتطرق إليها المجمعيون بعد . أنا أحب أن أترجم ـ مثلا ـ كتبا تتصل بالفكر العلمي الجديد ، وقد ترجمت ـ سابقا ـ كتابا يتصل بفلسفة الهندسة المعمارية ، فكنت أجد نفسي أمام مصطلحات جديدة ، لم يتطرق إليها المجمعيون بعد ، فكنت ـ كقاعدة ـ أرجع إلى زملائي في كلية الهندسة أو في كلية العلوم أحيانا « بالهاتف » ـ مناهج وضع المصطلح من نحت واشتقاق . . . الخ معروفة ـ فنبحث وإياهم عن أفضل المقترحات لترجمة مصطلح أجنبي محدد ، وأختار من هذه المقترحات ما يؤدي المعنى بدقة ، ومع سهولة الاستعمال بهذه الطريقة نذلل بعض هذه الصعوبات . ولا أقول أننا قد تغلبنا عليها كلها .

تعاون غير تقليدي

● أرجو أن تأذن لي بشيء من التعليق على ما تفضلت بذكره من صعوبات ، ولعل ذلك يقودنا إلى أوجه جديدة لها ، فمجمع اللغة العربية مثلا في القاهرة يقوم بالاضافة إلى عمله بإعداد المعاجم اللغوية العامة مثل « الكبير » و « الوسيط » و « الوجيز » و « مجموعات المصطلحات العلمية » بتنظيم المصطلحات التي يتم إقرارها في مختلف فروع المعرفة في كتيبات خاصة ، يمكن أن تصبح عند اكتمالها معاجم متخصصة في مختلف العلوم الانسانية

والعلوم البحتة . كالفلسفة والتربية وعلم النفس والفيزياء والكيمياء . . . الخ . فهل تصلكم مثل هذه الكتيبات أو المعاجم من مجمع اللغة في القاهرة ؟ فقد يكون في بعضها بعض ما تبحثون عنه . وإلى أي مدى يستفيد عملكم من أعمال المجامع الاخرى . ولا يكرره ؟ وهذا الأمر يقودنا إلى صعوبة جديدة ، لعلها « التنسيق بين عمل الجهات المختلفة في قضايا التعريب ووضع المصطلح العربي » . فقد قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بوضع معجم متخصص ، هو « المعجم العسكري » في وقت قياسي ، بفضل الدعم الذي حظي به هذا المشروع . ونحن هذه الحالة تشير أيضا بالاضافة إلى مشكلة التنسيق مشكلة الدعم المالي الذي يجب أن تحظى به مثل هذه الجهود ، لتعطي ثمارها في الوقت المناسب ، كما أن مسألة الاختلاف بين ما يراه المجمعيون وما يعيشه الجامعيون قد تجد نوعا من الحل ، وبخاصة أن معظم الأحيان الخبيئة من أعضاء المجامع اللغوية هم من أساتذة الجامعات ، وكذلك كل الخبراء العاملين في المجامع اللغوية

- لقد طرحت أكثر من ملاحظة في إطار واحد ، والكلام عنها يثير السرور لدى كل من يهمهم أمر قضية التعريب ، فكلها بتفاصيلها مهمة للغاية وأقدم أمثلة ليسهل الأمر على كل من يهمهم أمر هذا البحث ، ومتابعته بين المجامع اللغوية العربية والمنظمات المعنية بشئون التعريب . فالواقع أن هناك تعاونا فعليا ، بطرق قد لا تكون كلها ، روتينية ، أو مقصودة . فمجمع اللغة العربية في دمشق حريص كل الحرص على التنسيق مع جهود مجمع اللغة العربية في القاهرة ومع غيره من المجامع اللغوية في بقية الأقطار العربية وعلى الاستفادة من مجهوداتها . فلقد كان المرحوم رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق الاستاذ حسني سبح دائم الانعقاد بزملائه في بقية المجامع العربية ، وبخاصة بزميلنا الدكتور ابراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة ، حتى خارج إطار المؤتمرات السنوية .

كنت في زيارة للجزائر ، وعندما علمت وأنا في الطائرة أن هناك محاضرة للدكتور ابراهيم مدكور قد أزف موعدها نزلت من الطائرة إلى مكان المحاضرة مباشرة ، فبالرغم من كل الظروف يحصل الالتقاء حول العمل الثقافي ولا يفتر ، أضرب مثلا اخر : في القاهرة ترجم إخواننا بإشراف الدكتور عبدالرحمن بدوي « مفردات لمعجم متخصص فلسفي » ، وضعه فرنسي درس بعض الوقت في القاهرة ، اسمه « اندريه لالاند » ، واسم المعجم « المعجم الفلسفي والتقني للمفردات الفلسفية والتقنية » أقول لقد ترجموا المفردات فقط ولم يترجموا المعجم ، وطرحوه في كتيب ، ونحن هنا نستعمله ، ونوصي طلابنا وزملاءنا بقراءته ، ليعرفوا كيف يتم اقتراح ترجمة بعض المصطلحات الفلسفية والتقنية ، هذا بالاضافة إلى كتب أخرى متخصصة في مختلف العلوم الانسانية وغيرها ، تأتينا من مختلف الأقطار العربية وهذه كلها وسائل عملية ممتازة لتحقيق التواصل والتعاون ، وتفيد كمقترحات أولية ونحن نتابع من هنا أعمال مكتب التعريب في الرباط وتصلنا مطبوعاته ، ومجلته « اللسان العربي » . وهذه مجرد أمثلة ، تؤكد أن التعاون والتواصل قائمان بين المعنيين بقضايا التعريب . أما مسألة الاختلاف بين المجمعيين والجامعيين فهي ليست مسألة اختلاف أشخاص ، وأنا معك أن معظم المجمعيين الآن من أساتذة الجامعة ، لكن الاختلاف هو في إيقاع العمل ، وفي أولوياته . فالأستاذ في الجامعة مضطر للبحث عن حل عاجل لمصطلحات مطروحة عليه في زمن محدد ، أما المجمعيون فيعملون عملا وفق إطار خاص أو عام ، قد لا يستجيب للحاجات العاجلة ، لأنه يعد لخدمة الأجيال القادمة ، ويتم في أناة ، لاستيفاء كل قواعد البحث في المعاجم القديمة والحديثة ، ليتم وضع مصطلح قابل للاستمرار والتعميم

إجتياز الفجوة المتزايدة .. كيف ؟

● اسمح لي أن أعود قليلا إلى ما تفضلت بالاشارة إليه في بداية هذا الحوار ، من أن فلسفة التعريب تعني في النهاية توفير فرصة التلاقح والحوار بين ثقافتنا العربية والحركة العلمية العربية وبين الثقافات المعاصرة ... الخ

من هذا المنطلق نفسه تنبعث بعض المخاوف والمحاذير ، فمن الواضح أن الحركات الفكرية والثقافية والعلمية في أقطارنا العربية ما تزال متخلفة إذا ما قورنت بنظيراتها في العالم المتقدم ، وأن هناك فجوة بيننا وبينهم ، خاصة في العلوم البحتة والتطبيقية ، وتدريس العلوم في الجامعة باللغة العربية قد يؤدي إلى زيادة هذه الفجوة القائمة ، حيث لا يتمكن الطالب الذي درس العلوم باللغة العربية من متابعة حركة البحث العلمي في الخارج .

في الوقت الذي ما تزال فيه حركة البحث العلمي عندنا في بداياتها ، تقول وجهة النظر التي تثير هذه المخاوف : إن القياس على ما حدث في عصر المأمون حين أنشىء بيت الحكمة قياس غير دقيق ، فالمترجمون في بيت الحكمة كانوا يترجمون عن ثقافات وحضارات في حالة سكون ، ثقافات ثاوية في الكتب ، يمكن ـ بعد وقت طويل أو قصير ـ أن تتم ترجمتها كاملة ، أما نحن في وضعنا الراهن فنلاحق تيارات ثقافية وفكرية تمور بحركة علمية متصلة في تطورها وتقدمها وهذا فمحاذير بقاء الهوة ـ وربما اتساعها ـ يظل قائما

ـ هذه ملاحظة ثمينة ، وابتداءً يجب أن نفرق بين ما نريد أن نأخذه من الغرب من أجل تقدمنا المادي ، وما نريد أن نأخذه من أجل تقدمنا الفكري والثقافي ، فمن الناحية المادية يتعلق بنا أن نعلم أبناءنا التقنية الحديثة بكل مستوياتها ، أما الأهداف التي نستخدم من أجلها هذه التقنية فهي أهداف عملية وعربية وإنسانية . هنا نقول . توجد هوة ، والهوة قائمة فعلا ، وإذا كان الأساس في اجتيازها هو قيام حركة بحث علمي ، وحركة تصنيع وتنمية ، تخدم أهدافنا العربية والانسانية ، فمن المهم أن تكون هذه الحركة العلمية باللغة العربية ، وأن نؤسس هذه الحركة بترجمة الكتب العلمية إلى اللغة العربية ، وبوضع المصطلحات العلمية والتقنية في اللغة العربية ، مهما تكن الجهد والوقت . أما بالنسبة للعلوم الانسانية فلا توجد مشكلة هوة بالصورة الموجودة في العلوم البحتة والتطبيقية . وأمامنا تجارب الأمم في هذا المضمار ، ففي اليابان قد أخذوا التقنية من الغرب ، ودرسوها بلغتهم القومية ، وتفوقوا في ذلك على الغرب ، وعلى أمريكا ، من ناحية العلوم الانسانية ، وكل ما يتصل بالشخصية القومية اليابانية لم يأخذوا كثيرا عن الغرب ، بل تطوروا في مجالات العلوم الانسانية ، وأصبح لهم فيها إسهام واضح في الثقافة الانسانية

وعندنا نحن في مجالات العلوم الانسانية تراث كبير ، وقيم كثيرة ، يحتاجها العالم ، والمهم أن نعرف كيف نعرضها بلغة العلم الحديث ، ونطورها ، ففي مجال التصوف عندنا ـ لا أتكلم عنه كما آل إليه الحال في أمر الفرق ـ لو أخذناه في ضوء فكرة التحليل النفسي لوجدنا أن النفس الانسانية في الثقافة العربية قد تم تحليلها إلى درجات لا تقل إرهافا عما وصل إليه الآخرون ..

وعندما ننقل الآداب أو العلوم الانسانية من الغرب فإننا لا نسعى إلى تقليدها ، بل نتمثلها ، ونهضمها ، لتصبح جزءا من الغذاء لثقافتنا العربية النامية ، فتعطي ثمارا عربية الجنى ، وأقدر على الاسهام في الحضارة الانسانية . فأجدادنا عندما أخذوا المنطق اليوناني استخدموه في علم الكلام وفي الفقه ، وفي القياس ، وهكذا

أما مسألة ضرورة أن يكون لدينا حركة بحث علمي ناهضة لترتكز حركة التعريب على أساس قوي منها فلا خلاف حولها ، لكن مسألة ضرورة الدعم المادي لجهود التعريب ، والتنسيق بين هذه الجهود

فهي مسألة في غاية الأهمية ، بيد أن مثل هذه الأمور تبقى دائما نسبية ، ومحكومة بظروفها . ودائما ستبقى هناك مسافة بين ما توفره أي دولة لهذه الأمور وبين ما يتطلع إليه القائمون به .

المثل الشعبي يقول : « العين تحب أكثر مما ترى » ، وهذا في كل مكان حتى في فرنسا . ففي المركز القومي للبحوث بفرنسا ، درس أحد الباحثين واسمه « ادجار موران » قضية الباحثين ووضع فيها كتبا ، ودعا الدولة إلى الاهتمام بقضاياهم ، لكن للدولة أيضا أولوياتها والمثل اللاتيني يقول : « نعيش أولا ثم نتفلسف » . ولدينا هنا مثلا ضرورات التنمية وضرورات الأمن ، ومخاطر « إسرائيل » ... الخ .

الابداع في اللغة القومية

● حين كنت أناقش قضية التعريب في الجزائر مع الأستاذ مولود قاسم أيد بقوة وجهة النظر التي تقول : « إن تدريس العلوم باللغة القومية أمر أساسي لايجاد حركة بحث علمي عربية وتأصيلها ، ولنمو جيل من المبدعين في الآداب والعلوم ، لأن الابداع الحقيقي لا يكون إلا في اللغة القومية للمبدع . ونود أن نعرف رأيك في هذه القضية التي تتصل في صميمها بفلسفة التعريب .

- إذا أردنا أن نجيب بصورة دقيقة عن قضية الابداع المهمة هذه فلابد أن نميز بين الابداع في المجالات المادية والتجريبية ، والابداع في المجالات الأدبية والفنية والعلوم الانسانية ، فمثلا في مجال « الالكترونيات » أو العلوم التجريبية ليس شرطا أن يكون الابداع في اللغة القومية . لأن هناك لغات خاصة بالبحث في هذه المجالات . هناك لغة « البازيك » و « الفورتران » وهذه لغات عالمية .

أما بالنسبة للعلوم الانسانية فيوجد لدينا أمران : الفكر ، والتعبير عن الفكر ، والفكر لا يتوقف عند لغة معينة ، بل إن الفكر يبدع حين تتوفر الموهبة ، وحين يطلع المبدع على ما قاله الآخرون ، وعندئذ يتاح له أن يمضي قدما في الابداع الفكري ، أما بالنسبة للتعبير اللغوي فإذا كان المقصود به هو الابداع اللغوي الجمالي فيجب أن يكون باللغة القومية التي تمكنه من أن يبدع بها جماليا ، لأنه أدرى الناس بارتكازاتها ، وانعكاساتها العاطفية والجمالية . أما من حيث المضمون الفكري لهذا التعبير اللغوي فنستطيع أن نأخذ في عرضنا الرمزية في الأدب التي قال بها « رامبو » وسواه . فهي قد جاءت إلينا من الغرب ، فكان لها دورها العجيب في الثقافة والشعر الحديث ، فالشعر الحديث كله يريد أن يكون رمزيا . لكن إلى أي درجة يوفق أو لا يوفق ؟ طبعا إذا كان التعبير الجمالي مستوفيا للشروط الفنية والموسيقية ، ولا يوفق إذا لم يستوف هذه الشروط ، ويبقى مجرد رموز غامضة . □

الجزء الثاني من الحوار
مع الدكتور عدنان تكريتي
في العدد القادم

● العقل ينظم الشعر ، والقلب وحده هو الشاعر . (اندريه شينيه)

● الرجل القوي يعمل ، والضعيف يتمنى . (برنارد شو)

● الأقارب والدواء تحتاج إليهما في اليوم العسير . (مثل حبشي)

منتدى العربي

تعقيب

بين طه حسين وأحمد أمين

كتب الأستاذ حافظ أحمد أمين في العدد رقم ٣٣٥ الصادر في شهر أكتوبر الماضي كلمة بمناسبة الذكرى المئوية لمولد والده . العالم الأديب الدكتور أحمد أمين رحمه الله . وقد استهلها بالحديث عن أوجه الشبه في العلاقة التي جمعت بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده من جهة . وبين طه حسين وأحمد أمين من جهة أخرى . وأن طه حسين يعد امتدادا للأفغاني . وأن أحمد أمين يعد امتدادا للامام محمد عبده

وأومأ بعد ذلك إلى فساد الصداقة التي كانت بين عميد الأدب العربي وأحمد أمين أي مالك الحزين . كما كانت تطلق عليه بعض الصحف . وذكر أنها ترجع إلى أن طه حسين كان يريد أن يظل نفوذه طاغيا على صديقه . بيد أن هذا الصديق لما تولى عمادة كلية الآداب خرج من دائرة نفوذ طه حسين . تعبير الأستاذ حافظ . فقام بين الصديقين صراع . أصيبت منه الصداقة بما فصم عراها

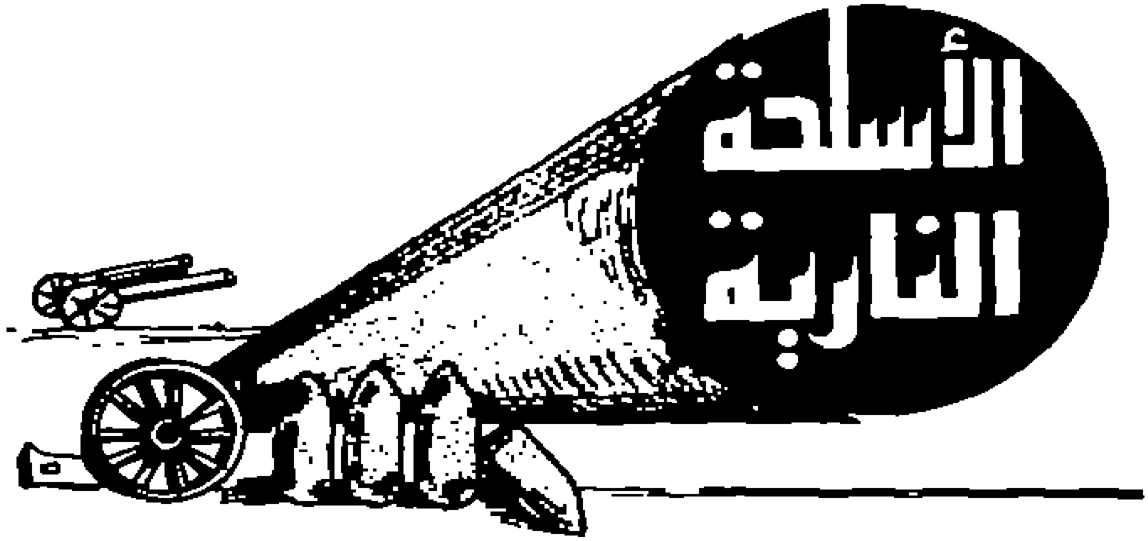
ولا مجال في هذه الكلمة لمناقشة ما ذهب إليه الأستاذ حول أوجه الشبه بين الأفغاني وطه حسين . أو بين محمد عبده وأحمد أمين ، إن ما يعنيني مناقشته أسباب الخصومة أو الخلاف بين والده وعميد الأدب العربي . فهو لم يحدثنا عن مدى هذه الخصومة . ومظاهرها . بل اكتفى بالاشارة إلى التباين بين الأديبين الكبيرين في المزاج . وهو تباين لا يمكن معه أن تدوم صداقة أو تستمر مودة . وأن أحمد أمين تمرد على نفوذ صديقه في أواخر الثلاثينيات . بعد أن أصبح عميدا .

فإذا كان التفاوت بينهما في المزاج هو مصدر فساد الصداقة فكيف قامت مع وجوده من قبل ؟ . ثم إن الربع بين تولي منصب العمادة وما جد بين الصديقين من خلاف قد يوحي بأن أحمد أمين كان رجلا ضعيف الشخصية . تابعا لغيره . وأنه ثار بعد أن أصبح في مركز قوي . ولا أعتقد أن الرجل كان كذلك . وما عرفته معرفة لقاء عن طه حسين . وما حدثني به ينفي أنه كان يحب السيطرة على سواه . بل إنه ـ كما كانت زوجته تقول لي : رجل فيه طيبة وسذاجة . يثق بكل من تربطه به علاقة . ويصدق كل ما يقال له . وهو يسعى خير كل من يلجأ إليه . وكم شاهدت في بيته أساتذة ورجال صحافة لهم مشكلات مختلفة ومصالح متنوعة . فكان ـ على الرغم من ضعف صحته وقلة حركته ـ يحقق لهم ما يريدون عن طريق الهاتف أحيانا . وأحيانا أخرى عن طريق الرسائل الشخصية

والعميد كان يقدر صديقه أحمد أمين كل التقدير . وكما حدثني عن علاقته به قوله : « لقد عرفت أحمد أمين وهو يعمل في القضاء . وعرضت عليه العمل بالجامعة . وبعد انتقاله إليها توطدت الصداقة بيننا ، كما توطد التعاون العلمي . فألفنا لجنة لاعادة كتابة التاريخ الاسلامي سياسيا وعقليا وأدبيا . على نحو جديد في الجانب السياسي فعهد إلى أحمد أمين بالكتابة عن الحياة العقلية . وعهد إلي بالكتابة عن الحياة الأدبية . وقد نجح أحمد أمين فيما عهد إليه . فكتب موسوعته المعروفة عن فجر الاسلام . وضحاه . وظهره . ويومه . وأذكر أني كتبت مقدمة لفجر الاسلام .

رحم الله الرجلين . وجزاهما عن ما قدما خير الجزاء . □

الدكتور محمد دسوقي



أكبر تحد واجه القوى العسكرية التقليدية في أواخر العصور الوسطى

بقلم : الدكتور إحسان صدقي العمد

تعتبر الأسلحة النارية أكبر تحد واجه القوى العسكرية التقليدية في العصور الوسطى ، بل لعل تطور السلاح الناري من المدفعية إلى البندقية في أواخر تلك العصور كان أوضح شاهد على انتقال الفن العسكري إلى العصور الحديثة ، وما رافق ذلك من تسارع مذهل في تطوير أسلحة الفتك والدمار .

ترتبط الأسلحة النارية عموما باكتشاف البارود ، ومن ثم استخدام خصائصه في الأسلحة القاذفة والنارية ويرجع ذلك إلى العمليات الكيميائية التي كان بعض العلماء يجرونها على عدد من المعادن والمواد ، بهدف تحويلها إلى معادن نفيسة ، إضافة إلى انتشار الحروب السياسية والدينية في العصور الوسطى ، والحاجة إلى سلاح قوي مدمر ، لهدم الأسوار والحصون والقلاع التي كان يستعصي الاستيلاء عليها في ذلك الوقت بالوسائل والأسلحة التقليدية

النار الاغريقية :

وربما كانت النار الاغريقية تأتي في مقدمة الأسلحة النارية التي اقتبسها العرب المسلمون عن الروم البيزنطيين وطوروها ، ومن ثم مهدت لظهور البارود . وقد لعب هذا السلاح الاغريقي دورا هاما في الحروب مع الفرنجة في العصور الوسطى . وهو يتكون من مزيج من مواد حارقة . أساسها النفط والكبريت وبعض الصموغ والدهون وكانت تنطلق من اسطوانات نحاسية . يقذف منها السائل مشتعلا . أو يطلق على هيئة كرات مشتعلة . أسماها العرب بالزراقات التي كانت تنبعث منها نار بإرعاد ودخان . فتحرق السفن .

وقد استخدمت هذه النار في حروب المسلمين مع الروم البيزنطيين . وبخاصة في حصار الرشيد العباسي لقلعة هرقلة في اسيا الصغرى . حيث وصف الشاعر تأثير هذا السلاح في قوله

هوت هرقلة لما أن رأت عجبا
جو السماء ترتمي بالنفط والنار

لكن المسلمين لدخلوا تحسينات على النار الاغريقية ، واستخدموا نوعا مطورا منها في عهد صلاح الدين الأيوبي . وأحرقوا به أبراج العدو أثناء حصاره لمدينة عكا . في أواخر القرن السادس الهجري . الثاني عشر الميلادي

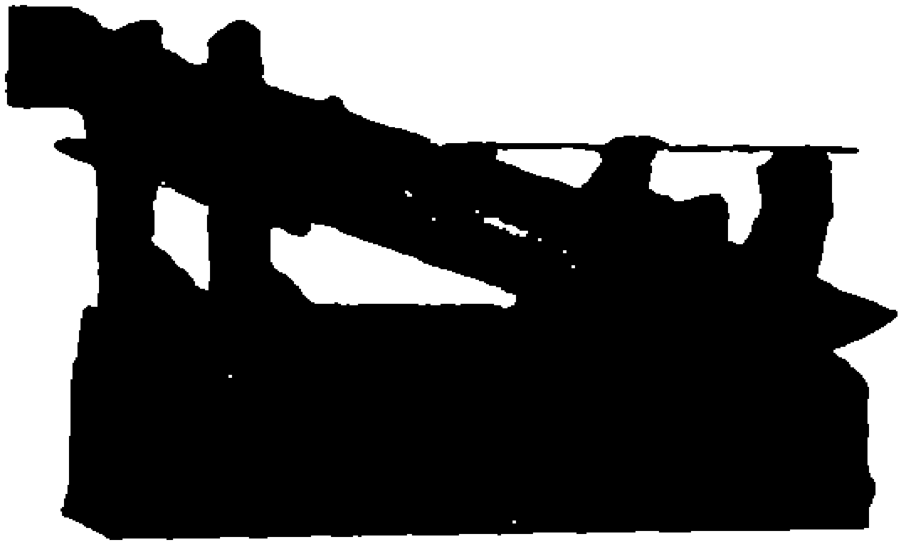
اكتشاف البارود :

وقد شهدت الالات القاذفة تطورا ملحوظا باكتشاف البارود الذي عرف في اسيا قبل الحروب الصليبية . وربما كان الصينيون هم مكتشفوه . لكنهم لم يستخدموه كسلاح حربي . بدليل أن المغول الذين فتحوا الصين لم يقتبسوه عنهم . كما أنهم لم يستعملوه في حروبهم . بل اقتصر استعماله في الصين مثلا على إطلاق صواريخ الألعاب النارية

ويبدو أن من الصعوبة بمكان التوصل إلى رأي يقيني بالنسبة لتطور ظهور هذا الاختراع كسلاح فعال في الحروب . لكن يستدل من كتاب « الفروسية والمناصب الحربية » ومؤلفه حسن الرماح المتوفي في أواخر القرن السابع الهجري ـ أن البارود كان معروفا في مصر منذ زمن مبكر . وقد أورد مؤلف الكتاب الحديث عنه في عدة صفحات . ذاكرا تركيبه من الملح والكبريت المسحوق . ورماد الفحم والبرادة والنشادر والزرنيخ الأحمر والنيلة الزرقاء والفتائل . وذكر النسب بين هذه المواد . كما تحدث عن الصواريخ والنفط الطيار الذي يصعد منه لهب النار . وأطلق اسم الدواء على المادة المتفجرة التي يلقم بها المدفع

المسلمون يستخدمون الأسلحة النارية :

ويؤكد جوانفيل الذي رافق ملك فرنسا لويس التاسع في حملته على مصر في منتصف القرن السابع الهجري أن القوات الأيوبية استخدمت المدافع والصواريخ في تصديها للغزاة ويقول في مذكراته « إن المسلمين قد استخدموا في أثناء القتال آلة لم يستعملوها من قبل . يقذفوننا منها بشيء ملأ قلوبنا بالدهشة والرعب . نار مستعمرة . كأنها اسطوانة كبيرة ، وذيلها من خلفها مثل الحراب الطويلة . ودويها يشبه الرعد . وكأنها جارح يشق الهواء . لها نور ساطع حيد . من جراء انتشار اللهب العظيم الذي يحدث هذا الضوء . حتى أنك ترى كل ما في المعسكر . كما لو كان في وضح النهار » وقد أكد بعض المتخصصين في تطور الأسلحة أن هذه الأوصاف انما تنطبق على المدافع التي أطلق عليها في ذلك العصر عدة أسماء مثل مكاحل البارود . ومدافع النفط . وصواعق النفط . وهندام النفط . وصواريخ النفط . او النفوط . وقوارير النفط التي تقتلع القلاع ويذهب بعض الباحثين ايضا الى ان المماليك قد استخدموا هذا السلاح في موقعة معينة . هي (عين جالوت) ضد المغول عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م . وانه كان العامل الحاسم في انتصارهم في



● مدفع عربي على قاعدة خشبية كما ورد في كتاب « العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع » لابن غانم الأندلسي .

تلك الموقعة. وتوالى ذكر هذا النوع من الاسلحة النارية في المؤلفات التي ظهرت في عصر المماليك . مثل « التعريف بالمصطلح الشريف » لابن فضل الله العمري ، و « الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية » لمحمد بن منكلي ، و « السلوك لمعرفة دول الملوك » للمقريزي ، و « بدائع الزهور » لابن اياس ، و « صبح الأعشى » للقلقشندي . ومع ذلك فإن المدافع التي كان يمتلكها المماليك ظلت تستخدم فقط في الأغراض الدفاعية ، في حين بقي فرسان المماليك بوجه عام يحتقرون هذه الأسلحة ، ويلتزمون بنظام الفروسية التقليدي في القتال ، مما سهل على العثمانيين الانتصار عليهم فيما بعد .

انتقال الأسلحة النارية الى المغرب والأندلس :

وليس غريبا أن تنتقل تقنية صنع الأسلحة النارية بعد ذلك الى المسلمين في المغرب والأندلس ، حيث كانوا يواجهون أخطارا كبيرة على المستويين الداخلي والخارجي .

وتحدثنا بعض المصادر والمراجع ان المسلمين في المغرب استخدموا الأسلحة النارية في هجومهم على سرقوسة بصقلية في أوائل القرن السادس الهجري . وأن الموحدين قد استخدموها في مهاجمتهم لمدن وهران والمهدية ومراكش ، وأنهم استولوا على قلاع اندلسية كثيرة بفضل الآت حصارهم العنيفة التي كانت تقذف كتلا هائلة من الحجارة وكرات ملتهبة من الحديد .

ويؤكد الدكتور احمد مختار العبادي أن مسلمي المغرب والأندلس توصلوا في اواخر القرن السابع الهجري ـ الثالث عشر الميلادي ـ الى اكتشاف خاصية اخرى للنفط كمادة هادمة متفجرة ، وذلك اذا خلط بملح البارود او النشادر وحصى الحديد ، تحت درجة حرارة عالية ، مما أدى الى تطوير جديد في المدافع والأسلحة النارية .

وقد أورد ابن خلدون في مقدمته شيئا عن هذا التطور خلال وصفه لمهاجمة سلطان المغرب يعقوب المريني مدينة سجلماسة التي كانت في أيدي بني عبدالواد عام ٦٧٢هـ ، حيث « نصب عليها هنداء النفط القاذف بحصى الحديد ، ينبعث من حزانة امام النار الموقدة في البارود ، بطبيعة غريبة ، ترد الافعال الى قدرة باريها » .

وما لبث هذا السلاح الناري القاذف المدمر ان استخدمه مسلموا الأندلس في صراعهم ضد الاسبان ، كما فعل سلطان غرناطة اسماعيل بن فرج ، ابو الوليد عام ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م ، مما أثر على معنويات قوات الاسبان المعادية التي انتشرت في

صفوفها كما تقول الحوليات الاسبانية : « شائعات بأن ملك غرناطة يمتلك سلاحا جديدا مبيدا » .

ويتضح مما سبق أن الأسلحة النارية قد عرفت واستخدمت لدى المسلمين قبل الاوروبيين بحوالي نصف قرن على الأقل ، وأن الاسبان والمتطوعين الاوروبيين في صفوفهم هم الذين اقتبسوا هذه الأسلحة عن المسلمين ، فنقلوها إلى اوروبا ، وطوروها خلال حرب المائة سنة بين انجلترا وفرنسا والحروب الايطالية في الفترة التالية ، في وقت كانت فيه القارة الاوروبية على أبواب نهضة علمية شاملة ، فلم تلبث ان تلقفت السلاح الجديد ، وعكفت على تجربته وتطويره .

التفوق الاوروبي في تطوير الأسلحة النارية :

وقد أدى إقبال الاوروبيين على تطوير الأسلحة النارية الى تفوقهم في هذه الصناعة ، وبخاصة في استعمار كثير من الشعوب في اسيا وافريقيا ، وابادة شعوب اخرى ، كشعوب الهنود الحمر في القارتين الأمريكيتين ، بل ان هذا التفوق قد ظهر بشكل جلي أيضا عندما عجزت الدولة العثمانية او تراخت في مجاراة التقنية العسكرية للدول الأوروبية ، وهو امر أثبته ميادين القتال البرية والبحرية ، حيث بدأ العجز العسكري العثماني واضحا في اوروبا الشرقية منذ القرن السادس عشر الميلادي ، كما ادى الى تراجع قوات المماليك والعثمانيين البحرية عن التصدي للقوات البرتغالية والاوروبية في المحيط الهندي ، واستمر التراجع العسكري العثماني في القرون التالية ، حتى انتهى بسقوط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى .

وليس من شك في ان استمرار التفوق الاوروبي على المسلمين في صنع الأسلحة النارية المتطورة يأتي في مقدمة الأسباب التي تكمن وراء عدم انتصار العرب والمسلمين على اعدائهم في معظم المعارك البرية والبحرية التي خاضوها ، وهي المعارك التي وصفها القائد العثماني البحري سيدي علي ريس « بأنها معارك المدفعية والمسكيت » (أي البنادق) .

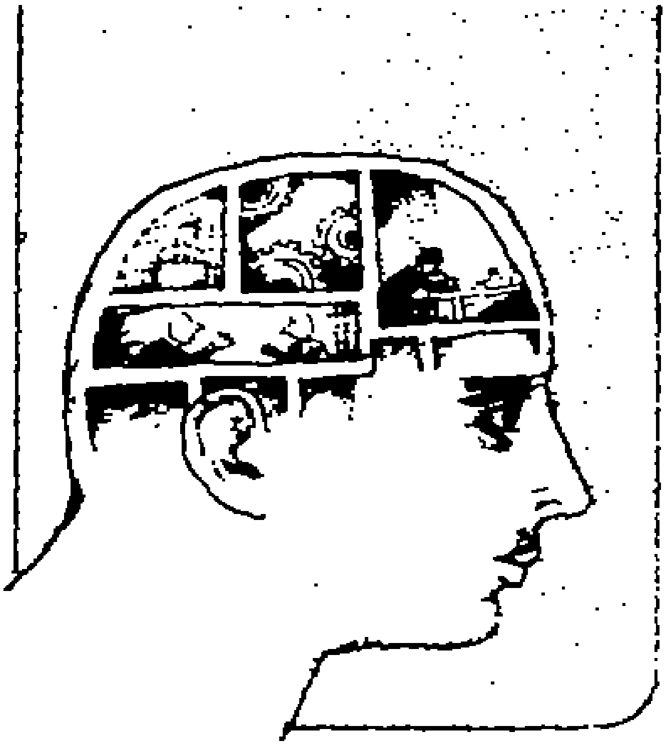
وقد فطن كثير من المؤرخين ودعاة الاصلاح السياسي والعسكري الاسلامي الى هذه الحقيقة منذ وقت مبكر ، ومن هؤلاء حسن كافي الاقحصاري الذي أكد في رسالته « أصول الحكم في نظام العالم » التي ألفها في اوائل القرن الحادي عشر الهجري ، اواخر السادس عشر الميلادي ، وقد أكد هذه الحقيقة بقوله : « إن أعداءنا كلما اخترعوا نوعا من الأسلحة واستعملوه علينا علينا ، ثم إذا اتخذنا مثله واستعملناه غلبنا عليهم بعون الله العلام لقوة الإسلام » .

والواقع ان الاقحصاري قد وضع يده على السبب الحقيقي المباشر لتراجع العثمانيين في اوروبا الشرقية ، ونعني به التفوق الاوروبي في الاسلحة الحديثة ، وهو امر يكاد ينطبق على جميع ميادين المواجهة العسكرية غير المتكافئة التي اضطر المسلمون وغيرهم من الشعوب الى خوضها مع اعدائهم منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا ، وقد تأكدت هذه الحقيقة في جميع الحروب المباشرة التي خاضها العرب والمسلمون ضد قوى الاستعمار والصهيونية ، وبخاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين .

وترتبط هذه الظاهرة ـ قبل كل شيء ـ بالفجوة العلمية والتقنية التي تتسع بين الدول المتقدمة ، والدول النامية ، ومنها الدول العربية والاسلامية .

والغلب الظن ان المعادلة سوف تبقى على هذه الحال ، ما لم تظهر في الأفق بوادر توازن في القوة العسكرية بين الجانبين ، مما يستغرق وقتا غير قصير ، لكن والى ان تتوازن المعادلة فليس امام الدول النامية المهضومة الحقوق سوى الحرب الشعبية المنظمة الشاملة التي تعمل فيها الأسلحة التقليدية الخفيفة على استنزاف قوى العدو المتفوق عسكريا ، وتجبره في النهاية على التسليم بالحقوق المشروعة للأمم والشعوب . □

العربي ـ العدد ٣٤٦ ـ سبتمبر ١٩٨٧



الذكاء

بقلم : الدكتور فخري اسماعيل حسن

تخطىء كثيرا بالربط بين حجم الدماغ والذكاء . وتخطيء أيضا عندما نردد المقولة الشائعة بأن الانسان الذكي قوي الذاكرة . والواقع أن هذا الثلاثي ليس مرتبطا ببعضه بعضا .

هذا المقال يلقي أضواء على العديد من المقولات الشائعة في هذا المجال .

يعتبر الدماغ ـ مصدر الذكاء والمكان الذي تحفظ فيه الذاكرة ـ اهم واعقد أجهزة الجسم . وهو عبارة عن نسيج شديد الرخاوة والليونة,وكيفية أنسجة الجسم يغلب على تركيبه الماء . تؤمن عظام الجمجمة القوية الحماية للدماغ من المؤثرات الخارجية . ويفصل ما بين الدماغ اللين الحساس وعظام الجمجمة الصلبة القوية طبقة من الانسجة . تسمى السحايا . ويغلف على السحايا الملاصقة للدماغ الرخاوة . وبالتالي لاتسبب له أي أذى . بالاضافة لذلك يحيط بالدماغ النخاع الشوكي الدماغي الذي يحفظه من تأثير الجاذبية الارضية التي تجذب جميع الأجسام الى أسفل . ويعمل هذا السائل أيضا على امتصاص تأثير الصدمات التي تصيب الرأس . فلا تؤثر على الدماغ الا اذا كانت على درجة كبيرة من العنف

الذكاء .

إن كتلة دماغ الحوت قد تصل الى حوالي ٩كغم . وبالتالي فإن دماغ الحوت أكبر أدمغة الكائنات الحية قاطبة . ونحن نعلم أن الحوت ليس أذكى الحيوانات . لذلك يمكن القول أن كبر الدماغ لايعني الذكاء . ولايجاد نوع من العلاقة بين كتلة الدماغ او حجمه والذكاء نلاحظ أن هنالك نوعين من الوظائف التي يقوم بها الدماغ

١ـ السيطرة على عمل جميع أجهزة الجسم والتنسيق فيما بينها

٢ـ التفكير والذاكرة والقدرة على التحليل . وغير

ذلك من الوظائف التي تحدد مستوى الذكاء،ويطلق عليها أحيانا الادراك ، أو العقل . فاذا كان حجم الكائن الحي ضخما ـ كما في حالة الحوت والفيل ـ فإن الدماغ قد يستنفد معظم طاقاته في ادارة هذا الجسم الضخم . ولا يتبقى للادراك والتفكير الا اليسير . وبذلك ينخفض مستوى الذكاء . لذلك يبدو واضحا أن استخدام النسبة بين كتلة الدماغ وكتلة الجسم للكائن الحي كمقياس أو دليل للذكاء أفضل كثيرا من كتلة الدماغ المطلقة . وسوف نطلق على تلك النسبة للاختصار اسم « نسبة الكتلتين » لقد حسب (هاري جيريسون) ، من جامعة (كاليفورنيا) نسبة الكتلتين لكثير من الكائنات الحية . فوجد أنها تزداد حسب الترتيب الآتي . أسماك ، زواحف ، طيور ، ثم ثدييات ، أي أن نسبة الكتلتين تكون أكبر ما يمكن للثدييات ، وهذا يتفق مع تطور وتعقد الأجهزة البيولوجية لهذه الكائنات . فاذا تساوت مثلا كتلة احدى الثدييات مع كتلة احدى الزواحف . فإن دماغ الأولى يكون أكبر من دماغ الثانية ، على الأقل بعشرة أضعاف ، وقد يصل الى مائة ضعف . وبالنسبة للثدييات فان رتبة الرئيسيات [١] تملك أكبر نسبة للكتلتين ، وتكون هذه النسبة أكبر ما بين (٢-٢٠)مرة من نسبة الكتلتين للثدييات من الرتب الأخرى . ولا شك أن نسبة الكتلتين للانسان هي أكبر النسب قاطبة ، وتساوي في المتوسط ٢٪ أي أن كل ٥٠ غم من الجسم يقابلها غرام واحد من الدماغ ، ويبين الجدول الآتي متوسط كتلة الدماغ ، ونسبة الكتلتين لبعض الكائنات الحية

بل الانسان في كبر نسبة الكتلتين ـ لاحظ الجدول ـ كل من الدلفين والشمبانزي ، والاعتقاد السائد أن كليهما ذكي نسبيا . فالمعروف أن الدلفينات تستخدم الأمواج الصوتية كلغة تخاطب وتفاهم فيما بينها . وتشبه لغة الدلفينيات الى حد ما طريقة عمل جهاز السونار المستخدم في الكشف عن الأجسام تحت الماء . وهذه الطريقة غير مفهومة بالضبط حتى الآن . ولكن يعتقد بعض العلماء أن الدلفين يبث موجات صوتية مشابهة للموجات التي تنعكس عن الجسم المراد وصفه . وعند استقبالها من قبل دلفين آخر فإن الموجات تنتج بالنسبة للدلفين ما يشبه رسما صوتيا للجسم المعني . ويمكن القول ـ إن صح التعبير ـ أن الدلفينات تتخاطب من خلال صور سمعية . أما بالنسبة للشمبانزي فإن هنالك محاولات كبيرة لتعليمه لغات معينة ، بعضها باستخدام الحاسوب(الكمبيوتر) . وبعض العلماء مفرطون في التفاؤل ، اذ يعتقدون أنه يمكن أن يوجد بعد عدة أجيال جيل جديد من الشمبانزي ، له القدرة على الكلام .

لابد من الاشارة الى أن هنالك بعض الاستثناءات للعلاقة بين نسبة الكتلتين والذكاء . فمثلا إن نسبة الكتلتين لبعض الحشرات الصغيرة قد تصل الى نسبة الكتلتين للانسان ، أو حتى تفوقها ، ويعتقد أن هنالك حدا أدنى لحجم أو كتلة الدماغ . وإذا ما نقص الدماغ عن ذلك فإنه يفقد معظم أو حتى جميع قدرته على الادراك والتفكير ، وبالتالي فان نسبة الكتلتين في مثل هذه الحالة لاتعبر عن الذكاء

	الانسان	الدلفين	الشمبانزي	الغوريلا	الفيل	الحوت
متوسط كتلة الدماغ	١٣٧٥ غم	١٤٠٠	٣٨٠غرام	٥٤٠غرام	٧ كغم	٩ كغم
نسبة الكتلتين بالتقريب	١ : ٥٠	١ : ١٠٠	١ : ١٥٠	١ : ٥٠٠	١ : ١٠٠٠	١ : ١١٠٠٠

(١) رتبة الرئيسيات هي أكثر رتب الثدييات تطورا ، وتشمل الانسان والقرد

ليس كل كبير الدماغ ذكيا

لنركز الآن على الانسان . فقد يتساءل بعضهم هل يمكن أن نحدد ذكاء الشخص بقياس نسبة الكتلتين له ؟ نلاحظ قبل الاجابة عن هذا السؤال ما يلي :

أولا : تقل كتلة دماغ المرأة عن كتلة دماغ الرجل بحوالي ١٥٠ غم . وبما أن كتلة جسم المرأة في المتوسط أقل من كتلة جسم الرجل ، فإن ذلك يعني أن نسبة الكتلتين للانسان لاتعتمد على الجنس . وكذلك الحال مع الذكاء ، فهو لا يعتمد على الجنس .

ثانيا : يولد الطفل بدماغ كبير نسبيا . وفي المتوسط فان كتلة دماغ الطفل عند الولادة تساوي ٣٥٠ غم ، وهذا يجعل نسبة الكتلتين للوليد حوالي ١٢٪ أي ست أضعاف نسبة الكتلتين عند البلوغ . وينمو دماغ الطفل بسرعة كبيرة جدا ، وخصوصا في الثلاث سنوات الأولى ، حيث تعتبر سنوات المحاكاة والتعلم السريع التي قد تحدد مستوى الذكاء في المستقبل .

ويؤدي تعلم الطفل ممن حوله الى زيادة كبيرة في سمك القشرة الدماغية المخية وكتلتها وبالتالي يؤدي الى زيادة عدد الخلايا العصبية وتنشيط الموجود منها ، مما يساعد على سرعة التعلم في المستقبل ، وزيادة مستوى الذكاء ، وعندما يتم الطفل عامه الأول تنخفض نسبة الكتلتين الى نصف قيمتها عند الولادة (حوالي ٦٪) ، وعند سن دخول المدرسة (٥ - ٦ سنوات) يكون دماغ الطفل قد أصبح ٩٠٪ من دماغه عند البلوغ ، بينما تكون كتلة جسمه حوالي ٢٠٪ من كتلته عند البلوغ . ونلاحظ من ذلك مدى أهمية سنوات الطفولة الأولى ، ليس فقط بالنسبة للنمو الجسماني ، ولكن بالنسبة لتأثيرها على الذكاء في المستقبل .

ثالثا : لايوجد - حسب معلومات الكاتب - إحصائيات شاملة دقيقة لكتل أدمغة بعض المشاهير ، وذلك لمقارنة نسبة الكتلتين مع الذكاء الفعلي لهم . لكن هنالك بعض الحالات المعروفة . فلقد كان دماغ (لورد بايرون) - من أشهر الأدباء الانجليز في القرن الماضي - مفرطا في الكبر (حوالي ٢٢٠٠ غم) ، وكانت بالتالي نسبة الكتلتين له كبيرة جدا . لكن لم يكن الحال كذلك مع (ألبرت اينشتين) الذي يعتبر بحق من أعظم العلماء . فلم تكن نسبة الكتلتين له كبيرة بشكل ملفت للنظر ، يتناسب مع ما قدمه للعلم في أوائل هذا القرن . وهنالك كذلك بعض الأشخاص الذين عرفوا بدماغ صغير . ومع ذلك كانوا أذكى من كثيرين ممن كانت كتلة أدمغتهم كبيرة ، ومن أشهرهم (أناتول فرانس) ، وهو أيضا كاتب عبقري ، ومع ذلك فكتلة دماغه تساوي ١١٠٠ غم ، أي أن كتلة دماغه تساوي نصف كتلة دماغ بايرون .

رابعا : لو كانت جميع أجزاء الدماغ متكافئة أو متساوية في الأهمية أو التأثير - كما تفترض بعض النظريات - لكان حجم أو كتلة الدماغ تأثير كبير وفعال على مستوى الذكاء ، لكن الثابت أن أجزاء الدماغ غير متكافئة ، بمعنى أن أجزاء الدماغ غير متساوية في الأهمية ، فمثلا كتلة دماغ الانسان القديم المعروف باسم (نيندرتال) الذي وجد بالقرب من دوسلدورف بألمانيا ، تساوي ١٥٠٠ غم ، أي أكبر من متوسط كتلة الدماغ للانسان في الوقت الحاضر ، ولا يمكن أن يكون هذا الانسان البدائي الذي عاش قبل عشرات الآلاف من السنين أذكى من الانسان الحالي ، إن الفرق المهم بين تركيب دماغ الانسان القديم ودماغنا هو أن الفص الأمامي من القشرة المخية في الانسان الحديث قد نما واتسع ، على حساب الفص الخلفي ويجب أن لاننسى اختلاف البيئة الاجتماعية في الحالتين ، وتأثيرها على الذكاء - لاحظ

دقيق . وقد أخذ ذلك في الاعتبار . يمكن اعتبار أن حجم الدماغ أو كبر نسبة الكتلتين بشكل مفرط ، دليل على ازدياد الذكاء ولكن ذلك ليس هو العامل الوحيد أو الفعال المؤثر في الذكاء وإنما هنالك عوامل أخرى . وفعلا فقد تبين حديثا أن الدماغ يحتوي على توترات كهربائية عالية في الصغر (مجهرية) لاتزيد أبعادها عن ميكرون واحد (الميكرون الواحد = واحد من مليون من المتر) . وتتكون هذه التوترات في الدماغ في أواخر مرحلة الجنين

الذاكرة :

إن عملية حفظ المعلومات في الدماغ ، ثم استرجاعها عند الحاجة ، عملية معقدة وتتم أساسا في القشرة الدماغية (المخية) . وهنالك مناطق في الدماغ لخزن المعلومات للمدى القصير . ومناطق أخرى مخصصة لخزن المعلومات للمدى الطويل[3] . يحتوي الدماغ باستثناء المخيخ الذي ليس له علاقة بالذاكرة ، على حوالي مائة بليون (10^{11}) خلية عصبية (عصبون) ، وتدعم كل خلية عصبية بعشر من الخلايا الغروية لتحافظ على هيئتها البنائية ، وهنالك ثلاثة أنواع من العصبونات : العصبونات الحسية : لنقل المعلومات حول البيئة ، والعصبونات الحركية . وتنقل الانبعاث العصبي إلى خلايا العضلات والغدد . وأخيرا العصبونات المتوسطة أو التشاركية وهذه لها علاقة بالوظائف المعقدة الخاصة بالكائنات المتطورة الذكية ، مثل الادراك والتعلم ، وعددها يختلف في الكائنات الحية ، تبعا لرقيها ، وتقدمها على سلم التطور .

لا يختلف تركيب الخلية العصبية عن الخلايا الأخرى كثيرا إلا أنها تحتوي على مقدار كبير نسبيا من الحامض النووي المعروف باسم حامض الريبونيوكليك (ر ن أ) . ويتفرع من كل خلية عصبية ما بين ألف وعشرة آلاف من التفرعات الشجرية ، تشبه تفرع الأغصان في الأشجار ، وتصل الخلية بالخلايا العصبية الأخرى لتنقل الانبعاث العصبي للخلية . ويتفرع من الخلية ليف يتراوح قطره ما بين نصف وعشرين ميكرون ، يسمى المحور حيث ينتهي بفروع صغيرة ، يوجد في نهاية كل منها انتفاخ صغير ، يسمى بالزر التشابكي ، ليوصل الخلية العصبية مع خلية أخرى ، أو مع عضو استجابة (غدة أو عضلة) ، وينتقل الانبعاث العصبي باتجاه واحد من الخلية العصبية إلى الأعضاء .

إذا صح اعتقاد بعض العلماء بأن الدماغ البشري يستخدم نفس الطريقة المستخدمة في الحاسوب (الكمبيوتر) ، أي طريقة الأعداد الثنائية في حفظ المعلومات ، فإنه يمكن حفظ معلومة بسيطة[2] في كل واحدة من التفرعات أو الأزرار التشابكية للخلايا العصبية . ويقدر العلماء كمية المعلومات التي يمكن حفظها في الدماغ بما لا يقل عن (١٠)^{15} معلومة (واحد وأمامه خمسة عشر صفرا) . وقد يبدو هذا الرقم مذهلا ومبالغا فيه ، لكن إذا فكرنا في كمية المعلومات التي يستطيع الشخص العادي أن يتذكرها ، من أرقام وعمليات حسابية وحروف ومفردات لغوية ، وتواريخ وأشخاص ومعلومات عامة وذكريات ، لوجدنا أن الرقم قد يكون متواضعا أمام عظمة الدماغ البشري ☐

---

(٢) المقصود بالمعلومة البسيطة هي الاجابة على سؤال محدد إما بنعم أو لا أي تحفظ الاجابة في الذاكرة ، وهذه طريقة الأعداد الثنائية المستخدمة في حفظ المعلومات في الحاسوب (الكمبيوتر) .

(٣) تحفظ المعلومات للمدى الطويل في القشرة المخية ، أما المعلومات للمدى القصير [illegible] حفظ في تركيب صغير تحت القشرة المخية ، يسمى قرين آمون .

قصيدتان

للخالد الأسمر



كان حطا من ...
يأتيكم من أعالي الجنوب
ليطرح أفراحه في الخيام
ملكهم ...
يهديكم الخبز والثوب
حط من ... مسكي ... لا
يستطيع
لعاس ... الذي كان ...
... لسلا على ...
كا ... صرها
كسه
... ...

كا ... سهر
صبا ... حدس ...
بوجهه ... موبه
سحر ... ... عمو
صبا ... بصهر
يهديكم ... السحر
يهديكم ك ... عد
بس ... ع
طلعه ... ...
سعد ... بكركم
كي ... ... بسلا
كم ... ...

شعر محمود عبد الصمد زكريا

حين ملكك عليَّ
ستحمل صمت القيود
وتهيم فوق التلال ستحلل للطهر
تلك مساحرة بين لون ولون
وفي الصليح عرس الصبحه
لون الصبحه أصفر
وفي العرس أحمر
وقد سلبت معود ساحه لا مروح

وها هي ى سطر
وكا لاحه مدت كما
تصير فيها لمو
وكم بت فتى م حرب
حد ملكك عا
بحد وهجك صمت

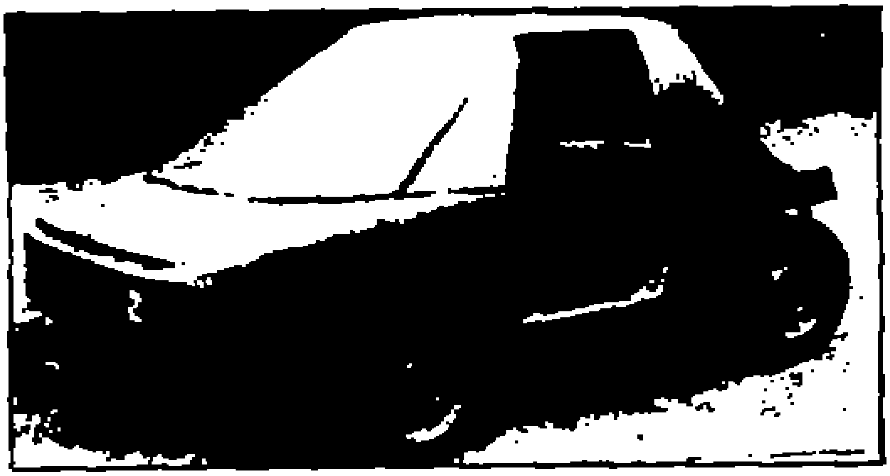
يا صبح مثل سو الحصا
فريد بعد علك في لطمى
عب صوتك سطه كملك
يدمى في حسر للأحبه
ب لو نك حد عها لدما
فيها كتب نوم ت

لأنك حطب عليك لطو
وحد لنحا وحط لسر
لأنك حلم لسمر
سام ومعط
وصد لنا لماحل بالعصـــ

يهمس في السر
يا سحر طلرا
فإني سهيب مياهي
وعصرت ماهي
ولقد خلت طلك في
وبين وصلك يا سحر مروح
عليَّ بر علك يا سحر مترك وحبي
فهل أتساوى علج
وقد كنت عندنا ؟

ونريد ملحا
فرجع كل لماحا
تخلع دون لندى
فرندي سكه للحروب
ونكسب عن صدها
لحديد سا حديد
حد بلمه
عد كا لر عه لد
حد لدنك سمر
برق للمحه حد معو ها في مسك
عر الملكه حصر
وبه الملكه حصر
فيها بت سهر
بك
فكم بت فتى لحرب
حد ملكك ها
وبعد

الجديد في العلم والطب



سيارة الفستق ، أو سيارة الصين ، صغيرة لكنها قوية .

سيارة الفستق السوداني

● طورتها احدى الشركات الاسترالية ، وسمتها سيارة الصين وكان الأولى أن تسميها سيارة الفستق .

أما تسميتها بسيارة الصين فلأن الشركة الاسترالية تستهدف غزو اسواق الصين بسيارتها المرتقبة .. فعدد سكان الصين يزيد على ١,١٠٠ مليون نسمة اي ما يعادل ربع مجموع سكان العالم تقريبا . والاسواق الصينية متعطشة لسيارة صغيرة قوية ورخيصة .. كالسيارة التي تنوي انتاجها الشركة على نطاق واسع قبل حلول سنة ١٩٨٩ .

وقوام هذه السيارة محرك ديزل ذو سلندر واحد ، يعمل بزيت الديزل ، ولكنه يعمل أيضا بزيت الفستق السوداني ، وتقطع السيارة نحو ثلاثين ميلا بمقدار من الوقود لا يزيد على (ربع جالون) ولا يزيد طول السيارة على ٨ أقدام ، ولا يكاد يبلغ وزنها نصف طن .. ولكنها قادرة على حمل أو جر ١,٥ طن ، والفضل في ذلك يعود الى جهاز تحويل الحركة ، والى علبة التروس وتبلغ سرعة السيارة القصوى ٣٠ ميلا في الساعة ، وذلك اثناء حملها ثلاثة ركاب (رجلين وطفل) .

وقد صممت سيارة الصين بحيث تلائم الطرق غير المعبدة ، وهي منتشرة في الصين ، ويجرى تطويرها حاليا لكي يسهل عليها تسلق الطرق الجبلية بسهولة .

وتسعى الشركة الاسترالية الى تسجيل

براءة اختراعها . . المحرك ومحول الحركة على الاقل . . وستعهد هذه الشركة الى الجهات المعنية في الصين بصنع هيكل السيارة ، اما صنع المحرك والمحول فستحتفظ به لنفسها ، وتنوى الشركة انتاج (١٠.٠٠٠) سيارة في السنة . . ستبيع ما يمكن بيعه منها في أسواق الصين ولي محافظة جيانسكو بالتحديد . . ولن تتردد في تصديرها الى الاسواق الاخرى . . وتقدر تكاليف السيارة الواحدة بنحو ٢٥٠٠ دولار على ابعد تقدير .

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

الطرق الجديدة في معالجة السـرطان

● تحدثنا في عدد سابق (عدد شهر مايو ١٩٨٧ صفحة ١٢٨)عن إحدى طرق معالجة السرطان بواسطة أساليب الهندسة البيولوجية . وورد الينا من رسائل القراء مايدل على مدى الاهتمام بهذه الطرق الحديثة ، التي تكلف كثيرا وتبشر كثيرا ، تبشر بالشفاء



الدكتور ستيفن روز بيرغ أحد رواد أسلوب المعالجة الجديدة للسرطان .

من المرض الخبيث ، وهو شفاء عاجل وتام الى حد كبير كما تؤكد الأوساط الطبية والعلمية المعنية .

فقد نشرت مجلة نيو انجلند الطبية في أواسط شهر ابريل الماضي بحثين مختلفين لعلماء في موضوع واحد هو موضوع معالجة السرطان بواسطة جهاز المناعة ، وتوصلا الى نفس النتائج المرضية المطمئنة . لا عجب اذن أن نشرت المجلة الطبية المذكورة مقالا افتتاحيا يعلق فيه كاتبه على الموضوع الذي دار حوله البحثان المذكوران . . وقد قال فيه : « لعلنا في نهاية البداية في بحثنا عن علاج ناجح للسرطان . علاج يعتمد في المقام الاول على اسلوب الجسم نفسه في محاربة المرض ، وهو الاسلوب الذي يعمل به جهاز المناعة في جسم الانسان » .

وتحدث البحث عن التجارب التي شملها ، وقد اجريت على (١٥٧)مريضا من المرضى المصابين بأورام سرطانية مختلفة منها سرطان الكلي ، وسرطان القولون ، والأورام الليمفاوية وسرطان الجلد . وكانت هذه السرطانات من النوع المستفحل المستشرى الذي لا أمل في الشفاء منه في نظر الاطباء .



مادة الانترلوكين تفرزها جهاز المناعة في الجسم ، ويقوم الطبيب المعالج بتنشيط هذا الجهاز عن طريق حقنه بجرعات كبيرة

ومضى الاطباء في معالجة المرضى بأسلوب جهاز المناعة ، ودلت الفحوص في نهاية التجارب التي شملها البحث الاول على أن :

٩ مرضى شفوا تماما

٣٢ تقلصت اورامهم السرطانية تقلصا كبيرا .

٤ ماتوا بسبب اثار جانبية ذات صلة بأسلوب العلاج . وطرأ تحسن ملحوظ على بقية المرضى . .

والجدير بالذكر أن الدكتور ستيفن روتبرغ احد كبار المسؤولين في معهد السرطان القومي بالولايات المتحدة هو الذي اشرف على تجارب البحث الاول ، وساهم في الكتابة عن نتائجه وتجاربه للمجلة السالفة الذكر ، والدكتور روتبرغ هذا هو الذي شارك ونطق بلسان الاطباء الذين اجروا عملية سرطان القولون للرئيس ريجان ، ومن طليعة رواد الاسلوب الجديد في معالجة السرطان (اسلوب انترلوكن) .

أما البحث الثاني الذي نشرته المجلة فقد تولاه واسهم في كتابته الدكتور وليم وست وزملاؤه العاملون في شركة بيوثرا بونيك .

وهي الشركة التي أسسها سنة ١٩٨٤ الدكتور اولدهام مبتكر طريقة العلاج التي تحدثنا عنها في عدد مايو الماضي . . وتشابه البحثان في التجارب التي اجرياها واسلوب العلاج الذي اعتمداه ، وتشابها ايضا في النتائج التي توصلا اليها مع الفارق ان الشفاء التام لم يكتب لاي من مرضى البحث الثاني . .

بقي أن نتحدث عن اسلوب العلاج الجديد نفسه . فنذكر أول ما نذكر مادة الانترلوكن - ٢ وهي المادة التي يقوم عليها هذا الاسلوب والتي يفرزها جهاز المناعة في الجسم بمقادير ضئيلة ، وقد أمكن انتاج هذه المادة على نطاق معقول بواسطة الهندسة البيولوجية .

ويبدأ اسلوب العلاج الجديد بحقن المادة المذكورة بجرعات كبيرة في جسم المريض من أجل تنشيط جهاز المناعة الذي يفرز مادة (IL2) بكميات قليلة كما ذكرنا .

ثم يخطو الطبيب المعالج خطوته الثانية فيسحب الدم من جسم المريض . . وتعزل الخلايا البيضاء - خلايا المناعة - من دم المريض هذا ، ثم تنقع في محلول مادة (الانترلوكن - ٢) السالفة الذكر ، فتتكاثر الخلايا بمزيد من السرعة ، وتسمى بعد ذلك خلايا (لاك) والكلمة لاك هذه اختصار للاسم الطويل (Lymphokine - Activated Killer) وتكون الخطوة الثالثة في اسلوب العلاج الجديد بإعادة الكريات البيضاء الى دم المريض ، وإعادة دمه هذا الى جسمه ، وما اسرع ما تنجذب خلايا (لاك) الى خلايا السرطان فتهاجمها على الفور وتقضي عليها كلها او اكثرها .

ويستغرق اسلوب علاج السرطان الذي اوجزنا نحو اسبوعين ، ويكلف ٣٠,٠٠٠ دولار او يزيد ، ينفق اكثرها على العناية المكثفة التي يحتاجها المريض ، والتي تكلف الكثير في الولايات المتحدة ، ذلك أن الاسلوب ليس بلا اثار جانبية . وهذه الاثار تستوجب وضع المريض في غرفة العناية المركزة بعض الوقت □



مركز الطب الإسلامي

وللمعالجة بالنباتات الطبيّة

بقلم : يوسف زعبلاوي / تصوير : صلاح آدم

تعيش الكويت نهضة طبية ناشطة ، كادت تضاهي مثيلاتها في بعض الدول المتقدمة ، فنسبة الأطباء إلى مجموع سكان الكويت مقدارها طبيب واحد لكل (٦٤٤) نسمة . وهناك (٣٧) سريراً لكل (١٠) الاف نسمة . وللمقارنة فإن في اليابان طبيباً واحداً لكل (٧٠٥) من السكان ، وفي الولايات المتحدة (٥١) سريرا لكل (١٠) الاف نسمة . والمعروف أن الكويت تقدم خدماتها الطبية لمواطنيها والمقيمين بها دون مقابل ، وقد بلغت المخصصات التي أنفقتها على الخدمات الطبية في سنة ١٩٨٤ م/ ١٩٨٥ م وحدها (١٧٧) مليون دينار ، أي بواقع (٩٩) دينارا لكل فرد واحد من السكان .

على أن ما يُهمنا من نهضة الكويت الطبية المجالات الطبية التي دخلت طريقها فيها ، فهناك مجالات طبية حديثة ، تعالج فيها الأمراض بطرق أخرى غير الطرق « الكلاسيكية » المعروفة ، ويطلق عليها أهل الغرب مجالات الطب البديل . فقد افتتحت وزارة الصحة مراكز للعلاج الطبيعي ، وأخرى للعلاج بالإبر الصينية . وافتتحت أيضا مراكز خاصة متخصصة بالنباتات الطبية ، هو (مركز الطب الاسلامي) ، أو إن شئت الدقة : « مركز يوسف المرزوق وزوجته لولوة القصار للطب الاسلامي » .

أقيم هذا المركز سنة ١٩٨٤ ، وتوفر له من الاهتمام والرعاية ما كفل له أكبر توسع في أقصر زمن . فالعاملون في المركز يبلغ عددهم حاليا (١٦٠) ، وقد كانوا لا يتجاوزون عدد أصابع اليدين عند التأسيس ؛ أما المترددون والمراجعون فلا تقل نسبتهم من [illegible] . وكان مقر المركز [illegible]

السنوات الماضية مبنى متواضعا . لا تتعدى مساحته ٥٠٠ متر مربع . فأصبح اليوم مبنى رحبا فسيحا . تبلغ مساحته المبنية ٦,١٠٠ متر مربع . يضاف اليها مساحة الممرات والحدائق . ناهيك عن المسجد . وبذلك تبلغ مساحته الاجمالية ١٥,٥٠٠ متر مربع . وقد بني خصيصا للمركز . وتكلف بضعة ملايين الدنانير . فأصبح في طليعة المباني في الكويت روعة وجمالا . وتجسيدا لفن العمارة الاسلامية

وقد حظي افتتاح مركز الطب الاسلامي في مقره الجديد بمزيد من الحفاوة والتكريم . حيث شمل أمير الكويت صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح برعايته السامية حفل الافتتاح في ٢١ فبراير شباط ١٩٨٧ م . وذلك في مناسبة عزيزة . هي عيد الكويت الوطني السادس والعشرون

آية من آيات العمارة الاسلامية :

اتفقنا في بادىء الأمر على إرجاء الحديث عن مبنى المركز الجديد . حتى نفرغ من الحديث عن أعماله وحملاته . لكن المبنى شدنا اليه . وفرض نفسه على حديثنا . وكنا قد عرفنا مسبقا ان تكلفة أعمال بنائه قد بلغت ٦,٥ ملايين دينار . واستغرقت أربع سنوات متواصلة . ثم عرفنا المعنيين الرائعين المتجسدين في المبنى . معنى الكرم ومعنى الوفاء . ذلك أن هذا الصرح الضخم الفخم لا يعدو كونه هدية . مجرد هدية تبرع بها آل يوسف المرزوق وحرمه لؤلؤة النصار . لتكون المقر الجديد لمركز الطب الاسلامي في الكويت . أما الوفاء فقد تجلى في الكلمات القليلة التي وردت على لسان أحد المتبرعين . وهو السيد فيصل يوسف المرزوق . إذ قال : « لو ذكرنا مالكويتنا الحبيبة من جميل علينا . وذكرنا عطاءها الذي يفوق كل عطاء . لتضاءلت الهدايا . كل الهدايا التي يمكن أن نقدمها إليها . وتضاءلت أيضا هديتنا الحالية . وهي هدية متواضعة أصلا » .

ونظرنا إلى المبنى ـ الهدية ـ فإذا به آية من آيات العمارة الاسلامية . تذكرت أقواسه وأعمدته بقصر الحمراء في الأندلس . ويذكرك رخام بلاطه برخام تاج محل في الهند .

وللمبنى جناحان . تفصل بينهما ممرات وحدائق . الجناح الأيمن منهما يشغله « مركز الطب الاسلامي » . وتشغل جانبا منه « المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية » . والجناح الأيسر وقوامه مسجد لؤلؤة النصار . وهو المسجد الذي ترى قبته من على بعد كبير . ذلك أنها كبيرة جدا . إذ يبلغ قطرها الدائري عشرين مترا . وارتفاعها خمسة وعشرين . وهي مطلية بالذهب الخالص . أو هكذا تبدو لك . إذ ان المطلي بالذهب ليس القبة نفسها وإنما الفسيفساء التي كستها . فقد وجدت التقنية الحديثة في ذلك ضمانا لصمود الطلاء . وتسهيلا لأعمال صيانته . وما يقال عن القبة الكبيرة يصدق أيضا على القبة الصغيرة التي تتوج المئذنة التي يبلغ ارتفاعها (٤٥ مترا) .

أما المسجد فواسع رحيب . لا تقل مساحة صحنه عن ١,٢٦٧ مترا . ويتسع لألف وخمسمئة من المصلين . ويعلو الصحن دور علوي خاص بالنساء ويبلغ نصف مساحته

لفت نظرنا السجاد الذي غطيت به أرض المسجد . فهو سجاد صيني . وألوانه بديعة . ونقوشه رائعة . وما أسرع ما لاحظنا التطابق بين تلك النقوش ونقوش القبة التي فوقها فملكتنا الحيرة . حتى عرفنا أن نقوش القبة هي الأصل . وأن تصاميمها قد أرسلت الى « طيوان » . ليجري نسج السجادة وتطريزها وفق تلك التصاميم . نقول السجادة بصيغة المفرد . ولا نقول السجاد بصيغة الجمع . ذلك أن ما صنعته « طيوان » وشحنته لم يكن إلا سجادة واحدة . لكنها عملاقة . مساحتها (٨٠٠) متر مربع .

وتجولنا في المسجد . وتأملنا المحراب والمنبر .



● د . أحمد رجائي الجندي رئيس مركز الطب الاسلامي .

وتأملنا أيضا الخطوط العربية الجميلة ، فشعرنا كأننا في متحف لا في مسجد ، متحف يزخر بثروة من روائع الفن الاسلامي . وسألنا عن الخطاط فعرفنا أنه الشيخ حسن شلبي ، خطاط تركيا المعروف ، وقد حضر شخصيا إلى الكويت لوضع اللمسات الأخيرة .

ولعل أهم ما يذكر عن مسجد لولوة النصار من الناحية العمرانية أن قبته الضخمة لا تقوم على أعمدة ، ومعنى هذا أن الناس الذين يصلون في المسجد تجمع بينهم وحدة وثيقة ، ولا تفصل بينهم أي أعمدة ، ولعل هذه الميزة خاصة بمسجد لولوة ، ولا نجد لها نظيرا في سائر المساجد عندنا .

وانتقلنا بعد ذلك من الجناح الأيسر إلى الجناح الأيمن ، مقر « مركز الطب الاسلامي » ، ومقر « المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية » أيضا ، وهو مبنى واسع ، قوامه طابقان ، طابق أرضي يضم العيادات والمكتبة والقاعات والصالات ومكتب التسجيل والصيدلية ، وطابق علوي يضم الادارة والسكرتارية والمختبرات ، فضلا عن مكاتب المنظمة .

مركز الطب الاسلامي هو الأصل .

كان الدكتور أحمد رجائي الجندي أول من زرناه في مركز الطب الاسلامي . ولا عجب ، فهو رئيس المركز الذي تولى إدارته منذ تأسيسه ، وهو المؤهل (دكتوراة في العلوم الصيدلية) لاعطائنا ما كنا بحاجة إليه من إيجاز وإجمال ووضوح ، وسألنا الدكتور الجندي عن أهداف المركز وأعماله ، فابتسم ، وذكّرنا بأن الحديث عن الأصل يجب أن يسبق الحديث عن الفرع ، فمركز الطب الاسلامي هو الفرع ، أما الأصل فهو « المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية » ، تلك المنظمة التي يترأسها وزير الصحة العامة الكويتي الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي ويتولى الدكتور على سيف أعمال أمينها العام ، والدكتور أحمد رجائي الجندي أعمال أمينها المساعد .

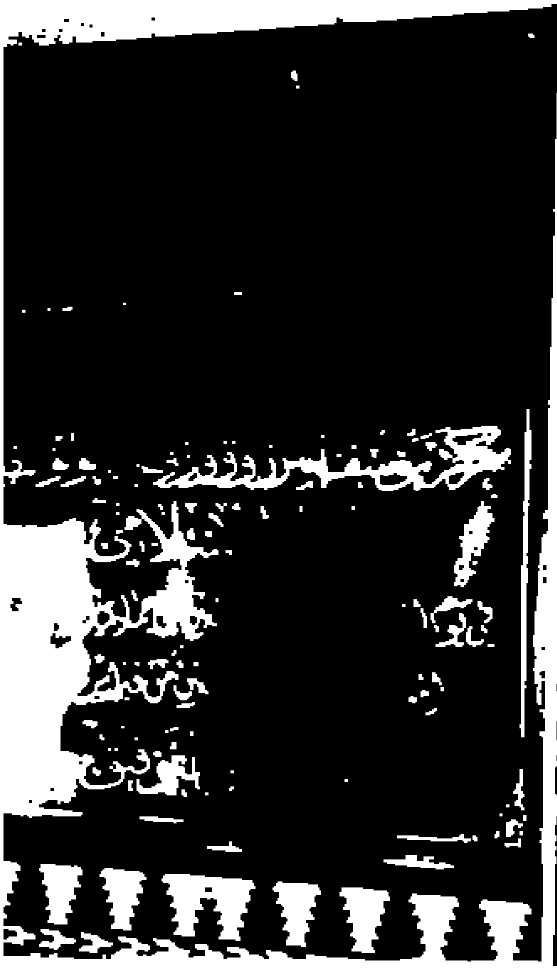
لكن الأهداف واحدة على كل حال ، إنها إحياء التراث الطبي الاسلامي ، فبينما يعمل المركز على إحياء هذا التراث عملا وممارسة ، وذلك بمعالجة المرضى بالنباتات الطبية ، تعمل المنظمة على إحيائه فكرا وحضارة .

ومضى الدكتور الجندي في حديثه ، فأشار إلى أن الأقسام الأساسية في مركز الطب الاسلامي ثلاثة : عيادات ومختبرات ومصنع . وأن التداوي بالنباتات الطبية هو محور تلك الأعمال والأقسام جميعا . فالعيادات هي التي تقوم بمعالجة المرضى ، وإعطائهم ما يحتاجون من أدوية نباتية ، والمختبرات هي التي تقوم بالتحقيق والتدقيق في تلك الأدوية مسبقا ، وذلك للتأكد من أنها فعالة وآمنة ، ولتحديد جرعاتها الطبية ، ومدة صلاحيتها ، فضلا عن تحديد الأشكال التي يجب تصنيع النباتات الطبية عليها . أما القسم الثالث فهو المصنع التحويلي ، وهو الذي يقوم

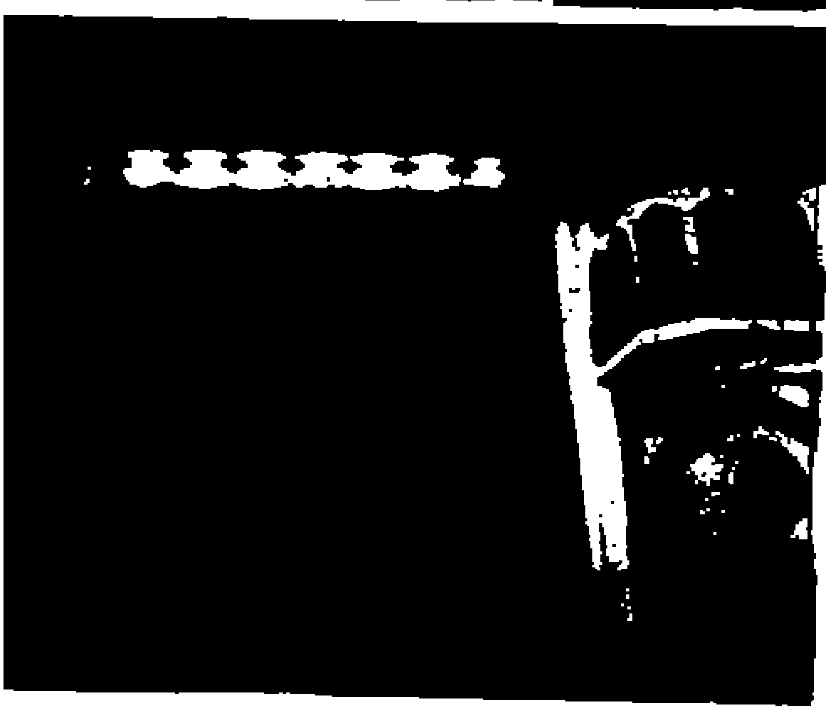




* صاحب السمو أمير دولة الكويت الشيخ جابر الاحمد الصباح في افتتاح مركز الطب الإسلامي . وإلى اليسار مسجد لولوة النصار كما يبدو للناظر إليه من فوق الممرات .









● لوحة الاهداء لمقر المركز ، وبجانبها صورة جهاز الفيوجراف لفحص الأدوية النباتية ، للتأكد من فعاليتها وأمانها ، وإلى اليسار محراب مسجد لؤلؤة وهو مرصع بالفسيفساء المذهبة .



* مكتبة المركز وهي من أحدث المكتبات الالكترونية

بإنتاج الأدوية النباتية على شكل أقراص أو « كبسولات » أو مساحيق أو أشربة أو معاجين . وذلك بعد تركيب تلك الأدوية من خاماتها النباتية .

وتتنوع مصادر تلك الخامات ، فهي من الجذور والبذور وأوراق النبات ، ولحاء الشجر ، أو غير ذلك . أما البلاد التي تستورد منها تلك الخامات فهي باكستان غالباً .

عيادة التشخيص أولاً . .

وانتقلنا بعد ذلك إلى قسم العيادات ، وإلى عيادة الفحص ، وعيادة التشخيص هي أولى تلك العيادات ، وهي العيادة التي لا مفر لمرضى المركز من زيارتها أولا ، ذلك أن التشخيص هو الأساس الذي يقوم عليه العلاج ، أي علاج ، والذي بدونه يفقد مركز الطب الاسلامي هويته الطبية ، ويصبح مستودعا كبيرا لتوزيع النباتات الطبية والأعشاب . وتصبح مهمته عشوائية ، أقرب إلى مهنة العطارين .

واجتمعنا بالطبيب المسؤول في عيادة التشخيص الدكتور أحمد أبو الفضل الذي شرح لنا ما يقوم به من أعمال ، فقال :

« نعم ، أقوم بالتشخيص ، وأحرص كل الحرص على استخدام كل ما توصل إليه الطب الحديث من وسائل التشخيص والتقدم التقني الباهر ، وأجري ما أستطيع إجراءه من فحوص سريرية . ثم أحيل المريض إلى المختبرات ومراكز الأشعة في مستشفى الصباح ، حتى إذا تجمعت نتائج التحاليل والصور في ملف المريض ، وأمكننا تشخيص مرضه ، أحلناه إلى عيادات العلاج بالنباتات الطبية ، لتبدأ المرحلة الثانية من أعمال العيادات ، ولتجري معالجته وفق حاجته ، وثمة مرحلة ثالثة من أعمال العيادات ، وهي مرحلة المتابعة التي تعقب مرحلة المعالجة ، إذ لا بد من فحص المريض مجددا ، لنتأكد من مدى الفائدة التي جناها من المعالجة بالنباتات الطبية » .

وتأملنا كلمات الدكتور « أبو الفضل » فعادت بنا الذاكرة إلى ما قبل عشرة قرون أو أكثر ، إلى أيام الرازي وابن سينا وغيرهما من عمالقة الطب الاسلامي ، فقد أولوا الفحص والتشخيص من عنايتهم واهتمامهم ما لا يقف عند حد . يقول الرازي (محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١٣ هـ - ٩٢٥ م) في كتابه الموسوعي « الحاوي » :

« كان عبدالله بن سوادة تعتريه حمى قوية ، كانت تعوده كل ستة ، وأحيانا كل يومين ، وأحيانا أخرى كل أربعة أيام . وكان يصحبها ارتجاف قليل ، ويكثر معه ملؤه ، فقلت له : ان حالته تلك ناتجة عن حمى الملاريا ، أو عن دمل في كلوته ، وبعد قليل وجدت قيحا في بول المريض ، فأخبرته بأن احتمال الحمى قد ولى ، وأن دمل الكلوة هو العلة ، ولو علمت أن ابنه قد عانى الكثير من ضعف المثانة ، وأنه قد عاينها في صباه لما ترددت لحظة في معاينته وفق ذلك . وفي الوقت المناسب وصفت للمريض مدراً ، حتى إذا تخلص من القيح وصفت له دواءاً ناجعاً » .

والجدير بالذكر أن كتاب « الحاوي » الذي يقع في ٢٨ مجلدا أو ثلاثين ، يفيض بقصص كالتي ذكرها الرازي ، وهي في الغالب قصص تشخيص ، سجلها الرازي في مذكراته التي اشتق منها كتاب « الحاوي » بعد وفاته .

أما الشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفى سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧ م) فيقول : « علينا ألا نثق بنتائج تحليل البول إلا إذا توافرت لدينا الشروط التالية : أن يكون البول أو بول المريض بول الصباح ، على ألا يكون المريض قد شرب الماء بكثرة ، أو أكل ما يمكنه أن يلون بوله كالزعفران ، كذلك يجب على المريض ألا يقوم بحركات خاصة ، أو يتبع نظاما على غير عادته ، كالصيام والتأخر في النهوض ، والامعان في التعب ، لأن كل هذا يؤثر كثيرا في تركيب البول . كما أن الجماع يغير لونه ، والقيء والدوخة يؤثران على تركيبه » .

لقاء مع حكيم أعشابي

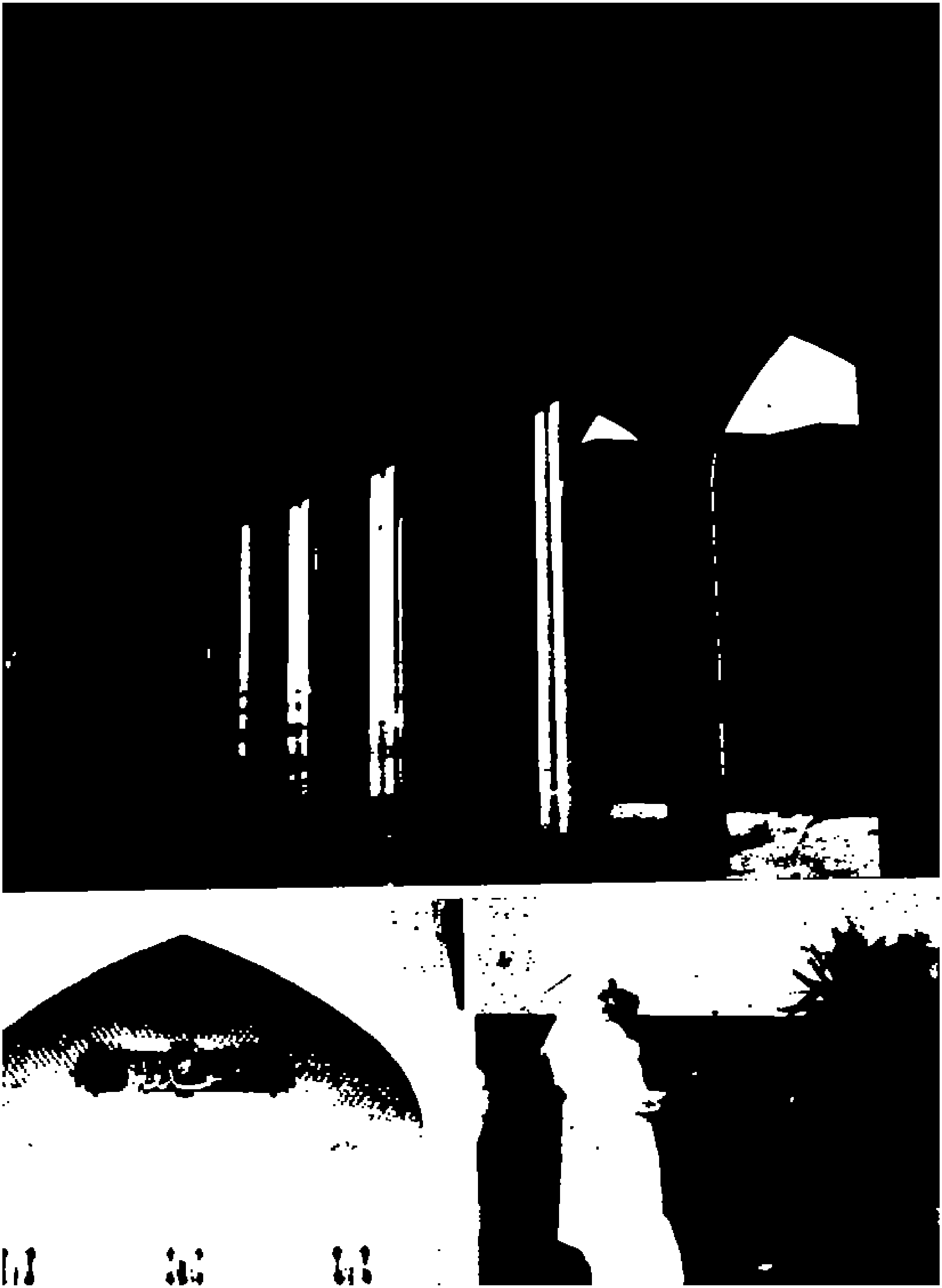
والتقينا بعد ذلك بالأخ الحكيم محمد ظهور الحسن أحد الأطباء أو الحكماء الأعشابيين العاملين في المركز ، بل أقدمهم ، وهو من إخواننا المسلمين الهنود ، ومن مواليد حيدر اباد ، وله من العمر ٥٤ عاما ، وقد عرفنا عنه مسبقا التخصص في دراسة التداوي بالأعشاب (الطب اليوناني كما يسمونه في الهند) ، دراسة جامعية حديثة ، وهو يشغل منصب مستشار في طب الأعشاب لدى وزارة الصحة في الكويت وذلك على أساس الاعارة من حكومة الهند .

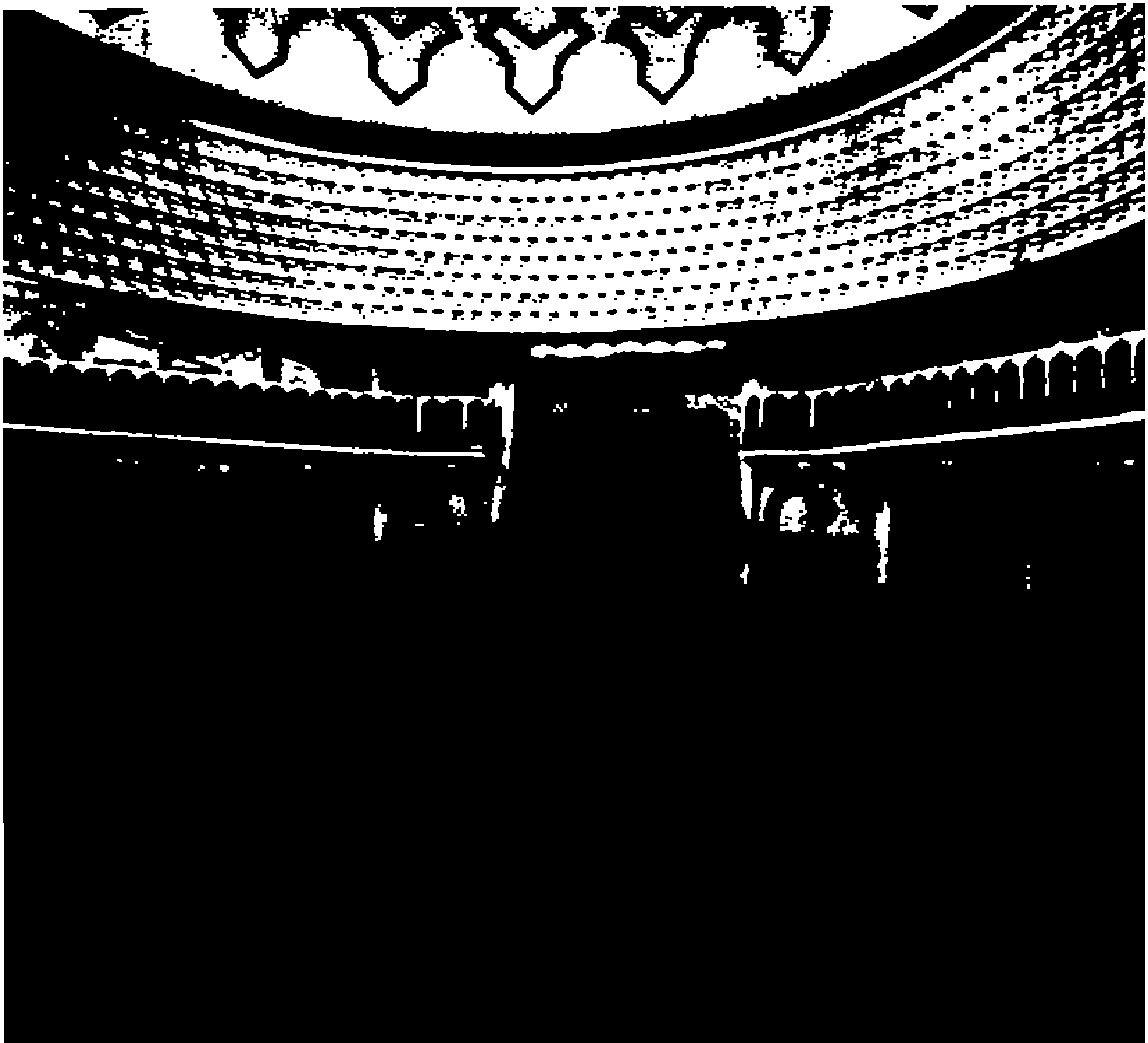
وحدثنا الحكيم الأعشابي عن الأمراض المختلفة التي تعالج في عيادات مركز الطب الاسلامي ، وأكد لنا أن هذه العيادات لا تعالج الأمراض جميعا ، بل إنها لا تعالج إلا عددا محددا منها ، قد لا يجاوز خمسة عشر مرضا ، إلا أن عدد هذه الأمراض بازدياد ، وهي تزداد تبعا للأبحاث التي يجريها المركز للتثبت من إمكانية معالجتها بالنباتات الطبية أولا ، وللتأكد من فاعلية الأدوية النباتية المتاحة أو المقترحة لمعالجتها ثانيا .

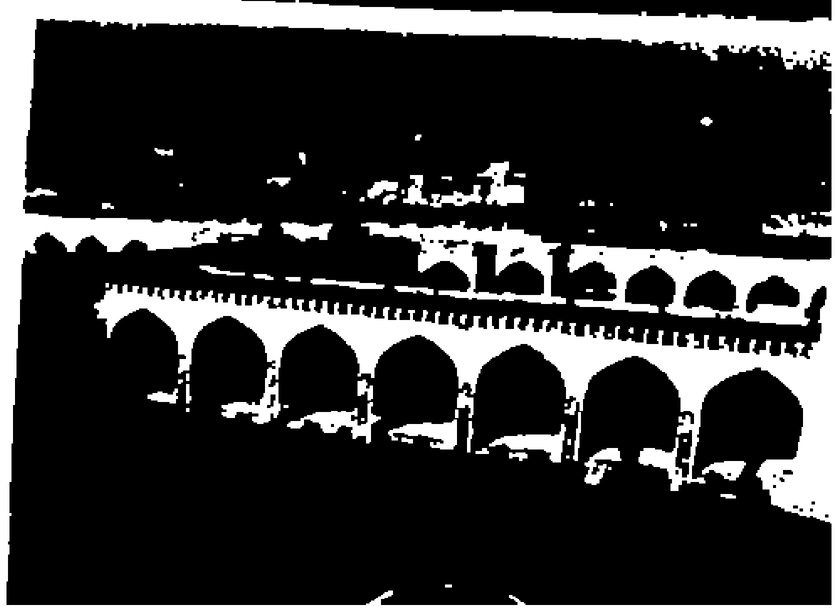
وتشمل قائمة الأمراض التي يعالجها مركز الطب الاسلامي أمراض الجهاز التنفسي والحساسية الأنفية والجيوب والربو ، وتشمل كذلك أمراض الجهاز الهضمي من امساك وإسهال وحموضة ، فضلا عن قرحة الاثنا عشر والبواسير وتقرحات القولون وتكاسله ، ويعالج المركز أيضا أمراض الجهاز البولي بما في ذلك الالتهابات والحصى ، وأمراض الروماتزم والصداع النصفي إلى جانب الدهنيات الفائضة في الدم وتكاسل الكبد والبهاق (البرص) ومرض البول السكري .

والجدير بالذكر أن عدد المرضى الذين يترددون على مركز الطب الاسلامي كانوا بازدياد في السنوات الثلاث الأخيرة ، فعددهم لم يجاوز ٩٥٠٠ مريض سنة ١٩٨٤ م ، لكن عددهم بلغ ١٣٥٠٠ مريض في نهاية السنة الماضية (١٩٨٦) ، ولعل في هذه الزيادة دليلا على ما شعر به المرضى من فاعلية المعالجة النباتية التي حصلوا عليها في المركز ، وإلا لما ترددوا على عياداته ، ولما ازداد عددهم على نحو ما ذكرنا .

ويحضرنا هنا قصة رواها لنا أحد المرضى الذين اجتمعنا بهم في المركز ، لقد عانى هذا الرجل (٦٨ سنة) من تقرحات القولون ، وقلق الأمرين من تكاسله ، ومن الآلام المبرحة التي كانت تأتيه كل يوم بميعاد ، بتمام الساعة الرابعة بعد الظهر ، وعانى أيضا من الامساك الشديد جدا ، ومن الاسهال المفرط ، وقد تناوبا عليه وتعاقبا أسبوعا بعد أسبوع ، ولم تجد فتيلاً الأدوية الكيماوية التي واصل تناولها شهورا عديدة ، حتى يئس أو كاد ، فلجأ إلى مركز الطب الاسلامي ، ومضى في تناول الأدوية النباتية التي وصفت له طيلة أسبوعين ، ثم ما لبث أن توقف ، وقد عوفي من شتى الأعراض والآلام التي طالما شكا منها ، ولم يعاوده شيء منها ، رغم مضي







* (أعلى إلى اليمين) أحد الممرات التي تؤدي إلى مركز الطب الاسلامي المحلى بالأقواس والأعمدة ، (وإلى اليسار) السجادة العملاقة التي تبلغ مساحتها ٨٠٠ متر مربع .

وأقصى اليمين إحدى صالات انتظار المرضى ، ثم بوابة مسجد لؤلؤة الضخمة للصلاة ، وصورة إحدى الساحات المغطاة بالخضرة التي ستتحول إلى حدائق عما قريب .

عشرة شهور على التوقف عن تناول الأدوية النباتية .

وعجبنا من حديث هذا الرجل ، فآفات القولون لا تشفى في الغالب ، ولا مفر للمصاب بها من أن يتعايش معها ، ويكتفي بـاللجـوء إلى المسكنـات المعروفة حين يتعرض لآلامها ، هذا على الأقل هو ما يردده الأطباء الذين يعالجون علل القولون بالأدوية الكيماوية .

وحـدثنـا الحكيم ظهـور الحسن بعـد ذلـك عن الأدوية التي اعتمدها ، وما زال يعتمدها مركز الطب الاسـلامي لمعـالجـة الأمـراض ، ففهمنـا أنها من المركبات ، أكثرها إن لم نقل كلها ، أي أن المفردات بينها نادرة ، وفهمنا أيضا أن المعادلات المعتمدة في تركيب تلك الأدوية معادلات موثوق بها كل الثقة ، وأن الكثير منها مأخوذ عن كبار الأطباء المسلمين ، وعن الشيخ الرئيس ابن سينا على وجه التحديد .

أما الخامات أو النباتات والأعشاب الطبية التي تركب منها تلك الأدوية فكثيرة ، والكثير منها غير معروف في منطقتنا ، على أن منها ما هو معروف ومألوف ، بل إن بعضها شائع ولا يخلو منه منزل ، بحيث قد يستهجن المرء أن يكون فيه أي أثر لدواء لأي داء . ونذكر من هذه النباتات والأعشاب على سبيل المثال ، البنفسج ، والعرقسوس ، والشمّار (الشّمرة) (أخو الينسون) والهندباء ، وحبة البركة ، والمصطكي (المستكة العربية) .

وسألنا الحكيم ظهور الحسن بعد ذلك عن الكيفية التي تؤثر بها الأدوية النباتية في جسم المريض ، وهل تختلف في ذلك عن الأدوية الكيماوية،فعرفنا منه أن الدواء الكيماوي يحتوي على عنصر فعال واحد بخلاف الدواء النباتي الذي يحتوي على عدة عناصر فعالة ، وعدة عناصر أخرى ثانوية ، لكنها ذات فائدة صحية ، ومن هنا كان التمييز الشائع بين هاتين الفئتين من الأدوية ، فالدواء الكيماوي يعالج المرض الواحد بالتحديد ، أما الدواء النباتي فيعالج المريض ككل ، ويعيد إليه توازن جسمه ، وهو قوام عافيته كما لا يخفى ، وهناك من يؤكد أن الأدوية النباتية تعمل على تنشيط أجهزة المناعة في جسم المريض .

وخلص الحكيم ظهور الحسن من حديثه إلى التأكيد على أن الأدوية النباتية ليست بلا محاذير ، فقد يتسبب بعضها بآثار جانبية ، لا تقل خطورة عن الآثار التي تترتب على الأدوية الكيماوية ، لذلك وجب التقيد بالتعليمات الخاصة بتناول تلك الأدوية ، كالجرعات وأوقات تناولها ومدة العلاج ، إلى آخر ما هنالك . وأشار أيضا إلى أن فاعلية الأدوية النباتية قد تختلف باختلاف المرضى ، فقد يتجاوب بعض هؤلاء للمعالجة بها ، ولا يتجاوب الآخرون ، وأضف إلى ذلك أن فاعلية الأدوية النباتية قد تختلف باختلاف موطنها الأصلي ، والتربة التي نمت فيها والماء الذي رويت به .

في عيادة مرض السكر ومرض البهاق

وزرنا بعد ذلك عيادة مرض السكر ، حيث اجتمعنا بالطبيب المعالج فيها الدكتور فهد عبدالله الغانم ، وهو أحد الأطباء العاملين في عيادة السكر المركزية في حي (النزهة) ، حيث يعالج المرضى بالأنسولين والدياميكرون والدلوانيل وغيرها من الأدوية الكيماوية المعروفة .

وحدثنا الدكتور فهد عن الازدواجية في معالجة مرضى السكر في مركز الطب الاسلامي ، فهو يعالجهم بالنباتات الطبية ، دون أن يوقف معالجتهم بالمركبات الكيماوية التي درجوا على تناولها ، ويواصل الطبيب وصف كلا العلاجين في آن معا ، حتى إذا انخفضت نسبة السكر في دم المريض انخفاضا ملحوظا عمد الطبيب إلى الحد من مقادير الأدوية الكيماوية التي يتناولها المريض ، وإلى زيادة مقادير الأدوية النباتية ، ويستمر في ذلك حتى يصبح في إمكان المريض الاستغناء عن الأدوية الكيماوية نهائيا .

ثم زرنا عيادة مرض البهاق ، واجتمعنا بالطبيب المعالج فيها الدكتور صالح سعد الجريوي ، رئيس



● جهاز تجفيف بالتبريد .



● جهاز تحليل كروماتو غرافيا الغاز .

وحدة الأمراض الجلدية في مستشفى (العدان) في الكويت ، فحدثنا عن مرض البرص ، وعن النباتات الطبية التي يعالج بها المرضى في مركز الطب الاسلامي فقال :

« مرض البهاق أو البرص مرض جلدي معروف ، يتميز بالبقع البيضاء التي تظهر على الجسم ، وعلى الوجه ، وتختلف هذه البقع شكلا وحجما ، ومع أن المرض ليس معديا إلا أنه قد يتسبب بمشاكل نفسية واجتماعية ، لا تخلو من خطورة ، ولا يعرف للبهاق أسباب محددة ، وإن كانت الصدمات النفسية والعصبية قد تسبب الاصابة به في كثير من الأحيان .

« والبهاق أنواع ، منه الوراثي ، ومنه المكتسب ، ومنه ما يحدث تبعا لتعرض الجسم لبعض المواد الكيماوية ، أو للاصابة بأمراض جلدية أخرى ، أو غير ذلك .

أما الأدوية التي نصفها لمعالجة البهاق في مركز الطب الاسلامي فكلها أدوية نباتية ، تحضر وتركب في المركز ، ومنها ما هو معد للاستعمال الموضعي ، ما يجري تناوله بالفم . وقد ثبتت فاعلية هذه الأدوية العلاجية ، وبخاصة في الحالات التي يقتصر البهاق فيها على بقع محدودة » .

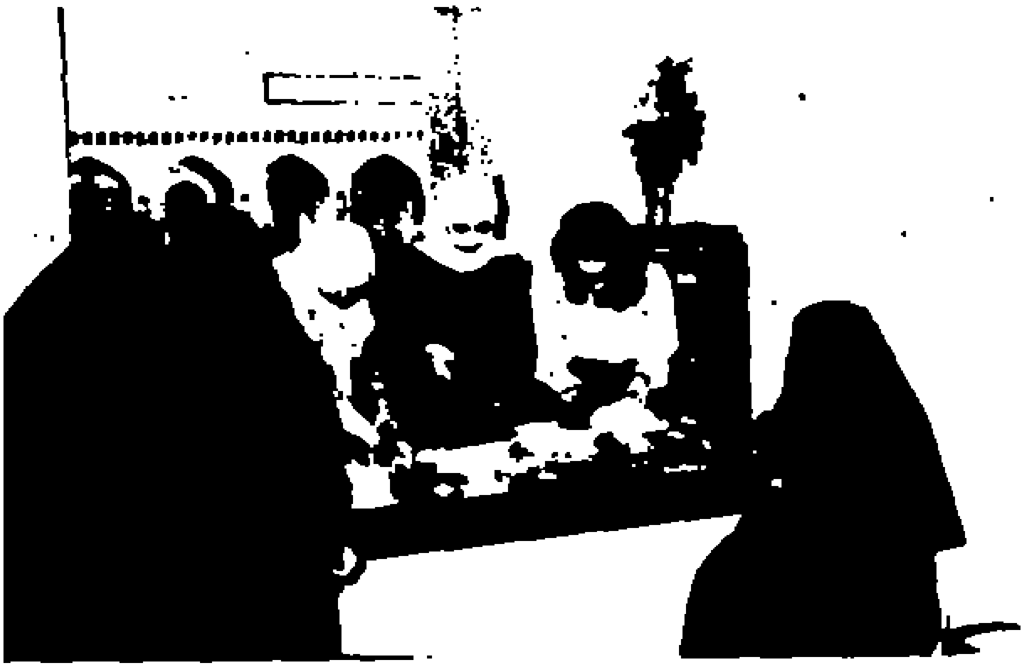
المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية :

المنجزات

واجتمعنا أخيراً بالدكتور علي سيف الأمين العام للمنظمة الاسلامية للعلوم الطبية التي يتولى رئاستها وزير الصحة العامة الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي . والدكتور أحمد رجائي الجندي أحمال أمينها العام المساعد والتي لولاهما لما قامت لمركز الطب الاسلامي قائمة . ولعل من حق قراء هذا الاستطلاع أن يلموا - ولو بإيجاز - بالمنجزات التي حققتها هذه المنظمة .

وتأتي المؤتمرات العالمية في طليعة تلك المنجزات ، وتعقد المنظمة الاسلامية هذه المؤتمرات في العواصم الاسلامية المختلفة ، وتدعو إليها نخبة من العلماء ، علماء الطب والفقه والتاريخ والعلوم الانسانية وغير ذلك . لالقاء المحاضرات في مواضيع عامة وحيوية

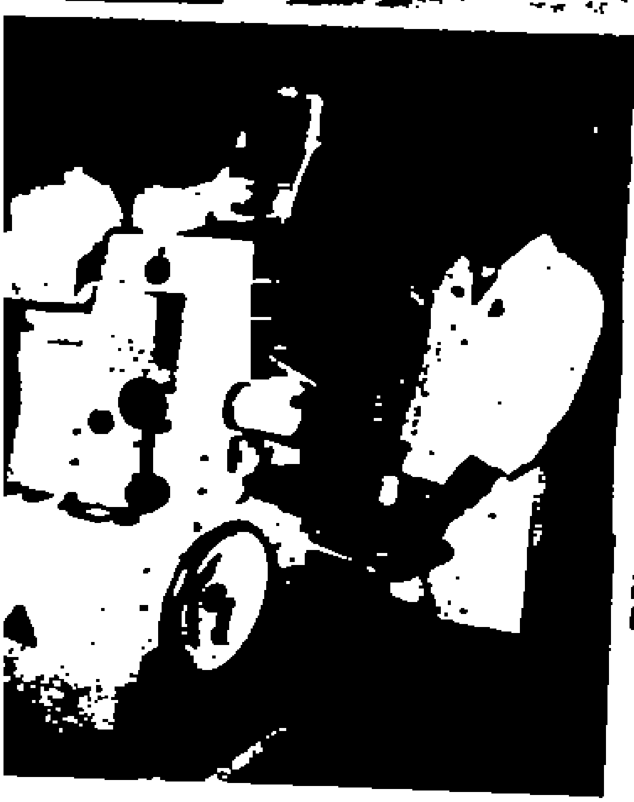






• عيادة الفحص والتشخيص أولى عيادات المركز، ومكتب تسجيل المرضى وفتح ملفات لهم، وإلحاق للمختبرات وإلى اليسار لوحة لأول صيدلية في أواخر القرن الثامن الميلادي ببغداد، أسسها عشية حرة. اختبار المتخصص الذي على أعداد مشرعة من .. تب، وبجانبها له تحضير الأقراص من النباتات، وطاقتها عشرون ألف قرص في الساعة







من مواضيع التراث الطبي الاسلامي . وتعقب المناقشات هذه المحاضرات . وتعقب هذه وتلك البحوث والدراسات .

وقد عقدت المنظمة أول تلك المؤتمرات في الكويت سنة ١٩٨١ . وعقدت ثانيها في الكويت أيضا في سنة ١٩٨٢ . أما المؤتمر الثالث فقد عقدته المنظمة في اسطنبول سنة ١٩٨٤ م . وعقدت المؤتمر الرابع الأخير في كراتشي سنة ١٩٨٦ م . وذلك بدعوة من الحكيم محمد سعيد رئيس مؤسسة همدرد في باكستان .

أما الندوات فغالبا ما تعقد في الكويت . ويدعى إليها علماء الدين والفقهاء والاسلاميون من جهة ، والأطباء والمفكرون من جهة ثانية . ذلك أن ما تسعى إليه هذه الندوات هو تحديد موقف الدين الحنيف من قضايا ومنجزات الطب الحديث .

ونضرب مثلا على ذلك بالندوة الأولى التي عقدت في الكويت في ٢٤ مايو (أيار) ١٩٨٣ التي أدت مناقشاتها إلى اتخاذ المواقف التالية :

١ - عدم تشجيع قيام بنوك الحليب البشري المختلط .

٢ - عدم جواز التحكم في جنس الجنين وذلك من وجهة نظر الشرع .

٣ - عدم التسرع في إبداء الرأي الشرعي في قضايا الاستنساخ بالنسبة إلى الانسان .

٤ - جواز أطفال الأنابيب والرحم الظئر في الشرع ولكن بشرط مراعاة الضمانات الكفيلة بمنع اختلاط الأنساب .

ونذكر على سبيل المثال أيضا الموضوع الذي تناولته الندوة الثانية التي عقدت في الكويت بتاريخ ١٥/ ١/ ١٩٨٥ . فقد ركزت على الحياة الانسانية ، وحددت بدايتها في مفهوم الشرع ، بالتحام الحيوان المنوي بالبويضة ، ليكونا البويضة الملقحة ، كما حددت نهايتها في المفهوم الشرعي أيضا بجمود مطلقة المخ التي تؤدي وظائف الحياة الأساسية ، وهو ما يعرف اصطلاحا بجذع المخ . فموت الانسان هو موت جذع مخه لا قلبه !

قسم الطبيب وقسم ابقراط

ونذكر من منجزات المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية منشوراتها وكتبها . وأول ما تجدر الاشارة إليه من هذه الكتب تلك التي تسجل وقائع المؤتمرات والمحاضرات التي تلقى فيها . ولعل هذه أقرب إلى الموسوعات منها إلى الكتب العادية . وقد أثرت المكتبة العربية والاسلامية . وحفلت بكثير من المواضيع التي كثيرا ما يبحث عنها الباحثون في المراجع العادية بلا طائل .

وقل مثل ذلك في كتاب « الحياة الانسانية . بدايتها ونهايتها » الذي يسجل مناقشات الندوة الثانية السالفة الذكر . والذي يقع في أكثر من ٦٥٠ صفحة . ونذكر من كتب المنظمة أيضا « قانون ضمان سلامة الأدوية النباتية » الذي يحدد الشروط والمتطلبات الخاصة بتسجيل الأدوية النباتية ومراقبتها وتداولها . والكتاب مطبوع في لغتين في آن واحد . للعربية منه (٨٠) صفحة . وللانكليزية منه (٦٤) صفحة . وقد تعاونت المنظمة الاسلامية مع منظمة الصحة العالمية (لشرق البحر المتوسط) في إعداد هذا القانون .

ونذكر من كتب المنظمة الاسلامية كذلك « المرشد الاسلامي في الفقه الطبي » بل الجزء الأول منه ، وموضوعه الجهاز الهضمي . بالاضافة إلى كتابين للدكتور حسان حتحوت . أستاذ الولادة وأمراض النساء بجامعة الكويت باللغة الانجليزية . وعنوان الأول « مسائل في الطب الاسلامي » . وعنوان الثاني « نظرات إسلامية في أمراض النساء والتوليد » .

ونأتي أخيرا إلى قَسَمْ الطبيب الذي وضعته المنظمة ، ليحل محل قسم أبقراط في عالمنا العربي والاسلامي على أقل تقدير . حيث ترى المنظمة أن قسم أبقراط المشبع بالأدعية الوثنية لم يعد لائقا بأطباء القرن العشرين عامة ، والمسلمين منهم بخاصة ،

ويتضمن القسم الجديد فيما يتضمن : « أقسم بالله العظيم ان أراقب الله في مهنتي ، وأن أصون حياة الانسان في كافة أدوارها ، وأن أحفظ للناس كرامتهم ، وأن أثابر على طلب العلم ، وأسخره لنفع الانسان لا أذاه ، الخ ... »

إطلالة على المستقبل

على أن للمنظمة الاسلامية من التطلعات والتوجهات الجادة ما لا يقل شأنا عما حققته من منجزات . ومن تلك التطلعات إنشاء جامعة لتدريس طبابة الأعشاب والتراث الطبي الاسلامي ، ولو ذكرنا ما في الصين والهند من معاهد وجامعات متخصصة في تدريس المعالجة بالنباتات الطبية ، وتدريس طب ابن سينا والرازي وغيرهما من أطباء السلف الصالح ، ولو ذكرنا أيضا إقبال دول عديدة في أفريقيا وأمريكا اللاتينية على إنشاء المعاهد والمختبرات العلمية المتخصصة في النباتات الطبية ، وذكرنا كذلك المدينة الجامعية ، مدينة الحكمة التي قررت إنشاءها مؤسسة همدرد في كراتشي ، لشعرنا بمدى أهمية مشروع الجامعة الذي أوصى به أحد مؤتمرات المنظمة الاسلامية .

ومن تلك التطلعات أيضا إنشاء شركة لتصنيع الأدوية الحديثة من النباتات الطبية ، وتجدر الاشارة هنا إلى إحدى شركات الأدوية في ألمانيا الغربية (شركة الدكتور مداوس وشركاه) ، فقد تخصصت هذه الشركة في صنع الأدوية الحديثة من الأعشاب والنباتات الطبية ، وحققت من النجاح ما جعلها في مصاف الشركات العشرين الأولى في صناعة الأدوية في ألمانيا ، بالرغم من حداثتها نسبيا ، وقد أنشئت سنة ١٩٤٠ ، ولكن أدوية هذه الشركة أحادية العنصر الفعال ، وهي أقرب في نظر بعض الأعشابيين إلى الأدوية الكيماوية الحديثة منها إلى المستحضرات النباتية التقليدية في المقررات والمركبات ، ولا ندري ان كانت الشركة الاسلامية المزمعة ستكون كالشركة الألمانية ، تصنع الأدوية النباتية ذات العنصر الفعّال الواحد ، أم أنها ستصنعها من خاماتها النباتية ، مبقية على العناصر العديدة المختلفة التي تحتويها تلك الخامات .

ونذكر من تطلعات المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية توجّهها إلى الاستثمار وشراء وحدات سكنية بقصد تأجيرها ووقف ريعها على الخدمات الطبية المجانية التي يقدمها مركز الطب الاسلامي . ولم لا ؟! فهذا هو ما فعله مؤسسة جائزة نوبل ، حتى أمكنها توزيع الجوائز التي بلغت قيمتها المادية أضعاف قيمة تركة نوبل الأصلية ، وهذا هو ما تفعله مؤسسة همدرد في باكستان والهند ، فقد نجحت شركة الأدوية النباتية التي استثمرتها المؤسسة في مطلع القرن العشرين ، وحققت أرباحا وفيرة ، وما لبثت أن اعتبرت هذه الأرباح وقفا خاصا للانفاق على خدماتها الطبية ، وأعمالها الخيرية .

ولعل المجلة التي تتطلع المنظمة إلى إصدارها هي التي تستأثر بالأولوية بين مختلف التطلعات ، وذلك بالنظر إلى الحاجة الحيوية الملحة التي تدعو إلى إصدارها في أقرب وقت ممكن ، فمجتمعنا العربي ما زال بحاجة إلى توعية وتبصير حول النباتات الطبية ، والتداوي بالأعشاب ، ناهيك عن الالمام بمنجزات التراث الطبي الاسلامي ، وبأمجاده ومفاخره ، ثم إن المستجدات في طبابة الأعشاب كثيرة ، ومتلاحقة ، ولا سبيل إلى مواكبتها إلا بمجلة شهرية أو نصف شهرية ، تصدرها المنظمة ، أضف إلى ذلك النهضة الطبية في الكويت ، والنهضة البيئية التي بدأت تتبلور أخيراً .

ومن يدري .. فقد تنتشر المجلة المرتقبة هنا وهناك ، فتنتشر الوعي الأعشابي لا في الكويت فحسب ولكن في شتى الأقطار العربية الشقيقة أيضاً ، بحيث لا يمضي زمن طويل حتى تظهر في مختلف أقطارنا مراكز للتداوي بالأعشاب على غرار مركز الطب الاسلامي في الكويت . □

عُمان
بلاد النخيل
والنارجيل


استطلاع : صادق علي

عرفت عمان الزراعة كإحدى الركائز الهامة والأساسية للاقتصاد العماني ، وما طريقة الري بالأفلاج التي ابتدعها الانسان هناك - تلك الطريقة الفريدة المتميزة في ري الأراضي الزراعية - الا دليل قاطع على أن الزراعة كانت ذات مكانة مرموقة في الاقتصاد العماني ، ومازالت كذلك .

من المعروف أن سلطنة عمان من أكثر مناطق شبه الجزيرة العربية اخضرارا ، ولعل موقعها الجغرافي وطبيعة أراضيها وسواحلها هي مؤهلاتها لبناء اقتصاد زراعي متطور ونام . يكون رافدا أساسيا في تنويع مصادر الدخل القومي ، بعيدا عن الاعتماد الكلي على النفط ، فهو مورد ناضب بلاشك مهما طال به الأمد . ولذلك انصب الاهتمام منذ بداية الحركة التصحيحية التي شهدتها عمان في عام ١٩٧٠ على قطاع الزراعة في خططها التنموية ، اذ بلغ اجمالي الانفاق في هذا المجال نحو ٤٥ مليون ريال عماني ، بالاضافة الى ٢٨ مليون ريال أنفقت لايجاد مصادر مياه جديدة ، وتطويرها ، الى جانب تحسين وسائل الري الحالية التي مازالت تعتمد - الى حد كبير - على نظام الري بالأفلاج التقليدية

أفلاج وسدود

ولما كانت مياه الري-وهي عصب الزراعة-قد وجدت قليلة بحكم موقع سلطنة عمان الجغرافي ، وندرة مياه الأمطار التي لاتتجاوز ١٥٠ ملم . في العام ، باستثناء جبال المنطقة الجنوبية التي تعد مراعي طبيعية تروى بالأمطار الموسمية خلال الفترة من يونيو الى سبتمبر سنويا ، لذلك اهتم المسؤولون في عمان بالبحث عن مصادر جديدة للمياه ، إما عن طريق استغلال المياه الجوفية او عن طريق بناء السدود ، وتطوير أقنية الري والأفلاج القائمة التي بناها العمانيون القدامى ، كنظام مميز للري ، يتلاءم مع طبيعة الأراضي الزراعية العمانية .

يحدثنا المهندس عبد العزيز بن سالم الحارثي عن الجهود التي تبذلها حكومة عمان للإستفادة من مصادر المياه الموجودة حاليا ، وعن المشروعات الجديدة التي هي قيد الانجاز قائلا . « لقد تم اصلاح مايزيد على ٣٠٠ فلج خلال السنتين الأخيرتين ، كما تم حفر ابار مياه جديدة ، يبلغ مجموعها ٥٢٤ بئرا . هذا فضلا عن اقامة مشروع سد وادي الخوض لحجز الأمطار ، وتخزينها قرب وادي سمايل . ومن المتوقع أن يوفر مشروع سد وادي الخوض نحو أربعة ملايين و ٦٨٠ ألف متر مكعب من المياه العذبة سنويا . ليسهم في توسيع الرقعة الزراعية ويعد وادي الخوض من أكبر الانجازات المائية الحديثة في سلطنة عمان ، حيث يبلغ طوله نحو ٤٩٠٠ متر ، أما ارتفاعه فيبلغ ثمانية أمتار ، في حين يبلغ سمكه ٥ أمتار ، وقد اختير موقع هذا السد في وادي سمايل ، لأنه من أكبر الأودية التي تفيض بكميات كبيرة من المياه عند سقوط الأمطار . ويضيف المهندس الحارثي قائلا ان الهدف من بناء السدود الذي توليه الحكومة عناية فائقة هو تنمية موارد مياه الري ، ثم المحافظة على مياه الأمطار التي تهدر سنويا في البحر أو في الصحراء ، والتي تقدر بحوالي ١٢٠ مليون متر مكعب ، كما يهدف الى تجنب زحف مياه البحر المالحة الى داخل الأراضي الزراعية الساحلية ، بسبب السحب المستمر للمياه الجوفية العذبة ، ثم ليصبح في الامكان توفير مياه الري للتوسع الزراعي المستقبلي ، كما يهدف مشروع بناء السدود أيضا الى الافادة من فيضانات الأودية عقب سقوط الأمطار ، والمحافظة عليها بتخزينها في طبقات الأرض السفلى ، ومن ثم زيادة المخزون الجوفي بتغذيته بالمياه .

ان بناء مثل هذه السدود في عرض الأودية يساعد على تقليل سرعة مياه الأمطار الجارية ، ومن ثم



● عمان بلاد النخيل والنارجيل

يساعد على تنظيم سير هذه المياه . وانتشارها فوق مساحات كبيرة خلف السدود . لاعطائها فرصة التسرب السريع تحت سطح الارض قبل وصولها الى البحر . وتبقى هذه السدود خاليا من الأتربة والحصى بعد دكها . وتجهز بفتحات خرسانية أو أنابيب معدنية لتنظيم المياه المحجوزة . بحيث تتسرب في الأراضي الخلفية . ويتابع المهندس الحارثي حديثه عن السدود قائلا : لقد أقيمت ثلاثة سدود . هي سد وادي الخوض بمنطقة السيب . ثم سد وادي حلفي صلاحي بولاية صحار . وأخيرا سد وادي سيفم بمنطقة وادي قريات بولاية بهلاء . كما أن هناك خطة هي الآن بصدد البحث والدراسة . لتنفيذ ثلاثة سدود أخرى . هي سد وادي الجزي بولاية صحار وسد وادي الفول بولاية الحمراء . وسد وادي تنوف بولاية نزوى

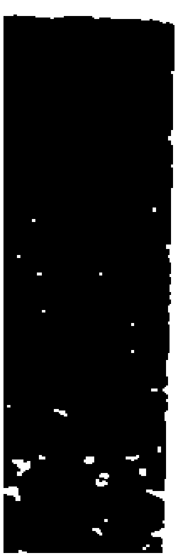
الري بالأفلاج

تعد الأفلاج من المصادر الرئيسية لمياه الري في سلطنة عمان . والري بالفلج طريقة فريدة ، اشتهرت بها عمان منذ القدم ، بل اننا لانبالغ اذا قلنا أن حياة الانسان العماني ارتبطت بالأفلاج . فمنها يشرب ، ومنها يزرع ويعيش .

يوجد في عمان مايقرب من ٤٠٠٠ فلج ، تجري فيها المياه . وتختلف أطوال هذه الافلاج تبعا لقوة تدفق المياه ، وطبيعة المنطقة التي يمر بها الفلج ، اذ يصل أدنى طول الى نحو ١٠٠ متر . أما أقصى طول لمجرى الفلج فقد يزيد عن ١٢ كيلومترا وتنقسم الأفلاج من حيث طبيعة المنشأ وجريان المياه الى نوعين ، أولها أفلاج عميقة تحت سطح الأرض ، وهذه تستمد مياهها من المخزون الجوفي مباشرة ، حيث يكون للفلج جزء جامع للمياه تحت منسوب









● ـ د ميخة [illegible]



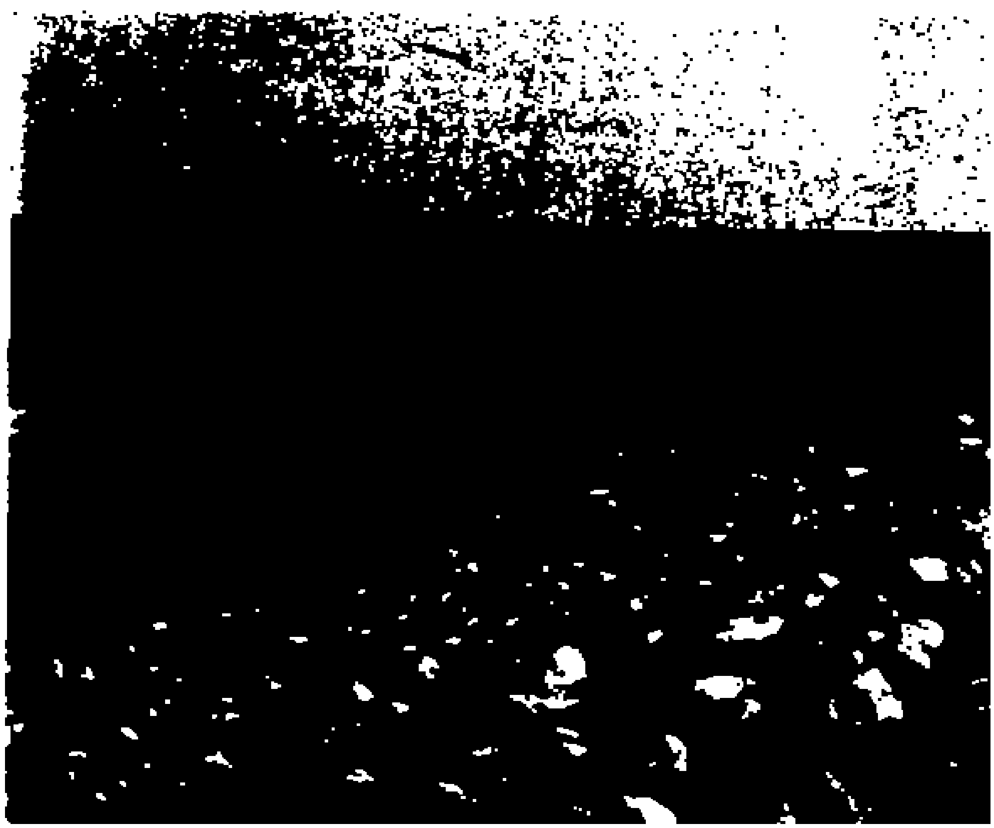
● ـ [illegible]



● ـ الاهمية
باختيار الشتلات
العالية الجودة



● ـ هنا تثبت المرأة العمانية أنها شريكة في العمل بتعليب التمور في مصنعي الرستاق ونزوى



● ـ إقامة السدود في الأودية للحفاظ على مياه الأمطار إحدى الوسائل المتبعة للاستفادة من مياه الأمطار.

المياه الجوفية ، وجزء للمجرى فوق المياه الجوفية ، أو مايسمى ناقل المياه . أما بقية مجرى الفلج فيقع فوق سطح الأرض ، ومع وجود فتحات رأسية تستخدم في حالات التنظيف والصيانة ، وهذا النوع من الأفلاج يمثل ٨٠٪ من عددها الأجمالي ، أما النوع الثاني فيعرف بالافلاج الغيلية أو السطحية ، وتستمد مياهها من المصادر السطحية ، مثل الينابيع والبرك الناتجة عن الأمطار . ولايزيد عمق هذه الأفلاج عن أربعة أمتار . يحدثنا عامر سعيد الحسني المسؤول عن الثروة المائية قائلا : لقد وضعت الحكومة خطة خمسية ، انتهت في عام ١٩٨٥ ، واستهدفت صيانة ٣٠٠٠ فلج وتدريب الأهالي على استخدام مواد البناء الحديثة ، مثل الخرسانة والمواد الاسمنتية العازلة للرشح ، وذلك بغرض زيادة عمر الأفلاج . كما اشتملت الخطة هذه على انشاء حجرات للتحكم في نهايات بعض الافلاج لحجز المياه الزائدة عن الحاجة عند الري ، كما اشتملت الخطة الخمسية السالفة الذكر على صيانة الأبار القديمة التي انهارت جدرانها بسبب القدم ، أو بفعل فيضان الأودية ، لضمان حصول المزارع في المناطق المختلفة على كفايته من المياه اللازمة للري ، وللأغراض المعيشية الأخرى .

ومن المعروف أن الأبار تمثل احدى وسائل الري التقليدية التي تعتمد عليها معظم المزارع الواقعة في منطقة الباطنة وسهل صلالة بالمنطقة الجنوبية . أو المزارع البعيدة عن الأفلاج في المناطق الداخلية ، وتعد الأبار المفتوحة المحفورة يدويا هي السمة الغالبة على نوعيةّ الأبار المنتشرة في السلطنة وتكون مياهها قريبة من سطح الأرض ، وتستخدم فيها مضخات لرفع المياه ، والأبار الارتوازية التي مازالت محدودة العدد ولاتوجد الا في بعض المزارع الحديثة ، وتساهم وزارة الزراعة والأسماك في نشرها عن طريق القروض التي تقدمها للمزارعين ، وبالاضافة الى ذلك هناك عدة عيون للمياه الطبيعية في كثير من مناطق السلطنة ، يستغل بعضها استغلالا جيدا في الزراعة ، مثل عين ارزات بالمنطقة الجنوبية ، وعين صحنوت ، وعين جرزيز التي تم تطويرها لتوفير المياه اللازمة لزراعة مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية ، علما بأن مشروع تحسين وسائل الري هذه يكلف ميزانية الدولة حوالي ١٦ مليون ريال عماني

تمور النخيل

اعتمد الشعب العماني منذ القدم على المحاصيل الزراعية في كسب عيشه ، والزراعة سمة بارزة في حياة الانسان العماني ، فقد كان نصف هذا الشعب يمتهن الزراعة الى سنوات قليلة خلت ، قبل اكتشاف النفط ، وتجود أرض عمان بعدد كبير متنوع من المحاصيل الزراعية ، ويأتي النخيل وثمارها من التمور في المرتبة الأولى لهذه الحاصلات الزراعية ، فالتمور لم تفقد أهميتها عبر الزمن ، بل تضاعفت قيمتها ، وتظهر أهمية النخيل فيما توفر من غذاء ، ودخل ، وظل ، فضلا عن صدها الرياح فهي تشغل مساحة تقدر بحوالي ٣٠ الف هكتار ، وتصل أعدادها الى نحو ثمانية ملايين نخلة تقريبا ، تتناثر في أنحاء السلطنة . ويصل متوسط انتاج النخلة الواحدة مابين ٥٠ الى ١٠٠ كيلو جرام من التمور في السنة ، أما متوسط انتاج الهكتار الواحد فيبلغ نحو ١٠ أطنان ، وهناك أكثر من ٣٠ نوعا من التمور ، أشهرها الهلالي ، والخلاص ، والخصاب ، والخنيزي ، والمدلوكي ، والمبسلي ، ويعد الخلاص والخصاب والخنيزي من أجود الانواع التي تؤكل طازجة ، أما التمور فتنتج أفضل انواعها من الخلاص والفرض ، ويشتد الطلب عليه من الدول الغربية حيث يدخل في صناعة « البسكويت » ، كما يستخدم كحلوى ، أما المبسلي فيجفف ، ويصدر الى الهند على وجه الخصوص .

وتستأثر منطقتا العاصمة والباطنة بأكبر عدد من أشجار النخيل ، حيث تصل النسبة فيهما الى ٥٠٪ تقريبا من اجمالي عدد أشجار النخيل في عمان ، كما

تستأثران بأكبر مساحة من اجمالي المساحة المزروعة بالنخيل . وفي نفس الوقت فان منطقة العاصمة والباطنة تستأثران أيضا بأكبر نسبة من اجمالي الأشجار المنتجة في عمان تليهي منطقتا جعلان والشرقية اللتان تستأثران بحوالي ١٢٪ من اجمالي عدد أشجار النخيل . وبحوالي ١٣٪ من المساحة المزروعة . والتي تصل نسبة أشجارها المنتجة الى نحو ١٣٪ من اجمالي الأشجار التي تنتج ثمرا في عمان . ثم تأتي المناطق الأخرى بالدرجة الثالثة وبنسب متفاوتة

شكوى الأهالي

كانت لنا زيارة لاحدى مزارع النخيل في منطقة السيب . قرب العاصمة مسقط . وهي مزرعة اهلية . يملكها السيد عبد الكريم محمد سالم فسألناه عن المشاكل التي تواجه زراعة النخيل في البلاد . فأجابنا قائلا : ان أولى هذه المشاكل هي ايجاد العامل الزراعي . فقد ترك الفلاحون الأرض . وذهبوا يبحثون عن أعمال تعود عليهم اموالا أكثر . مع اننا لا نبخس هؤلاء المزارعين حقهم . فقد يصل ايجار العامل يوميا الى ثمانية أو عشرة ريالات . ولكنهم هجروا الزراعة . كما نطالب وزارة الزراعة والأسماك بمساعدتنا لاستيراد بعض الأجهزة الحديثة . مثل أجهزة التلقيح . وقطف الثمار . فقد سمعنا أن اخواننا في المملكة العربية السعودية استخدموا بعض هذه الالات . وقد قمنا بعرض الشكوى على السيد محمد رضا حسن مدير عام الزراعة بوزارة الزراعة والأسماك العمانية فأجابنا قائلا : ان استخدام الالات الحديثة في تلقيح الثمار وقطفهايحتاج الى أن تكون بساتين النخيل واسعة . وأن تكون هناك مسافات لاتقل عن عشرة أمتار بين النخلة والأخرى . حتى تتمكن الآلة من أداء عملها على أحسن وجه . ولما كانت مزارع النخيل في بلادنا مزدحمة بالأشجار . ولاتوجد مسافة كافية بين النخلة والأخرى . فإن هذه الآلات لن تفيدنا في شيء .

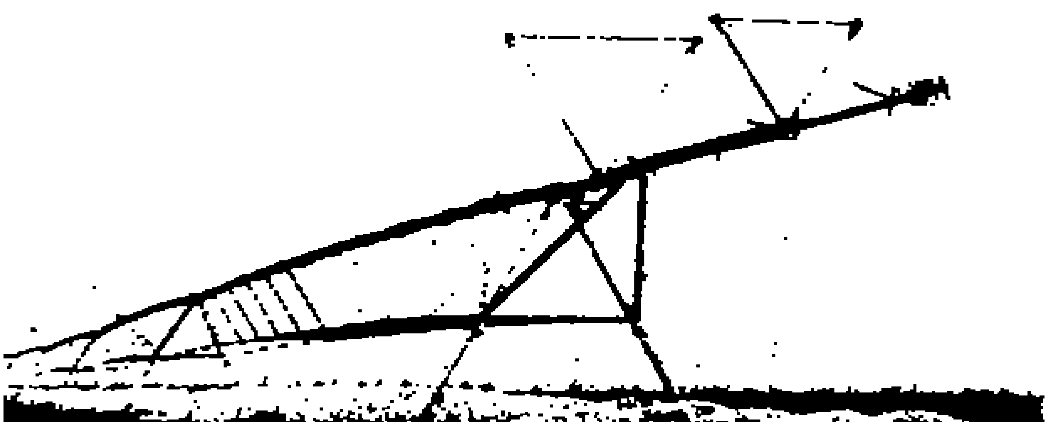
ونأمل من اخواننا أصحاب مزارع النخيل أن يراعوا في المستقبل الطرق الحديثة في زراعة النخيل . أما عن أجهزة التلقيح فإننا بصدد جلب بعضها خدمة للمزارعين . ومع ذلك أقولها بصراحة ان النخلة لاتستغني عن خدمات الانسان بأي حال من الأحوال

مصانع التمور

ونظرا للكميات الكبيرة التي تنتجها أشجار النخيل من تمور متنوعة . تفيض عن حاجة المستهلك المحلي . فقد أقيم مصنعان في كل من مدينة نزوى والرستاق . وهذان المصنعان هما باكورة مشاريع تصنيع المواد الزراعية التي نعد نحو من اهم مجالات التنمية . نظرا لمساهمتها في المحافظة على الانتاج الزراعي . وللفائدة التي تعود على كل من المزارع والمستهلك والاقتصاد القومي جميعا . لقد بدأ العمل في انشاء هذين المصنعين في عام ١٩٧٤ . وتم افتتاحهما في نهاية عام ١٩٧٥ . وأعقبت ذلك فترة تدريب لعمال المصنعين وعاملاتها . يقول الاستاذ محمد رضا حسن مدير عام الزراعة . لقد أحدث افتتاح المصنعين المذكورين تغيرات اجتماعية في المناطق المحيطة بها . حيث التحق بالعمل عدد من العاملات لأول مرة في تاريخ عمان . وهذا شيء نعتز به ونفخر » .

يقوم المصنع بتخزين التمور في غرف مبردة . حتى يتم تسويقها . أو تصنيعها . وتصل طاقة التخزين في كل مصنع الى ١٠٠ طن . وفي هذين المصنعين خطوط الية . تقوم بنزع النوى . كما تحتوي على اجهزة لتعبئة التمور . وتغليفها اليا . وذلك للاحالة الاحتياجات المحلية والخارجية وتلبيتها . وفي السنوات الأخيرة أدخلت على هذين المصنعين تعديلات وتوسيعات كثيرة . فقد تم تكييف المصنعين . مما ساعد على رفع كفاءة العمل بصورة ملحوظة . وقد بلغت التكلفة الاجمالية







لتحديث مصنعي نزوى والرستاق وتطويرهما حوالي مليون ريال عماني

النارجيل

والنارجيل أو جوز الهند كما يعرف في معظم أقطارنا العربية من المحاصيل الزراعية التي تجود بها أرض السلطنة . والنوع الطويل من أشجار النارجيل هو الشائع الغالب في عمان . وقد تم في السنوات الأخيرة ادخال النوع المختلط الذي يجمع بين أشجار النارجيل الطويلة والأشجار القصيرة وهو نوع يعطي ثمره بعد ثلاثة اعوام فقط من استنباته . مقارنة بالنوع الطويل الذي يعطي ثماره بعد حوالي سبعة أعوام أو أكثر . ونصل جملة أشجار النارجيل في عمان الى نحو ١٥٠ ألف شجرة تقريبا . تستأثر المنطقة الجنوبية - وخاصة مدينة صلالة - بأكبر عدد منها . وذلك لملائمة مناخها المعتدل لهذا النوع من الأشجار . وبسبب هطول الأمطار الموسمية التي تسقط عليها . وفي احصائية أصدرتها وزارة الزراعة والأسماك في عمان يتضح أن عدد أشجار النارجيل في المنطقة الجنوبية قد بلغ نحو ١١٠ الاف شجرة . منها نحو مائة ألف شجرة منتجة . أما الحيازات التي تزرع بها أشجار النارجيل فتبلغ نحو ٧٩٢ حيازة . تمثل ٤٣٪ من عدد الحيازات الزراعية بمنطقة صلالة . كما تستأثر المنطقة الجنوبية بمعظم المساحة المزروعة بأشجار النارجيل التي تصل نسبتها الى ٩٨.٧٪ من اجمالي المساحة المزروعة بأشجار النارجيل في عمان ثم تأتي منطقة الباطنة والعاصمة بفارق شاسع بعد صلالة في زراعة أشجار النارجيل . ولايتعدى عددها أكثر من ألف شجرة . ونظرا لجمال أشجار النارجيل وخضرتها الدائمة فقد قامت بلدية مسقط ومطرح وبعض الضواحي القريبة منها بتزيين شوارعها الرئيسية بأعداد من هذه الأشجار . لتضفي على تلك الشوارع جمالا ورونقا .

مانجو وموز

ومن المحاصيل الزراعية الجيدة الانتاج في عمان « المانجو » . ويطلقون عليها اسم « الهمبا » . وقد أدخلت هذه الفاكهة الى عمان منذ مايقرب من قرن من الزمان . وقد نجحت زراعتها في منطقتي الباطنة والشرقية . ومن المعروف أن شجرة « المانجو » تحتاج في الغالب الى ٥ سنوات . حتى تبدأ الانتاج . وتستمر منتجة مدة قد تصل الى سبعين سنة شأنها في ذلك شأن النخلة . ولاتزرع أشجار « المانجو » وحدها . بل تزرع متداخلة مع محاصيل أخرى . ويمكن لأشجار « المانجو » أن تنمو في أي تربة ماعدا المناطق المجاورة للبحر . كما تحتاج هذه الأشجار الى ري منتظم في بداية زراعتها . لكن احتياجها للمياه يقل بعد اكتمال نموها . ويقدر انتاج الهكتار الواحد في المتوسط بحوالي [illegible] .

والنوع المسمى « الزعفران » هو المعروف محليا في عمان . وقد أدخلت أنواع أخرى من « المانجو » حديثا . منها « الفونسو » . و « لانجرا » و « سيندري » . وبنجلورا . وتستأثر منطقة الباطنة والعاصمة بحوالي ٨٩٪ من اجمالي المساحة المزروعة بالمانجو . وتبلغ نحو ٢٩٣٠ هكتارا تقريبا وهي تمثل ٨٢٪ من الأشجار المنتجة . كما تعتبر منطقة الظاهرة من أفضل المناطق من الناحية الانتاجية . ثم تليها منطقتا الباطنة والعاصمة .

أما الموز فهو أيضا من المحاصيل التي دخلت عمان حديثا . والصنفان المعروفان في عمان من أشجاره هما الطويل والقصير . وينتشر الصنف الطويل في شمال عمان . وهو يتكون من نوعين أيضا يطلق عليهما الفرد والنيل . أما الصنف القصير فيطلق عليه اسم مالندي . وتجود زراعته في منطقة الباطنة . وعمان الداخل . كما تنتشر زراعة النوع القصير في منطقة صلالة . ويشتهر النوع القصير بحلاوته الفائقة . وفي احدى المزارع التجريبية في منطقة

الرميس سألنا المدير المسؤول عن المزرعة حول امكانية ادخال بعض الأصناف الجديدة من الموز . من بعض البلدان المشهورة بانتاجه . مثل الفلبين . وهندوراس . والصومال . فأجابنا قائلا : لاتخفى أن نوع التربة في السلطنة يختلف عن نوع تربة تلك البلدان . فتربة السلطنة يغلب عليها الطابع الرملي . لذلك لم تنجح التجارب التي أجريناها على الأصناف المستوردة من الفلبين وهندوراس وربما تنجح مستقبلا في تجاربنا على الموز الصومالي . لأن هناك بعض التشابه بين تربة بلادنا وتربة الصومال .

ويقدر متوسط انتاج الهكتار من الموز في السلطنة بحوالي ٨ أطنان . اما المساحة المزروعة بأشجار الموز فتبلغ نحو ألفي هكتار . ولما كانت انتاجية المنطقة الجنوبية ـ خاصة مدينة صلالة ـ من محصول الموز جيدة . نظرا لمساعدة عاملي المناخ والتربة . حيث يساعدان على نمو أشجار الموز بكثافة . فقد بدأ في هذه المنطقة مشروع تنمية محصول الموز وتطويره ويهدف المشروع الى تسويق الموز المحلي . وتغطية الاحتياجات الاستهلاكية . وقد أقيمت محطة لاستقبال الموز . وانضاجه . وتعبئته . بطاقة تتراوح بين عشرة الاف الى ١٥ ألف طن سنويا . بالاضافة الى انشاء مخازن مبردة . وايجاد شاحنات مبردة لنقل الانتاج للمناطق المختلفة من السلطنة

« اللومي »

وتشتهر عمان بزراعة « اللومي » . المعروف بشدة حموضته بالنسبة لليمون العادي المعروف بالأضاليا الذي يزرع في معظم أقطارنا العربية . وهذا « اللومي » يشبه الى حد كبير ليمون بنزهير المعروف في مصر . وقد نالت مدينة صحار في عمان شهرة فائقة في منطقة الخليج والهند وبعض البلاد في أفريقيا بانتاجها هذا النوع من الليمون . فله سوق رائجة كبيرة . خاصة في الهند وأقطار الخليج العربي . حيث يصدر اليها مجففا . فيضاف الى الأطعمة . كنوع من البهار . يضفي على الطعام رائحة زكية ويستخدم كشراب بدلا من الشاي في معظم أقطار الخليج والعراق . أو يعصر ويحفظ في زجاجات للاستعمال اليومي . ويحتل اللومي المجفف مركزا بين الصادرات غير النفطية في عمان . فقد جاء في المرتبة الأولى في عام ١٩٧٩ . ومن المعروف أن فترة نضوج اللومي تتراوح بين ١٥ و١٨ شهرا . وتشير التقديرات بأن في عمان نحو مليون شجرة منه . أما المساحة المزروعة بأشجاره فتبلغ نحو ٢٢٥٠ هكتارا . ويقدر انتاج الهكتار الواحد بنحو ٥ أطنان من اللومي الطازج . وتستأثر منطقتا العاصمة والباطنة بحوالي ٦٥٪ من اجمالي المساحة المزروعة بأشجاره . وتأتي منطقة الحجر العربي والحجر الشرقي في المرتبة الثانية في الانتاج . اما منطقتا صلالة ... فهما من المناطق القليلة الانتاج من هذا المحصول

وهناك مساحات متفرقة في عديد من المناطق لزراعة الحمضيات الأخرى . مثل البرتقال والليمون والسفرجل والرمان . وقد أولى المسؤولون عناية خاصة بزراعة الخضروات . فتصل المساحة التي تزرع بالخضروات نحو ٢٢٠٠ هكتار . وتعد منطقة العاصمة والباطنة من أكبر المناطق . من حيث المساحة المزروعة بالخضروات . تليها منطقة عمان الداخل . ثم المنطقة الجنوبية . ومنطقة الظاهرة ومن أهم الخضروات التي تزرعها عمان البصل والثوم والطماطم والفجل والفلفل . وغيرها من أصناف الخضروات الأخرى التي أدخلت حديثا

اهتمام بأساليب الزراعة الحديثة

اهتم المسؤولون في السلطنة بأساليب الزراعة الحديثة التي تجمع بين التطور العلمي والتقني الحديثين وبين طبيعة البيئة العمانية مثل توجيه المزارعين لاعتماد أسلوب التسميد بالرش بدلا من استخدامه في التربة . مما يساعد على زيادة نمو النباتات وحجم الثمار . وقد توسع الارشاد







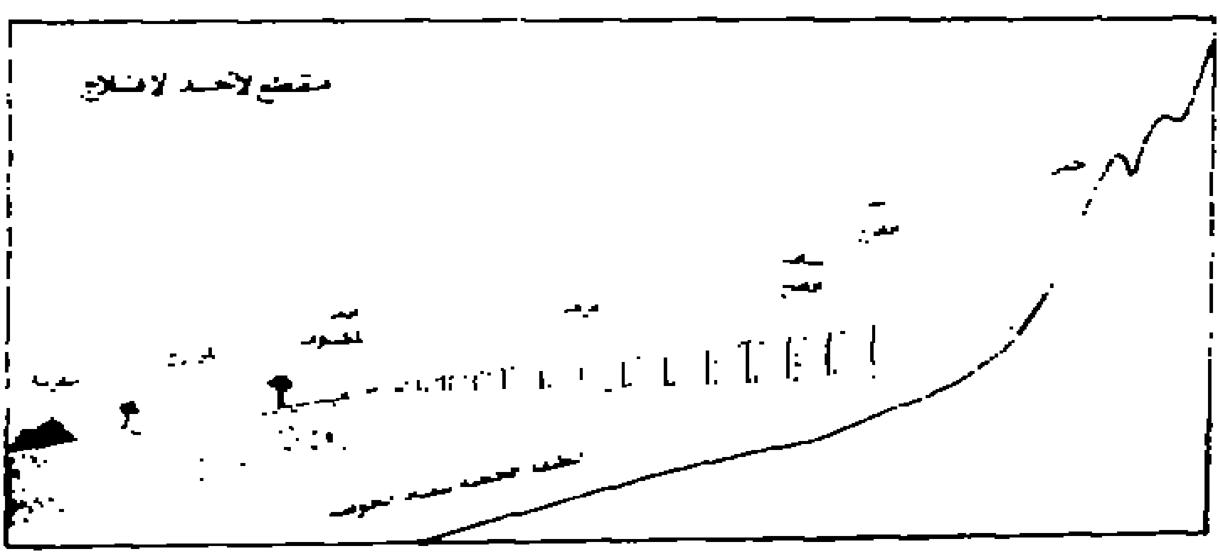
● تحتل عمان ساحلا
طوله نحو ١٧٠٠ كم ،
فلا غرابة أن تكون
حرفة صيد الأسماك
من المهن التقليدية
للإنسان العماني ،
ولذلك أبرمت حكومة
عمان اتفاقيات مع
شركات للصيد
متخصصة ،
لتنمية هذه الثروة



الزراعي في استخدام منشطات النمو، وتدريب المزارعين على زراعة المحاصيل الزراعية التي تم ادخالها الى السلطنة، مثل البطاطس والكرنب والزهرة والقلقاس وغيرها. كما اهتم أيضا في توجيه المزارعين لاعتماد أسلوب استخدام الأسمدة المركبة، الى جانب الأسمدة العضوية. والتوسع في توفير الحراثة الآلية في مختلف المناطق، واستخدام احدث ما توصلت اليه التقنية الحديثة في مكافحة الآفات الزراعية، كما أبدى المسؤولون بالسلطنة اهتماما كبيرا في اقامة المزارع التجريبية، ومراكز الأبحاث الزراعية، حيث يبلغ عددها ٢٤ مركزا ارشاديا و١٢ محطة ابحاث، تقوم باجراء ابحاث زراعية على المحاصيل، بالاضافة الى تجارب الأشتال والتقاوي على المزارعين بالمجان، او بأسعار رمزية. والى جانب ذلك تم تطوير مصانع التمور والتمور في كل من مدينة ارمضاء(؟) ونزوى. وكذلك مصنع تعبئة التمور في صلالة. وقد بدأ المسؤولون تشجيع القطاع الخاص، لزيادة مشاركته في المشاريع الزراعية. فهناك مشروع مزارع النخيل الأهلية التي تعد بحق من أكبر مزارع عمان النموذجية الحديثة. كما يقوم بنك عمان للزراعة والأسماك بتقديم القروض الزراعية لمساعدة المزارعين في تنمية وتطوير منتجاتهم وأراضيهم الزراعية.

ثروة سمكية

تشتهر سلطنة عمان بموقع جغرافي فريد. فسواحلها طويلة تطل على خليج عمان والمحيط الهندي، اذ يبلغ طول سواحلها نحو ١٧٠٠ كيلو متر، فلا غرابة اذن أن تكون حرفة صيد السمك مهنة تقليدية، توارثتها الأجيال منذ فجر تاريخ هذه السلطنة. يحدثنا الأستاذ محمد رضا حسن عن هذه الثروة قائلا: «لقد اثبتت الدراسات التي أجراها خبراء من انجلترا واليابان وجود كميات هائلة من الاسماك في المياه العمانية. وكان الهدف من هذه الدراسات توجيه الاهتمام الى أهم مجموعة من هذه الاسماك، وهي اسماك الأعماق، حيث يصل انتاجها الى ما يزيد على ٣٠٠ الف طن سنويا، بالاضافة الى انتاج مليون ونصف مليون طن من سمك السردين، ونحو ٦٠ الف طن من سمك التونة». ويضيف الأستاذ محمد رضا حسن: «وقد تضمنت الخطة بالاضافة الى الدراسات البنية انشاء وحدات تبريد، ومصانع ثلج، في مناطق صيد الاسماك، ومناطق التسويق، والعناية بنقل الاسماك بالشاحنات مبردة من مناطق الصيد الى الأسواق، وتوفير القوارب والمعدات الصغيرة والشباك للصيادين التقليديين، وانشاء أرصفة



ومراسي لقوارب الصيد . الى تنمية مصايد الأنواع الخاصة من الثروة السمكية . كالصدفيات التي تجد سوقا رائجة في بلدان أوروبا . كما تضمنت الخطة انشاء شركات صيد حديثة لأعالي البحار .

شركات صيد متخصصة

لقد اتفقت وزارة الزراعة والأسماك بموجب هذه الخطة مع شركتين يابانيتين متخصصتين بصيد الأسماك على القيام بالصيد في مساحة معينة نحو ٠٠٠ كيلومتر من الساحل العماني . تتحمل الشركتان التكاليف التي تستلزمها عملية الصيد . والتي تقتصر على مجموعة أسماك الأعماق . وبموجب هذا الاتفاق تحصل حكومة السلطنة على ٤٠ من الكميات التي يجري اصطيادها من السمك . وتقوم الشركتان بالاضافة الى ذلك بتدريب عشرة من العمانيين على كل سفينة من سفن الصيد التي تستخدمها في منطقة امتيازها . وكذلك تدريب ستة آخرين في المركز الاقليمي لصيد الأسماك بالكويت . كمساعدين لربابنة سفن الصيد . ومهندسين بحريين . وقد التزمت الشركتان . فضلا عن كل ذلك . بشراء فائض حصة الحكومة العمانية من السمك . وحصلت شركة أخرى هي شركة الأسماك الكورية لما وراء البحار على امتياز في مياه ساحل طوله نحو ٦٠ ميلا بحريا . تقوم بتحمل تكاليف عملية الصيد فيه . وتحصل على ٧٠٪ من كميات السمك التي يجري اصطيادها مقدمة للحكومة العمانية السنة الماضية . كما ابرمت الحكومة العمانية اتفاقا مع شركة نيوزيلندية متخصصة بصيد الأسماك . قامت بتنفيذ [illegible] [illegible] في منطقة [illegible] [illegible] [illegible] ثلاثة ملايين [illegible] [illegible] عن هذا المشروع [illegible] مشروع [illegible] لاستغلال الثروة السمكية . يحتوي هذا المشروع على برادات تخزين بطاقة تصل الى ١٠٠٠ طن من الأسماك . وغرفة تجميد بطاقة ١٠ اطنان يوميا . ثم معمل للثلج . طاقته تصل الى ٥٠ طنا يوميا . كما تضمن الاتفاق قيام الشركة النيوزيلندية ببناء المنشآت اللازمة على الشاطىء . مثل الأرصفة والمراسي . كما تولت الشركة المذكورة بناء مجمع آخر للانتاج السمكي في مدينة صلالة . يحتوي على برادات تخزين . سعتها ١٥٠ طنا . ومعمل للثلج . بطاقة ١٥ طنا يوميا . كما أقيمت مجمعات أخرى للانتاج السمكي . بهدف تخزين كميات كبيرة من فائض الصيد . لتوزيعها وتسويقها فيما بعد.

وحول اهتمام الحكومة العمانية بتشجيع القطاع الخاص . وانماء الثروة السمكية الهائلة في عمان قال الاستاذ محمد رضا حسن : لقد قمنا في عام ١٩٨٠ بانشاء شركة الاسماك الوطنية العمانية . لتشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في صناعة الأسماك بالسلطنة . برأسمال قدره مليون ريال عماني . يبلغ نصيب هذا القطاع فيه نحو ٨٠ . مع ضمان حق صغار الصيادين في ٢٠ من راس المال . وبالاضافة الى ذلك تمت بانشاء صندوق تشجيع صائدي الأسماك الذي يتيح للصيادين الحصول على اعانات . لشراء القوارب والآلات ومعدات الصيد الأخرى . وتصل هذه الاعانات الى ثلثي قيمة المعدات . واتاحة الفرصة للصيادين بتقسيط الثلث الباقي على أقساط شهرية مريحة . ومما يجدر ذكره هنا أن بنك عمان للزراعة والأسماك الذي يبلغ رأسماله ١٩ مليون ريال عماني يقوم بتقديم تسهيلات ائتمانية للصيادين والمزارعين . ويضيف الاستاذ محمد رضا حسن قائلا : لايخفى أن كميات الأسماك التي يتم صيدها في الوقت الحالي . والتي تتراوح مابين ٦٠ الى ٧٠ الف طن سنويا . تعتبر جزءا صغيرا مما هو موجود في المياه العمانية وسواحلها الطويلة . حيث أن اعمال المسح تؤكد امكانية انتاج مايقرب من ٣٠٠ ألف طن سنويا من أسماك القاع . بالاضافة الى انه بالامكان صيد حوالي ٤٥ طنا أخرى من الربيان والجمبري سنويا . □

يصدر في ١٥ أكتوبر ١٩٨٧

كتاب العربي

السابع عشر

خطاب إلى العقل العربي

بقلم

الدكتور فؤاد زكريا

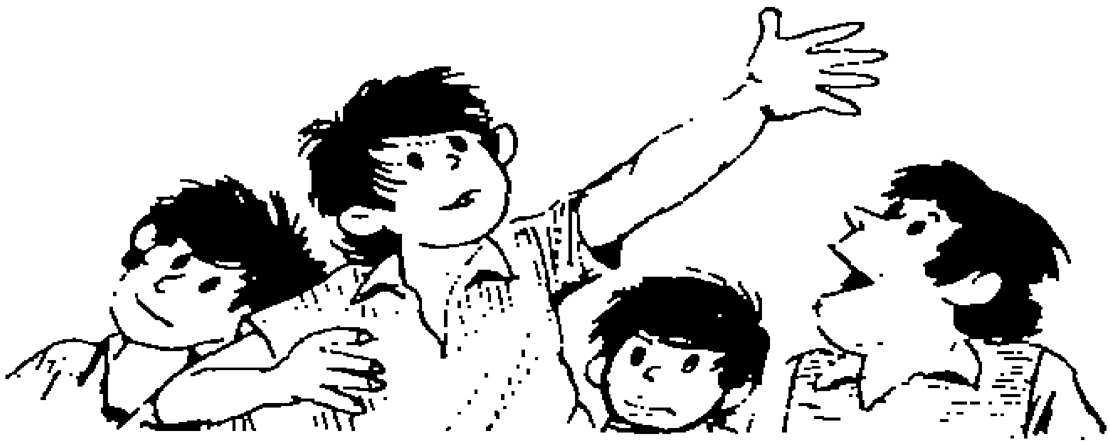
كتاب العربي مرآة العقل العربي

مجلة الاسرة والمجتمع

حدة الطبع وعنف المزاج عند الطفل !

أمهات للإيجار





حدة الطبع وعنف المزاج عند الطفل

بقلم : الدكتور محمد صادق زلزلة

« قد لا يربط كثيرون بين طرق معاملة الطفل وتربيته وبين سلوكه . وبدون أن ندري قد نساهم بذلك في إكساب الطفل عادات وسلوكيات يصعب التخلص منها مع الزمن » . .

تظهر عند بعض الأطفال - فيما بين الشهر الخامس عشر والسنة الثالثة من العمر - بعض التصرفات العنيفة والشرسة ، حيث يقوم الطفل ببعض الأعمال العنيفة المخربة . كرمي الصحون على الأرض وكسرها ، وإتلاف بعض ما يقع في يده من أشياء صغيرة كاللعبة ، والكتب ، وما أشبه ، أو أن يضرب الباب بيده ، أو يرفس الأثاث برجله . وما إلى ذلك من أعمال تتصف بالعنف والشدة والشراسة . وقد تقوم الأم بمعاقبة طفلها على حدة طبعه وشراسته ، لتمنعه من التمادي فيها ، أو تكرارها في المستقبل . لكنه لا يلبث أن يعود اليها مرة أخرى . غير خائف ولا وجل !

ما هي أسباب حدة الطبع عند الطفل ؟

في بعض أدوار الطفولة ـ وهو الدور الذي يمر به الطفل من دور الطفولة الهادئة الناعمة ـ الى دور الوعي ـ والاستقلال ـ والتحدي ـ يبدأ تبلور شخصية الطفل ـ وظهور ما يسمى « الأنا » عنده ـ و « الأنا » هي الشعور الواعي للنفس ـ حيث ينظر إلى نفسه وكأن له شخصية متكاملة ـ لها رغباتها ـ ومتطلباتها ـ وتكون حدة الطبع في هذا الدور أمرا سويا ـ يظهر ـ غالبا ـ عند الأطفال جميعا بدرجات متفاوتة ـ يعبر بها الطفل عن شخصيته ـ ويعلن بها عن وجودها ـ ويفرضها على المحيطين به كالوالدين والأهل جميعا ـ ويكون لشخصية الطفل الموروثة دور كبير في ظهورها وتبلورها ـ فهي تظهر غالبا عند الطفل الأيد القوي الذي يتمتع بقدر كبير من النشاط يميزه عن غيره من الأطفال ـ ولا تظهر عادة عند الطفل الهادىء ـ الهين العريكة ـ الرضي السلوك الذي يطيع أوامر أمه ـ ويتقبل إرشاداتها ـ وتعليماتها ـ

وتزول هذه الحالة عادة في الأحوال السوية دون أن تترك في نفس الطفل شيئا من الآثار والترسبات ـ وذلك عند معرفة الأم بطريقة معالجتها ـ وحسن تصرفها مع الطفل في هذه الحالة ـ وتجنب ما يسبب تمكنها من شخصية الطفل ـ واستقرارها في أعماق نفسه ـ أما إذا أساءت الأم التصرف ـ وحدث التصادم بين شخصية الطفل المتنامية وروح التمرد وحب الاستقلال فيه وبين شخصية أمه وإرادتها ـ وذلك بفرض سلطانها عليه ـ وإخضاعه لإرادتها ـ وتعسفها ـ فإن الطفل يبدأ بالصمود أمام إرادة أمه هذه ـ فيتحدى أوامرها ـ ويرفض سلطانها وتعسفها ـ فتلبسه حالة من العنف وحدة الطبع ـ

وتزداد تلك الحالة سوءا إذا ما أساءت الأم التصرف أكثر من ذلك ـ كأن تزجر طفلها على حدة طبعه ـ وسوء تصرفه ـ او تعاقبه أو تضربه ـ أو تشكوه إلى أبيه ـ أو تشكو إلى بعض جاراتها وذويها ـ أثناء وجوده ـ ما تعانيه من جراء عنف صغيرها ـ وتعنته ـ وشراسته ـ وتبدي قلقها وخوفها عليه ـ فيتمادى الطفل بتلك الحالة ـ ويكررها ليشد إليه الانتباه ـ ويركز نحوه الأنظار ـ ويستمر في تمارسه هذا حتى تصبح حدة الطبع صفة متأصلة فيه ـ يلجأ إليها كلما أراد فرض إرادته ـ أو إظهار احتجاجه على بعض ما لا يرضيه من تصرفات من معه ـ ومن حوله ـ او عند عجزه عن الحصول على شيء يحبه او يرغب في اقتنائه

لا للشدة أو فرط التدليل

ومما يسبب قيام حالة العنف وحدة الطبع عند الطفل المحيط المتزمت ـ والأنظمة الصارمة التي تفرض على الطفل ـ والحساب العسير الذي يحاسب به في كل عمل يعمله أو نشاط يقوم به ـ بدون محاولة تفهم مشاكله ـ والبحث عما يثيره أو يرضيه ـ وتحقيق المعقول من طلباته ـ مما يثير عنده مشاكل نفسية كثيرة ـ ومن جملتها حالة العنف وحدة الطبع ـ وعلى الأم أن تتذكر دائما أن الطفل يجب أن يعامل حسبما تقتضيه حالته وسلوكه ـ وألا تتجاهل التباين بين شخصية طفل وآخر ـ ذلك أن معاملة طفل كما يعامل غيره ممن يختلف عنه في الشخصية ـ والسلوك ـ والتصرف ـ قد يثير المتاعب والمشاكل له ولأمه على السواء

كذلك فإن معاملة الوالدين للطفل معاملة شديدة ـ صارمة ـ متعسفة ـ لا تتناسب مع سنه ـ ولا تتوافق مع مستوى فهمه وإدراكه تسبب للطفل

الارتباك، وتثير فيه الحيرة، مما يدفعه إلى التحدي والتمرد، ثم إلى العنف وحدة الطبع. ومن الخطأ أن تعترض الأم على كل عمل يقوم به الطفل، حتى وإن كان لا يستدعي الاعتراض أو الزجر، لأنها بذلك تولد فيه روح الاستياء، والتذمر، والتمرد، خاصة في العمر الذي تظهر فيه روح الاستقلال، والشعور بالكيان المستقل الذي يولده فيه ظهور الأنا. وكذلك زجر الأم لطفلها أثناء لعبه ولهوه خشية إزعاج الجيران، أو مراعاة وجود ضيوف في البيت بشدة وقسوة، أو بعقاب وضرب، فإنها تكبت في طفلها حب اللعب، والرغبة في المرح والتسلية، إذ أن لعب الطفل، وصياحه، أثناء ذلك أمر طبيعي، لا يستدعي الزجر، والتأنيب، والعقاب، لأن ذلك يولد في الطفل روح النقمة والغضب، ثم التمرد، وعدم الطاعة، ثم حدة الطبع والعنف. وإنما ينبغي على الأم أن تهيئ لولدها جوا يلعب فيه ويمرح حسب ما يشاء، وأن تفهمه - بمودة وعطف وتفاهم - أن إزعاج الجيران أمر غير صحيح، وأنه لا يليق بشخص مؤدب لطيف مثله.

إن مسامحة الطفل في كثير مما يأتي به من أخطاء، والتساهل معه في بعض الأمور التي لا ينبغي التسامح بها، وتلبية جميع رغباته مهما كانت مترفة ومتعبة، والخوف عليه من كل أمر مهما كان صغيرا وتافها، من الأسباب المهمة التي تنمي في الطفل روح العنف، وحدة الطبع، وذلك أن مثل هذا الطفل لا يعرف - عادة - الحدود التي ينبغي عليه أن يقف عندها في طلباته وتصرفاته، لالتباس الأمر عليه، ولعدم إدراكه لما هو معقول منها، وما هو غير معقول، بسبب تلبية أمه لجميع رغباته وطلباته دون استثناء. فإذا ما أسرف الطفل يوما وتجاوز تلك الحدود تجاوزا مزعجا فإن أمه ستقوم إما بزجره وإيقافه عند حده، أو - على الأقل - بعدم الاستجابة إلى تنفيذ تلك الرغبة وذلك الطلب، وعند ذاك يثور الطفل، ويلجأ إلى العنف وحدة الطبع، معبرا عن رغبته في تنفيذ رغباته وطلباته كلها، كما كان عليه الحال آنفا.

وقد تضطر الأم في بعض الأحيان أن تعد طفلها ببعض الوعود، ثم لا تفي بها، أو أن تقول له قولا ثم تفعل فعلا مغايرا له، كأن تهدد طفلها بأنها سوف تعاقبه إذا فعل أمرا معينا، أو إن امتنع عن تنفيذ بعض إرشاداتها أو عصى بعض أوامرها، ثم تنسى أو تتناسى وعيدها وتهديداتها، فيتعجب الطفل من تلك الأمور، ويفقد ثقته بأمه، ثم يظهر احتجاجه عن ذلك بإبداء حدة الطبع والعنف والمشاكسة.

وعلى الأم أيضا ألا تعارض الأمور التي يوافق عليها الأب بطلب أو التماس من الطفل، فتحرم الطفل من التمتع بموافقة أبيه على طلبه، لأن ذلك يثير في الطفل روح المشاكسة، والعنف، وحدة الطبع.

أسباب مرضية لها علاج

وهناك أسباب عضوية لحدة الطبع، منها: بعض الأمراض التي تصيب الطفل، فتجعله يشعر بالضيق والانزعاج، كالحمى، وفقر الدم، وأورام الدماغ في أدوارها الأولى، ونقص السكر في الدم، وتناول بعض الأدوية، وبعض الأمراض المزمنة كالصمم، والتدرن. والسؤال الآن كيف يعالج الطفل المصاب بحدة الطبع؟.

قبل كل شيء يجب التحري عن وجود الأمراض العضوية التي تسبب حدة الطبع للطفل، فإن وجد بعض تلك الأمراض وجب علاجها والقضاء عليها.

أما في حالة الطفل السوي فإن على الأم أن تتعهد

سبب حدة الطبع عنده . وأن تعمل على علاجها وإزالتها .

إن الطفل يبغي من وراء حدة طبعه وعنفه أن يشد الانتباه إليه . ويجذب الأنظار نحوه . ويسبب الأذى والمضايقة لأبويه . ويبذر فيهما بذور القلق . ثم الاهتمام بأمره والانتباه لرغباته . فيفرض إرادته عليهما . وينال منهما ما يرغب ويريد . ولذلك فإن أول ما ينبغي على الأم أن تفعله هو أن تتجاهل حدة طبعه . وتغض النظر عن شراسته وعنفه . وتقابل ثورته بصبر وهدوء . فلا تزجره أو تعاقبه . ولا تلقي لتصرفاته العنيفة بالاً . ولا تظهر على وجهها علامات الغضب أو الأسف . أو الاشمئزاز أو النفور . وأفضل ما تفعله هو أن تخرج من الغرفة . وتغلق الباب خلفها بهدوء وسكينة . وتترك الطفل في ثورته يبكي ويضرب بيديه . ويرفس برجليه . ويأتي بما يشاء من حركات العنف والشدة . وذلك أن أشد ما يكون على الطفل أن تتجاهل أمه عنفه وشراسته . ولا يؤلمه شيء كما يؤلمه عدم اهتمام أمه به وهو يبكي ويصرخ بعنف وشدة .

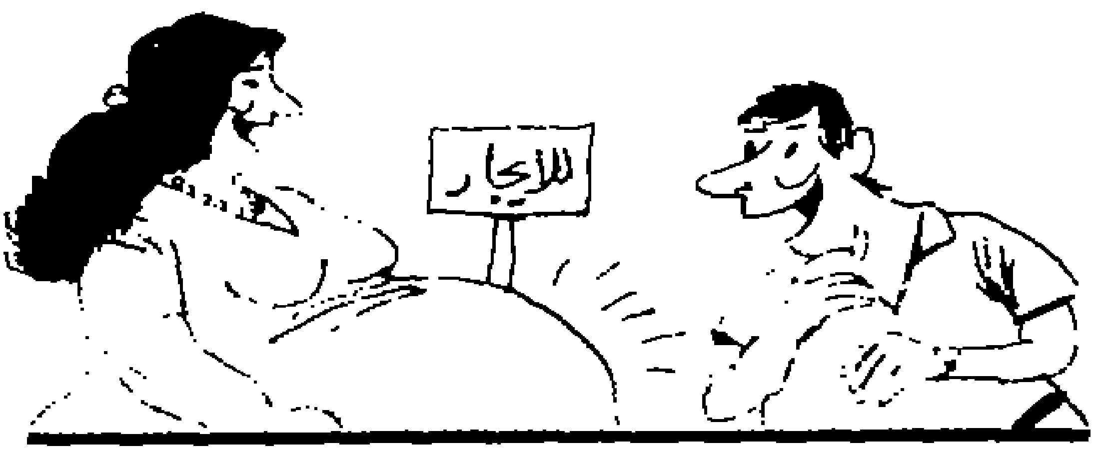
ثم إن على الأم أن تدرس حالتها وحالة الأب . وهل في تصرفاتهما أو سلوكهما مع طفلهما ما يؤثر على نفسية الطفل وسلوكه . كالتدليل الكثير والتسامح المتمادي . وتلبية رغبات الطفل جزافاً وإسرافاً . أو كالصرامة والشدة . وما تسببه هذه الحالة وتلك من توتر نفسي . وقلق . وحرمان عاطفي . نفسي

ومن ناحية أخرى ينبغي أن تراعي الأم حالة التغذية عند الطفل . وتلاحظ أوقات تناول الطعام التي لا ينبغي أن تكون متباعدة عن بعضها إلى حد شعور الطفل بالجوع بعض الوقت . ذلك أن نقص السكر في الدم الناتج عن سوء التغذية أو قلته قد يكون سبباً من أسباب حدة الطبع . ولا سيما إذا كانت أوقات تناول الطعام متباعدة عن بعضها بصورة غير معقولة . ويجب أن تراعي الأم ذلك عند عودة طفلها من المدرسة جائعاً . فقد تكون حدة الطبع مبرماً بسبب الجوع ونقص السكر في الدم . إذ يجب عليها أن تسرع بتقديم وجبة الغذاء لطفلها . حيث يصبح بعد تناول غذائه هادئاً في تصرفاته . قرير العين . سوياً في سلوكه □

■ المرأة تضحك عندما تقدر . وتبكي عندما تريد . (مثل روسي)

■ قتل فتى شجاع في حرب . فدخل المأمون على أمه معزياً بقوله : لا تجزعي يا أماه . فإني ابنك بعد ابنك . فأجابته : « كيف لا أجزع على ابن أكسبني ابناً مثلك » .

■ قطاع الطرق يسألونك عن كيس نقودك أو حياتك . لكن النساء يطلبن الاثنين ! (صموئيل بتلر)



أمهات للإيجار!

بقلم : الدكتور غسان حتاحت

«خلف كل شيء جميل هناك قبح ما ، ويختبيء في كل اكتشاف علمي جانب غير أخلاقي . وهذه قضية تشغل بال أساتذة القانون والاجتماع والطب ، فجرها كشف علمي هز الدنيا ، وقبل أن يصبح هذا الكشف متاحا لكل البشر ، بدأ الاستغلال غير الأخلاقي له» ..

في عام ١٩٧٨ أنجز الطبيب المولد الانجليزي باتريك ستبتو تقدما طبيا رائعا . استفاد فيه من معطيات التقنية الحديثة ، فجدد الأمل في قلوب آلاف من الأمهات العقيمات . إذ استخرج هذا الطبيب بويضة من مبيض امرأة عاقر (هي . ليسلي براون) . ثم لقحها في أنبوب اختبار بنطفة من زوجها (جلبرت جون براون) . وبعد ذلك زرع البويضة الملقحة في رحم الأم التي استمر حملها طبيعيا . وولدت أول طفلة أنبوب اختبار (كما أطلق عليها فيما بعد) .

ولقد فتح هذا الأمر باب الأمل واسعا أمام النساء اللاتي لديهن ما يسمى بانسداد بوقي (فالوب) . بحيث أن البويضة التي تنشأ من المبيض لا تستطيع أن تصل إلى الرحم حيث يتم التلقيح ، لأن بوقي أو

أنبوبي (فالوب) اللذين يصلان بين المبيضين والرحم مسدودان . وكان ما قام به باتريك ستبتو هو تجاوز هذه العقبة . وهو أمر ليس يسيرا .

ولقد كان التخوف من أن يساء استعمال هذا التقدم الطبي قائماً منذ البداية . إذ خشي كثيرون أن يصبح هذا التطور وسيلة استغلال . غايتها الربح الحرام . وجني المال .

ولقد بدأ ذلك الاستغلال ـ أول ما بدأ ـ عندما باع السيد جلبرت جون براون وزوجته ليلي حقوق نشر أخبارهما إلى جريدة ديلي ميل البريطانية بمبلغ قدره (٥٦٥٠٠٠) دولار

لكن ما أيسر ذلك الاستغلال إذا قارناه بما تلاه . ففي محاكم نيوجرسي تعرض الآن قضية حضانة طفلة عمرها تسعة أشهر ونصف . كانت والدتها السيدة ماري بث وايتهيد ـ قبل قرابة عام من ذلك ـ قد وقعت على عقد . وافقت فيه أن تكون أما بديلة تحمل طفلا لحساب الزوجين وليام واليزابيت ستيرن .

وقد لقحت الأم تلقيحا اصطناعيا . بحقنها بنطف من السيد وليام ستيرن . على أن تسلم محصول الحمل بعد الولادة إلى الزوجين . وبعد تمام الحمل وضعت هذه الأم طفلة اسمتها سارة . وعز عليها أن تسلمها إلى الزوجين المتعاقدين . وقررت الاحتفاظ بها . وأصر آل ستيرن على الحصول على هذه الطفلة التي سموها ميليسا . واحتار القاضي هارفي سوركو كيف يحكم في هذه القضية . إذ لايوجد في القانون وسالف الدعاوى سوابق مماثلة . يمكن أن يسترشد بها

فإذا اعتبر القاضي هذا الموضوع خلاف حول عقد قانوني . فالعقد ساري المفعول . والطفلة حق آل ستيرن . أما إذا اعتبر الأمر موضوع حضانة الطفلة . فهنا يجب النظر لمصلحة الطفلة نفسها . وعادة يكون الحكم في هذه القضايا لصالح الأم . وهي هنا السيدة ماري بث وايتهيد . لكن الطفلة ميليسا في الوقت نفسه قضت معظم أيامها مع آل ستيرن . فحق لهم أيضا شيء من الترجيح في أمر الحضانة .

هل تصبح تجارة

إن حضانة هذه الطفلة ليست هي الأمر الأكثر أهمية عندما نقارنها مع المشكلة التي تطرح . وهي أليس من المحتمل أن تصبح تجارة الأطفال هذه شائعة مبذولة . فيستطيع كل زوجين عقيمين أن يستأجرا رحم امرأة ما . كي تحمل طفلا لهما . مقابل مبلغ من المال . خاصة بعد نجاح طريقة ستبتو ؟ وحتى لو اعتبر هذا الأمر غير قانوني . وغير شرعي فإنه سينتقل دون شك من العلانية إلى الخفاء . لكنه سيبقى كابوسا يهدد الأسرة والمجتمع

ونعود إلى بداية القضية عندما تعاقد وليام ستيرن ـ وعمره ٤٠ سنة . وهو باحث في الكيمياء الحيوية . وزوجته اليزابيت . وعمرها ٤١ سنة . وهي طبيبة أطفال ـ مع السيدة ماري بث وايتهيد عام ١٩٨٥ على أن تحمل الأخيرة بإخصاب اصطناعي طفلا لحسابهما . وقد كان لقاؤهم بمركز العقم في نيويورك . وهو جمعية غايتها الربح . وقد اختار آل ستيرن السيدة وايتهيد بعد مقابلتهم لما يقرب من ٣٠٠ مرشحة . وقد رفض الزوجان أكثرهن لأنهن يدخن أو يشربن الخمور أو يستعملن المخدرات

وبدت لهما السيدة وايتهيد مثالية . فهي زوجة . ولها طفلان في سن الدراسة المدرسية . وهي ترغب في أن تكون أما بديلة ولا تريد مزيدا من الأطفال . ولذا وقعت وزوجها عقدا يتعهدان فيه بتسليم

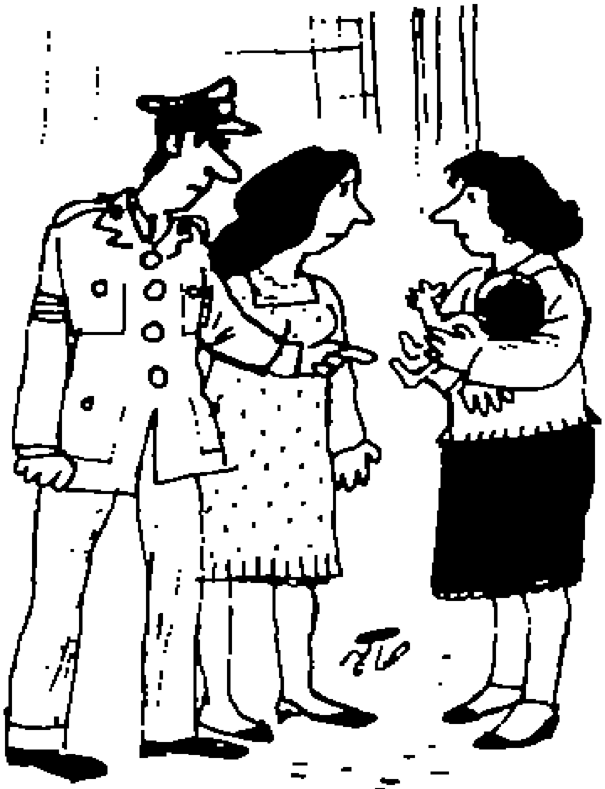
محصول الحمل بعد الولادة إلى آل ستيرن . على أن يدفع آل ستيرن مبلغ (١٠٠٠٠ دولار) لوايتهيد . إضافة إلى النفقات الطبية . ومبلغ (١٠٠٠٠ دولار) أخرى لمركز العقم .

وبعد الولادة رفضت وايتهيد تنفيذ العقد . وتركت حقها في المال . وأبت التخلي عن طفلتها الوليدة . وأخذتها إلى بيتها . فجاء آل ستيرن بعد ثلاثة أيام ترافقه رجال الشرطة وأخذوا الطفلة عنوة . وبدأت المشاكل بين المتعاقدين

وقد أصدر القاضي هارفي سوركو حكمه في البداية بصورة مؤقتة بأن الحضانة لآل ستيرن . وأن من حق الأم أن ترى طفلتها مرتين كل أسبوع في مكان محايد . ريثما يصدر الحكم النهائي الذي عليه أن يحل المعضلة . فيحكم هل الطفلة للأب الذي قدم النطفة . أم للأم التي قدمت البويضة . وحملت الطفلة تسعة أشهر (وهنا على وهن)

ولا شك أن الأمهات البديلات معروفات منذ القديم بشكل أو بآخر . إذ نجد لهن ذكرا في الكتب السماوية . فالسيدة سارة زوجة ابراهيم عليه السلام عندما عجزت عن الانجاب . وغدت عجوزا عقيما . قدمت جاريتها هاجر لسيدنا ابراهيم فحملت الأخيرة بإسماعيل عليه السلام . وقد نشأت عن ذلك مشاكل فيما بعد . أدت إلى أن يسكن ابراهيم هاجر وابنها (بواد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم) . وبقية القصة معروفة مشهورة

ـ الأمهات البديلات بوصفهن الجديد حيث يتم الاحتضان الاصطناعي . أو يتم زرع البويضة ملقحة حسب طريقة ستيتو . فتقدم الأم البديلة رحمها فقط . بينما يقدم الزوجان البويضة والنطفة . وهو أمر حديث



يقول المحامي نويل كين . وهو المشرف على المركز الذي جمع آل ستيرن بوايتهيد « إن هنالك الآلاف من الذين يرغبون بالاستفادة من هذا الأمر . ومنهم الأمهات البديلات . وقد حصل حتى الآن في الولايات المتحدة ما يزيد على ٥٠٠ حالة . منها ٦٥ حالة في السنة الماضية فقط . وهناك على الأقل عشرة مراكز للأمهات البديلات » . وإذا عرفنا أن نسبة ١٥ ٪ من الأزواج يمكن اعتبارهم عقيمين عرفنا كيف سيسير الحمل عن طريق الأمهات البديلات في طريق الازدياد والشيوع .

سوق لسلع لا تباع

ويرى بعضهم أن تشريع قوانين تنظم هذا الأمر هو اعتراف بشرعيته . وإقرار بقبوله . مما يشجع الناس عليه . فتفتح سوق جديدة لبيع الأطفال

وغني عن البيان أن الشرائع السماوية كلها - وعلى رأسها الدين الإسلامي الحنيف - تحرم ذلك . بل إن الدين الإسلامي العظيم يحرم حتى ادعاء الأطفال عن طريق التبني

فالأطفال ليسوا بضاعة ولا تجارة . ولا يحق لأب أو أم أن يبيعا أطفالهما . لكن ما يخشى منه أن تصبح الأمهات البديلات تجارة رابحة محرمة . وأن تصبح أرحام الفقيرات الأمريكيات . أو بعض نساء العالم الثالث بضاعة تستأجر . وخواص لأطفال الموسرين الذين لا يودون أن يزعجوا أنفسهم بالحمل ومشاكله وبحجة بعد أن حياة ستبدو بطريقته الفمة

تقول اليزابيت كاين . وهي أم بديلة : لابد من إعطاء أخبار للأم التي حملت الطفل . فإذا أرادته فهو لها . وإذا سمحت فإن الواجب أن تساعد في التغلب على مشاكلها النفسية . دون أن تترك وحيدة . فأثناء الحمل يكون الزوجان المتعاقدان ودودين مجاملين . أما بعد الولادة فإنهما يتجاهلان الأم البديلة تماما في إهمال معيب . ونجد أن العقود الحالية للأمهات البديلات لا تعطيهن أي حق . بل تحرم عليهن كثيرا من الأمور . كالتدخين وشرب الخمر . وحتى أن يجامعهن أزواجهن في فترة الإخصاب الصناعي . بينما تسلم الأم البديلة طفلها لعائلة لا تعلم عنها شيئا

إن العواطف في قضية الطفلة (سارة - ميليسا) يمكن أن تنقسم مع هذا الفريق أو ذاك . لكن الطفلة نفسها لا تنقسم . بل إن هذه الطفلة - على الأغلب - سوف تبلغ عامها الأول . ولما يصدر الحكم بعد . ولما تستقر على اسم . ولما تستقر في بيت

وهكذا يخلق التقدم العلمي أحيانا مشاكل . ويعجز عن إيجاد حلول لها . لكن الناس هم الذين يصنعون الأطفال وبالتالي عليهم أن يتحملوا نتائج ذلك . □

■ قيل إن أحد رجال الأعمال الفرنسيين ترك مبلغا يساوي مائة وعشرين ألف جنيه للمرأة التي رفضت مرتين عرضه الزواج بها . وجاء في وصيته : إنني أترك لها هذا المبلغ اعترافا بجميلها . فبسببها تهيأ لي أن أعيش حياة (عزوبية) هنيئة . مطمئنة . خالية من المشاكل . ثم سهل لي النجاح في الحياة .

■ ضرب رجل . وضرب ابن له فلم يسمع به . فأخذ ابنه وضرب . فجزع . فقيل له في ذلك . فقال : ضرب جلدي فصبرت . وضرب كبدي فلم أصبر .

■ لما بشر الحسن البصري بمولود له قال : لا مرحبا بمن إن كنت غنيا أذهلني . وإن كنت فقيرا أتعبني .

هو..

في بيتي

● يطلب مني المستحيل . ويضعني بين خيارين . كلاهما مر . حاولت أن أقول له أن مايريده فوق الطاقة . ومناف لكل عرف وتقليد . لكنه ركب رأسه وأصر .

لي في الدنيا ثلاثة إخوة . شباب في مقتبل العمر . موظفان وطالب جامعة . وأمي سيدة مسنة قعيدة ولأننا فتحنا أعيننا على الدنيا ولم نجد حولنا أحدا . فقد توثق ترابطنا ببعضنا . وأصبح كل منا للآخر أكثر من أخ وصديق

وبعد زواجي صار بيتي هو ملتقى إخوتي . فيه يتجمعون ويلتقون . وحدت هم حرصهم على السؤال عني . وشجعتهم على المجيء عندي . لأنهم أكثر قابلية للتحرك مني . ولايعانون مثل مشقة الانتقال لو أردت أن أذهب إليهم . فكيف انتقل أو أحمل طفلي . وأترك البيت . . . إلخ ؟

وفي البداية كان زوجي يسعد بهم يجلسون معا . ويشاهدون التلفاز . أو يلعبون النرد . وتدور بينهم مسابقات في النرد . يخوضونها بحماس . ويقضون بها أمسياتهم .

كنت أسعد الناس بهذا . إلى أن بدأ زوجي يتململ . ويضيق . وكنت أرجع الأمر في البداية إلى أنه يمر بظروف انعكست على بيته وعلاقاته العائلية . وعندما طال الأمر فاتحته في بوادر الضيق التي تبدو عليه . فانتقل من التلميح إلى التصريح . فآثرت أن أتفادى المواجهة . وأتجاهل الأمر كله . لكن بدلا من أن يرجع عن ضيقه بدأ يطاردني بضرورة التخلص من إخوتي !! وأن زيارتهم كل أسبوع كافية . وأنهم بذلك قد أقحموا أنفسهم في حياته . وأنه لم يتزوجني وحدي . لكنه بهذا الشكل - هكذا يقول - قد تزوج إخوتي معي . قلت له إنني لا أستطيع أن أمنع إخوتي من المجيء . ولا أستطيع أن ألمح لهم بذلك . ولا أن أقابلهم بشكل يفهمون منه أن زوجي يضيق بهم .

وحاولت معه كثيرا . قلت له . تحملهم من أجلي . وأحسن صحبتهم إكراما لي . لكنه ركب رأسه وأصر قائلا : بأن الزيارات العائلية يوم واحد في الأسبوع ، وبالتبادل . يجيئون هم أسبوعا ، ونذهب نحن إليهم أسبوعاً آخر . أصبحت بين المطرقة والسندان ، وحيرتي وخجلي يلفان أيامي كلها . فطوال حياتي لم أسمع أن أختا طلبت من إخوتها ألا يزوروها في بيتها

هي





هي .. والعائلة

هناك فروق دقيقة بين الأشياء . والخطر مايمكن أن يصيبنا هو أن نتجاوز الفروق . أو نغمض أعيننا عنها . فعندئذ تختلط الأشياء والعلاقات والمواقف . ويصعب علينا التفرقة بين ماهو صواب في إطار ما . وماهو خطأ إذا ما استخدمنا نفس المعيار .

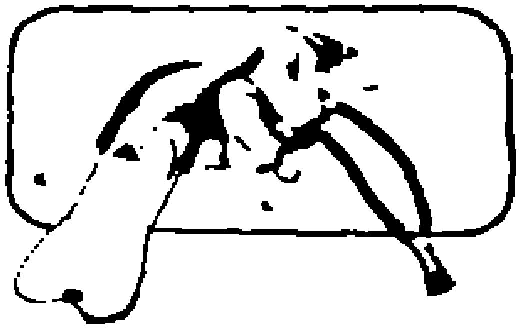
عندما تزوجنا كنت أعلم مدى ارتباط الاخوة ببعضهم . وكنت أعلم حالة أم زوجتي . ويشهد الله أنني لم أمنع زوجتي يوما عن الذهاب لأمها . لرعايتها أو رعاية شئون إخوتها . لكن زوجتي حتى قبل أن تنجب طفلتنا الوحيدة استسهلت الاستقرار في البيت . وأن يأتي إخوتها لزيارتها

ولم يكن لدي أدنى اعتراض على هذا . بل بالعكس كنت أرحب بهم وأسعد . وفي ظني أن ترددهم هو من قبيل الزيارة . لكن مع الوقت تلاشت الفروق . وتاهت وأصبحت الزيارة إقامة من ينتهون من أعمالهم فيجيئون إلى البيت ظهرا . يتناولون طعام الغداء . ثم يهجعون في نومة القيلولة . وعندما يستيقظون عصرا يتحول البيت إلى مقهى . أصدقاؤهم يأتون للسؤال عنهم . وزيارتهم عندنا . وصغيرهم يحتل غرفة الاستقبال للمذاكرة . وتبدأ الطلبات . شاي وقهوة ومرطبات ونقاشات وسجائر . إلخ .

يحل الليل علينا . فيكتشفون أن الوقت قد تأخر . فيبيتون معنا . ويجيء صباح جديد بنفس الأحداث . ومع الوقت صار لهم ركن مخصص لملابسهم في خزائن ثيابنا . وعند الضرورة يستعيرون ملابسي . وصارت غرفة الاستقبال مكان نومي . على الأرائك وعلى الأرض توضع « حشية » ووسادة للنوم الدائم . حتى الحوار على ندرته عندما يحدث بيني وبين زوجتي يتدخلون دوما لصالح شقيقتهم . ويبدو أن هذه اللعبة قد راقت لزوجتي . فصار لايحلو لها أن تطلب شيئا إلا أمام أشقائها . وأجد نفسي في حرج من لايستطيع الرفض . وتحولت الحياة إلى جحيم . وأصبح البيت كأنه فندق من فنادق الدرجة الثالثة . وأصبح إخوتها يشاركونني في كل شيء . حتى سريري في غرفة نومي كثيرا ما أعود ظهرا لأجد أحدهم نائما فيه . وعلي أن أختار بين النوم بجواره أو عدم النوم . وعند هذا الحد قلت لزوجتي : أهلك فوق رأسي . لكن كضيوف . وليسوا كمقيمين . وعلينا أن نحدد الفارق بين معاملتهم كضيوف وبين تواجدهم الدائم بيننا .

وصمتت . في البداية تصورت أنني مع الوقت سأتغاضى عن الأمر . وتستمر الحياة بحكم العادة . لكن عندما أصبح الأمر فوق الاحتمال قلت لها : اطلبي منهم المغادرة فورا . وأن يقتصر مجيئهم على يوم الخميس مساء كل أسبوع . والأسبوع التالي نذهب إليهم .

هو



طبيب الأسرة

الدكتور حسن فريد أبو غزالة

قضايا منزلية

غليان الحليب

لسنا في مقام الحديث عن قيمة الحليب غذائيا ، ولا عن موقعه بين عناصر التغذية الصحية . فقد تجاوز المختصون حدود هذه القضية ، وانتهوا إلى شبه اتفاق باعتبار الحليب غذاء شبه متكامل ، ولو اضيفت إلى كوب الحليب بضع تمرات ـ كما كان يفعل العرب القدامى في بواديهم ـ لارتقينا به إلى مرتبة الغذاء الكامل المتكامل ، حيث ان ماينقص الحليب من العناصر كأملاح الحديد أو بعض الفيتامينات ستجده بوفرة في تركيب التمر . وهكذا وصل العرب القدامى بعفويتهم إلى حقيقة علمية ، وقفت سدا منيعا أمام المرض والوباء ، وحالت بينه وبين أن يتسرب إلى بواديهم . لهذا لم نعهد مرضا قد استشرى بين العرب في جاهليتهم ، ولم نسمع عن وباء قد تسلل إلى قبائلهم

بيد أن الحليب كغذاء شبه متكامل ليس حكرا على الانسان ، بل هو مشاع بين المخلوقات ، لهذا تجد الميكروبات والجراثيم فيه مرتعا خصبا ، تنمو عليه ، وتتكاثر فيه . ومن ثم كان ذلك الوجه الكريه للحليب الملوث ، المتمثل في أمراض شتى ، يطول تعدادها ، وقد يكون من أبرزها السل والتيفود والحمى المالطية (البروسيلا) والتسمم الغذائي ... إلخ

لكن الله ساق للانسان اكتشاف النار ، ثم عرف درب تعقيم الحليب بالغليان ، ولا جدال حول قيمة غليان الحليب في توفير حليب امن من التلوث والضرر ، غير أن السؤال الأهم هو : هل نحن حقا نغلي الحليب ؟ وهل غليان الحليب بلا ثمن أو ضريبة ؟

من الملاحظ أن هناك قناعة سائدة بين الناس مؤداها أن فوران الحليب هو غليانه ، وهذا خطأ شائع ، عند ممارسة الناس لغليان الحليب ، حيث أن فوران الحليب يتم عند درجات متدنية من الحرارة ، تتراوح بين ٧٠ إلى ٨٠ درجة مئوية ، بسبب تصاعد فقاعات هوائية مغلفة بغشاء رقيق من الدهن والزلال ، أما الغليان الحقيقي فعند درجة حرارة تتعدى مائة درجة مئوية بقليل ، وهذا فلا أحد يضمن تعقيم الحليب على وجه مرض ومقنع ، بكون معه الحليب امنا خاليا من الميكروبات الضارة الضارية . وهناك عصبة من الميكروبات تصمد أمام

درجات الحرارة العالية ، لا تموت إلا بعد طول غليان . وهذا المطلب له ثمن تدفعه من قيمة الحليب الغذائية ، ومن صفاء لونه ، وطعمه ورائحته . وهذا ما يمكن إيجازه على الوجه التالي :

١ ـ اصفرار لون الحليب : إذ يتغير اللون الأبيض المعتاد للحليب إلى لون أصفر فاتح ، بسبب احتراق سكريات الحليب المعروفة باسم اللاكتوز (أو سكر الحليب) ، وهي عملية تعرف في أوساط صناعة الحليب بالكرملة .

هذا بالاضافة إلى تحول زلال الحليب المعروف بالكازين إلى هيوبين ذات لون مائل إلى الصفرة .

٢ ـ تغير طعم الحليب . بعد الغليان يصبح للحليب طعم مميز عن طعم الحليب الطازج . وسبب هذا الأمر هو (كرمنة اللاكتوز) أولا . وتحول دهنيات الحليب بعد تسخينه إلى مادة تعرف باسم (الاكرولين)

٣ ـ رائحة الحليب المغلي يتميز الحليب المغلي برائحة خاصة ، تعزى إلى تصاعد أحماض دهنية طيارة من الحليب في أثناء تسخينه . وإلى رائحة أبخرة الكبريت المنبعثة من بعض زلاليات الحليب

٤ ـ ترسب زلاليات الحليب : يشتهر الحليب بزلاله ذي الأحماض الأمينية الأساسية النافعة للجسم ، لكن حرارة الغليان تعمل على ترسيب هذه الزلاليات في قاع الاناء .

٥ ـ تلف الكالسيوم : لا طعام أشهر من الحليب في محتواه من الكالسيوم سهل الامتصاص ، غير أن حرارة الغليان تحيل مركبات الكالسيوم هذه إلى تركيب عسر الهضم ، يعرف باسم (ثلاثي فوسفات الكالسيوم) ، مما يفقد الحليب أهم مزاياه ، وهو وفرة الكالسيوم .

٦ ـ تبديد الفيتامينات : إن أهم ما يحتويه الحليب من فيتامينات عندما يكون طازجا فيتامينا أ و ج ، فالأول منهما يتأثر مع الحرارة بأكسجين الهواء ، وهو ما ما يعرف بالأكسدة ، كما يتأثر الثاني ويتلف بالحرارة

وعلى هذا يمكن القول ان غلي الحليب ليس هو الحل الأمثل ، ولا الجواب النهائي لقضية تلوث الحليب ، ومن هنا كان الطريق واسعا أمام العالم الفرنسي لويس باستير ليسير على درب جديد عرف باسمه وهو (بسترة) الحليب

بريد طبيب الأسرة

أسباب الزكام

● ما هو سبب الزكام وما هو سر الاصابة به في فصل الشتاء على وجه الخصوص ؟

(. .)

ـ الزكام مرض سببه فيروس معين ، قد تصل أنواعه الى مائة ، ومن هنا يسهل تكرار العدوى ، دون أن يكتسب الانسان مناعة ، ويصيب هذا الفيروس منطقة الجهاز التنفسي العلوي ، وهو سهل العدوى في كل فصول السنة ، لكنه يشيع في فصل الشتاء والربيع ، نظرا لطبيعة الزحام ، وحصر الناس داخل غرف مقفلة ، في مجموعات كبيرة ، تعطي الفرصة للفيروسات أن تنتقل من المصاب الى السليم ، عن طريق التنفس ، والرذاذ ، وتقلب الانسان بين الغرف الدافئة والجو الخارجي البارد فجأة ، مما يؤثر على مناعة الغشاء المخاطي للأنف والحلق والقصبة الهوائية .

علاج لسقوط الشعر

● منذ سنوات طرحت احدى شركات الادوية عقارا لعلاج ضغط الدم المرتفع تحت اسم مينوكسديل . غير أن التجربة اظهرت لهذا العقار آثاراً جانبية اهمها ظهور شعر كثيف على البدن في مواضع شتى .

لهذا فقد قام طبيب بتحضير دهان من مسحوق هذا العقار يستعمل موضعيا حين يكون هناك سقوط للشعر او ضعف فيه ، انتهت تجربة الطبيب حيث توقع ، اذ نبت الشعر في المواقع التي استعمل فيها الدواء موضعيا مما شجع الشركة المنتجة ان تتجه بعقارها الى استعماله في انبات الشعر وايقافه في علاج ضغط الدم المرتفع .

لقد وضعوا العقار تحت التجربة والاختبار فاثبت نجاحه وفعاليته بنسبة كبيرة قد تصل الى ٧٩ بالمئة لهذا فقد طرحوه في السوق التجاري بعد موافقة الجهات الصحية المختصة بمراقبة الادوية والعقاقير وقد وصل الى بعض الأقطار العربية تحت اسم ريجين **Regain** وقد يلفظه البعض باسم ريجان على سبيل الخطأ في اللفظ .

لكن لا نملك الا ان نقول لك اصبر وماصبرك الا بالله مع التأكيد بأن الصلع ليس بالعيب الذي تتوهمه ، بل هو ميزة يعتبره البعض احدى علامات الذكاء

الثعلبـــة

● هل لي أن أعرف ماهي الثعلبة ، وماهي أسبابها وعلاجها ؟

ش . ش . ش - سوريا

- الثعلبة هي اصطلاح لسقوط الشعر الموضعي بسبب ما ، وغالبا ما يكون ذلك السبب مجهولا .

وقد يعزى لأسباب نفسية كامنة .

يداهم المرض مواضع في الجلد غير محددة ، تكون غالبا في منطقة اللحية عند الرجال ، أو في منطقة فروة الرأس ، وتظهر فجأة دون مقدمات ، لو يلاحظها المصاب فجأة ، وتدوم أياما أو شهورا لا يمكن التنبؤ بها ، وقد تختفي تلقائيا كما ظهرت ، بمعنى أن الشعر سوف ينبت دون سبب أو مبرر ، وهذا هو حال ما يقدر بخمسين بالمئة من الحالات .

وقد يستعمل بعضهم مهيجات موضعية للجلد ، مثل صبغة اليود ، وبعضهم قد يستعمل فصوص الثوم ، يدلك بها الموضع المصاب ، أو ربما حكه بقطعة من الصوف بين حين وآخر .

وقد سمي هذا المرض بالثعلبة ، لأن الثعالب تصاب به - كما قيل - من جراء حك جلدها في حقول القمح ، مما يسبب تساقط شعر فروها .

على أي حال فالمرض لا يحمل أي خطورة على صاحبه ، ولا يؤدي إلى أي اختلال في وظائف الجسم ، أو يسبب للمريض أي معاناة أو ألم أو مضاعفات تستحق القلق .

الانسكاب البللوري

● أعاني منذ فترة طويلة من انسكاب جنب درني أيسر أي اصابة الغشاء المغلف للرئتين بسبب مرض السل ولست ادري كيف أصبت به ولاكيف اتصرف معه .

هل لكم أن تذكروا شيئا عن هذا المرض . . ولكم وافر شكري .

جميل صرفه

ميسلون - ادلب - سوريا

أي مرض يداهم الرئتين قد يتفاقم ليصيب الغشاء

المغلف للرئتين المعروف باسم الجنبة فيؤدي الى مضاعفات تعرف باسم ذات الجنب .

والجنبة هي مايعرف باسم الغشاء البللوري والغشاء ذو طبقتين بينهما سائل رقيق يغلف الرئتين ، وعندما يصاب هذا الغشاء يزداد ارتشاح السائل ، ويمتليء الفراغ بين الغشائين مما يضغط على الرئتين ، ويمنع حركتها ، وبالتالي يؤدي الى ضيق التنفس .

ومن المألوف أن يصاحب هذا الانسكاب او الارتشاح اصابة درنية للرئة واذا كانت متطرفة في نسيج الرئة فانها تسمح بتسرب العدوى الى غشاء الجنبة وتؤدي الى هيج الغشاء وزيادة افراز السائل مما يعرف في الطب بذات الجنب يشعر معها المريض بألم حاد وخاصة عند التنفس .

ان علاج هذه الحال يتطلب بزل السائل بابرة خاصة ، وتوفير الراحة للرئتين مع اعطاء المريض العقاقير المناسبة لعلاج الدرن ، وافضلها ماجرى اختباره على مزرعة للميكروبات ، تؤخذ من عينة من المريض مع موالاة مراقبته سريريا ومخبريا بفحص البصاق وسرعة ترسيب الدم ، واستزراع افرازات المريض من موضع الاصابة .

النقـــرس

● أرجو التكرم بإلقاء الضوء على مرض النقرس ، وعلى أسبابه ، وعلاجه ، ونظام التغذية للمصاب به ؟

السعيد صلاح محمد ـ كفر الشيخ ـ مصر

ـ النقرس مرض مزمن من أمراض المفاصل ، عرفه العرب قديما باسم مرض الملوك ، لقناعتهم أن الاسراف في أكل اللحوم هو سبب الاصابة به ، وهو أمر من أمور الملوك والأمراء والأغنياء . ولقد كشف الطب الحديث سبب المرض ، حيث لوحظ ارتباط المرض بارتفاع أملاح حامض البوليك في الدم ، مما يؤدي إلى ترسبها في المفاصل ، وبخاصة في إبهام القدم ، غير أن بعض المرضى قد يعاني من الألم الشديد الذي يداهم صاحبه عقب وجبة دسمة ، أو الاسراف في شرب الخمر ، حيث يتورم المفصل المصاب ، ويصير لونه أحمر ، بالاضافة إلى الألم الشديد ، ومع هذا فإن نسبة أملاح حامض البوليك قد تكون في الحدود الطبيعية في الدم ، كما قد ترتفع أملاح حامض البوليك ارتفاعا حادا دون أي معاناة .

ويعتقد الأطباء أن المرض يعود إلى خلل في التمثيل الغذائي لبعض أنواع البروتينات التي تكثر في لحوم الأعضاء ، كالقلب والكبد والكلى وما إلى ذلك ، غير أن تمثيلها لا يتم على الوجه الأكمل ، فيتخلف عنها أملاح البوليك التي تزيد في الدم ، ومن ثم تترسب في المفاصل على نحو ما ذكرنا

هناك علاجات كثيرة تعمل على خفض نسبة الأملاح في الدم والمفاصل ، غير أن النصيحة دائما هي بالامتناع عن المواد الغنية بالأحماض الأمينية التي تؤدي إلى ترسبات أملاح حامض البوليك ، وهذه متوافرة في لحوم الأعضاء التي ذكرناها لهذا ننصح بالاقلال من اللحوم بصفة عامة

ردود سريعة

● الآنسة ن ع . ب ـ المنصورة :

ـ لماذا لا تستشيرين اختصاصيا في أمراض النساء للكشف الطبي والنصيحة المثلى ، فهو المختص ، وهو أعلم بالأمر وأصدق في إسداء النصح السليم .

● ع . س ـ دمشق :

ـ من الأفضل مراجعة طبيب مختص في الأنف والأذن ، فربما احتجت إلى كي الأنف ، بسبب وجود منطقة هشة من الأوعية الدموية .

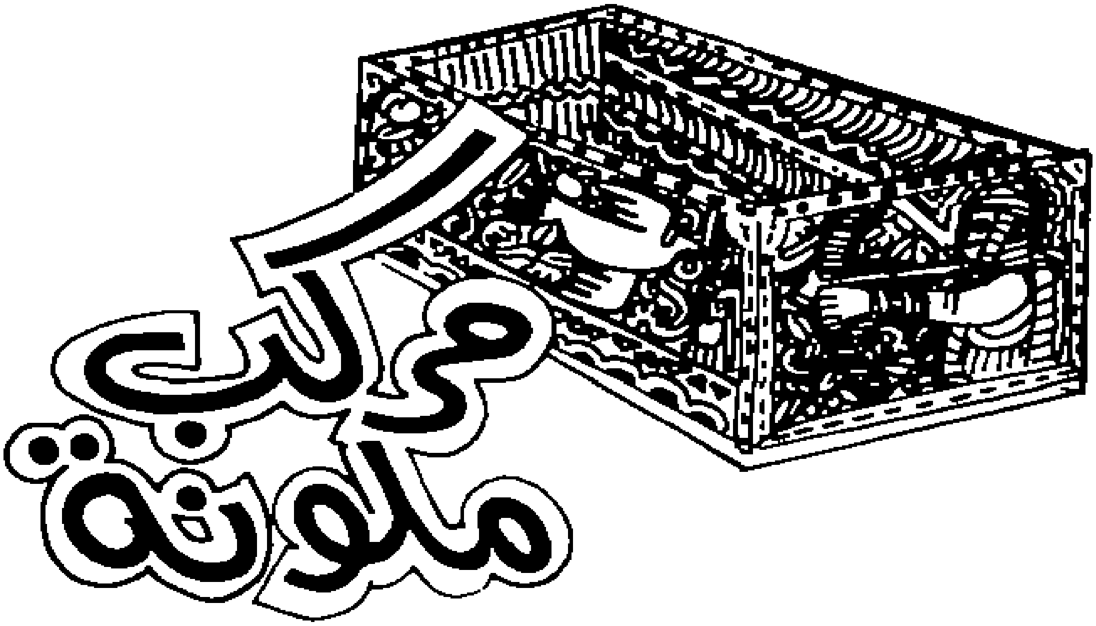
زهـرة إليـها

رقيقة كقطرة ندى . ناعمة كزهرة . حنونة كأم كانت أصغر إخوتها وهي أم لطفلين مازالا في زمن البراءة . عمرها لم يتجاوز الثلاثين . . لايذكر أحد لها طوال هذا العمر أنها اختلفت معه . أو تشاجرت . أو تشاحنت . حتى مشاحنات الأطفال وشجارهم لايذكر لها إخوتها يوما أنها فعلته . وحتى حزنها أو غضبها كان رزينا رقيقا . فقد كانت تنزوي في جانب من البيت . وتلمع عيناها بالدمع . وتلوذ بالصمت . وعندما حملها الزمن في بحاره وصارت فتاة ثم زوجة وأما ، كان الزمن يمر عليها فيفجر فيها كل يوم نبعا من الحنان والسكينة والرضى . كانت لكل إخوتها الصدر والملاذ والصديق . وكان بيتها واحة يحتمي فيها إخوتها من قسوة الزمن حينا . ومن غضب بعضهم على بعض حينا آخر .

وعاشت أحلام إخوتها كلهم . وسعدت معهم . وتعذبت . وفرحت بهم ولهم . وراح زمان وجاء زمان ، وبدأت تشكو من ألم هنا ، وألم هناك . وعرفها المرض . عوارض كثيرة أضفت على أيامها الاما . كانت تختزنها وحدها في صمت ، حتى ضاقت بها يوما . وعجزت عن الاحتمال . وذهبت إلى الطبيب . فاكتشف أن الورم قد انتشر في جسدها الرقيق . وأن الحل والعلاج لايمكن أن يتم دون استئصال بعض الأجزاء من جسدها . ورقدت على فراشها بين حياة يرجوها لها كل أحبابها . وموت يلقي بظله في نهاية الطريق . وعرف إخوتها العذاب والألم والحزن . وفقدت الحياة كل جمال فيها . وحولها كانوا يتجمعون فيتسولون الضحكات كي لاتدرك حقيقة مرضها . ويصطنعون شجاعة هي أبعد ما تكون عنهم . وبعيدا عنها عرفت يومهم ساعات من البكاء الحار والدعاء والابتهال الى الله بأن يأخذ من أعمارهم ويقيها لحظة ألم

كنت أعرف واحدا من إخوتها . لقيته حين عرف الخبر . وشهدت انفجاره بالبكاء . وسمعت منه عن حزنه واحساسه الهائل بعبث الحياة . وبأننا جميعا تراب يمشي على تراب . فقلت له : لماذا تحزن عليها وحدها ووطننا العربي يمتلىء بأمهات وأشقاء وأبناء يتألمون كل يوم . ويموتون كل يوم . هذه - على الأقل - وجدت حولها من يفق عليها . ويمنحها علاجا يسكن آلامها . أما غيرها فيموت من الألم والعذاب ولماذا تحزن عليها وحدها . وكل ما في حياتنا يصيب بالحزن . وكل ما هو عام مليء بالخيبات والهزائم ؟ لماذا يبقى عالمك الخاص بك وحدك مزدهرا بشيء جميل ؟ إن عذاباتها ياصديقي وأخي جزء من عذاباتنا جميعا . وقصارى ما نفعله أن نرسل لها زهرة . علها تبتسم . وتسعد . وتختفي من عينيها قطرات الدمع . □

محمود عبد الوهاب



قصة بقلم : جار النبي الحلو

أختي التي تكبرني لها لون وجهي القمحي . وصفات الشعر الخشن . وهي صموت . لا تبرح الدار . تلبس فستانها ذا اللون الأصفر . وتلف وسطها النحيل بحزام أسود . ثم تغلقه وتجلس في حجرتها تتشنج في بكاء مكتوم

عندما سألتها ذات مرة : لماذا لم تتزوجي يا أختي ؟

ابتسمت وقالت : إني أجهز أشيائي وأعدها .

ثم احتضنت صندوقها بيدين . في يد « ساعة . وفي يد « خويشة » .

وصندوق أختي من المعدن اللامع . مرسوم عليه باللونين الأحمر والأزرق فارس وسهم . وحيوان كغزال بلون أبيض

وصندوق أختي غير كل الصناديق . فهو رقيق . وخفة . وله غطاء بدون قفل أو مفتاح . تحمله دائما معها في حجرة النوم أو فوق السطح . وحين تساعد أمي في أعمال الدار تضعه على المنضدة . حيث فرشت المنضدة بمفرش أبيض مطرز بالورد الأحمر . والورد المنثور على المفرش كأنه قطف حالا من شجرة مزهرة .

صندوق أختي به خيوط بيضاء وحمراء وزرقاء . وإبر طويلة وإبر قصيرة . وخيط رفيع . وخيط من « النيلون » . وكمية كبيرة من الخرز الملون الذي يبدو حين تراه كنجوم السماء

أختي التي تكبرني تصعد الى السطح عندما تكون الشمس في كبد السماء . وتقعد على كرسي . له ظهر مرتفع . وأمامها منضدة صغيرة مدورة . تضع فوقها الصندوق بتلطف . ثم تأخذ في شغل رسومها . ومن الخرزات الملونة المثقوبة كحبات العقد تصنع حقيبة وسمكة وشمسا وفوق السطح يتجمع حولها البط والدجاج والأرانب لكنها لا ترسم أرنبا أو دجاجا أو بطا . فدهشت لذلك وسألتها : لماذا لا ترسمين أرنبا وبطا ودجاجا ؟

قالت وهي تنظر الى الشمس .

إنهم معي . وأنا أرسم ما ليس في يدي . مثل السمكة . والنهر . والقمر . والنجمة أخت القمر

وسكتت . ولم تكمل

ورأيت الشمس تلمع في عينيها . ورأيتها حلوة واستغربت لماذا لم تتزوج . ولماذا لم تغن لنا حتى الآن ؟ ولماذا لم تشتر أمي الحناء ؟ وجرت حبات الخرز الملونة بين أصابعها الى خيوطها الرفيعة الطويلة

أختي رصعت جدران دارنا بخرزها . حينما رسمت الهلال والسمك . وحاولت أن أتعلم حرفة أختي . لكني لا أستطيع أن أمسك الخرزة الملونة الصغيرة . لأدخل في ثقبها الابرة الدقيقة . لتنزلق الخرزة بسرعة الى أخواتها . فأصنع في النهاية حقيبة ملونة

وحاولت أن اعرف لماذا تحملق أختي في السقف بعينين دامعتين حتى أغط أنا في النوم .

لكني هذه المرة نجحت . فقد ظلت تحملق في السقف بعينين دامعتين حتى غطت هي في النوم . وكانت تحتضن صندوقها . فلما كاد أن يقع منها امسكته برفق . ثم وضعته أمامي . وترددت قليلا . ثم فتحته . لمع الخرز . وبهرني اللون الأزرق . أختي تقول دائما إن اللون الأزرق أجمل الألوان . وهي ترسم البحر والسماء وتلونهما به .

حاذرت من الابر حتى لاتؤذيني . عندما داعبت أصابعي الخرزات الملونة كادت أن تشي بي . وتوقظ أختي . وبحرص أخرجت الهلال . ثم وجدت مركبا . وكانت المركب بنفسجية اللون . وشراعها من خرز أحمر . مثل حب الرمان . لكن أختي لم تطلعني عليه من قبل .

وقمت على مهل . وعلقت الهلال على الحائط . وتحت بمسافة علقت المركب . وتحت المركب علقت عدة سمكات ذات ألوان حمراء وبيضاء وصفراء . وسمكات اختلطت في خرزها كل الألوان . ورجعت . وجلست بجانب أختي النائمة . وخيل الي في هذه اللحظة أنها تبتسم وهي نائمة . وجلست القرفصاء . وأخذت أتأمل وضع الهلال والمركب والسمك .

ودخلت أمي . وأطفأت المصباح . وخرجت بوجه جامد وشفتين مزمومتين . وغاصت الأشياء في العتمة . ثم لمع الهلال . واشتعل الشراع احمرارا . وببطء تحرك السمك . وظللت أحدق وأحدق .

وببطء أيضا تحركت المركب . ثم وقفت . وهبت ريح باردة . فاهتز الشراع . وتحركت المركب . ومضت مسرعة . وشراعها الأحمر القاني يشق السماء . ويمضي . وابتلت المركب بالماء ومالت . لكنها لم تنقلب . لكنها بدون ربان أو ركاب . وبدون مناديل تلوح بالوداع . وبدون علم فوق الصاري . وليس بها غير لونين . أحمر وبنفسجي . ولكنها تشق البحر في ثقة . والبحر يتفجر زرقة وفرحة . وكلما سارت المركب تبعها الهلال . وسبح تحتها السمك . لكن السمك الكبير لايأكل السمك الصغير . حتى الطيور الجوارح في السماء لم تكن تنقض على المركب . بل لقد تركت العصافير بألوانها الصفراء تلهو بأمان .

ومضت المركب البنفسجية بعيدا . حتى أصبحت صغيرة صغيرة . لكن الجبل الكبير نهض من بطن البحر فجأة . ووقف أمام المركب . فتوقف السمك . وأرعب الهلال . واختفى خلف الجبل الكبير . فسادت الظلمة .

وعندما كبر الهلال أصبح بدرا . وظهرت المركب بلونيها البنفسجي والأحمر .وعادت تكبر وتكبر . وتراقص السمك حولها . بل لقد طار السمك من شدة السرور . وفرحت الطيور وحطت فوق الشراع .

ولما اقتربت المركب أكثر تبينت أن الفارس الجميل الوجه قادم على المركب . ويحمل معه سهما لامعا . فجريت الى المركب . فرأيتها محملة بكميات كبيرة من الخرز الملون .

ونهضت أختي فزعة من نومها . فهمست لها : لاتخافي يا أختي . نامي . لقد رأيته في مركب الخرز الملون□



بقلم : محمد خليفة التونسي

أسئلة وأجوبة

١ - إعراب قبل وبعد :

ورد الينا السؤال التالي من السيدين/ غالب محمد غالب الحبشي ، وأشرف عبد الله محمد (تعز/ الجمهورية العربية اليمنية) :

نرجو توضيح أحوال « قبل وبعد » بالتفصيل ، فقد سمعنا من بعض علمائنا هنا من يقول : « انهما مبنيان دائما على الضم » برغم ورودهما في القرآن الكريم تارة بالضم وتارة بالكسر .

والجواب : ورد هذان اللفظان في القرآن الكريم مرات بالضم وبالفتح وبالكسر وأيا كان أصلهما من أقسام الكلام فانهما يستعملان ظرفين للزمان والمكان .

« قبل » تدل على أن شيئا سابق لآخر زمانا أو مكانا . و « بعد » تدل على أن شيئا تال لغيره زمانا أو مكانا . كما سيتضح من الأمثلة الآتية .

ثم ان اللفظين اضافيان أو نسبيان . فاذا سمعنا تساءل الذهن : قبل ماذا ؟ أو بعد ماذا ؟ أو « قبل من ؟ » أو « بعد من ؟ » . على ما يقتضى سياق الكلام . فالاضافة مراعاة في كلا الظرفين سواء ذكر المضاف اليه بعد كل منهما في الكلام أو لم يذكر .

١ - عند ذكر المضاف اليه بعد الظرف : يفتح الظرف كما في قوله تعالى : « قالت ياليتني مت قبل هذا ، وكنتُ نسيا منسيا » وقوله : « والله أنزل من السماء ماءً . فأحيا به الأرض بعد موتها » ولذا وقع الظرف بعد « من » فانه يكسر ، كما في قوله تعالى « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى اليك وحيُه » وقوله « وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح » .

٢ - وعند حذف المضاف اليه :

أ - يجوز أن يلاحظ كأنه قائم وعندئذ يمتنع تنوين الظرف مراعاة لاضافته ، فيفتح كما في قولنا : « حين سمعنا الأذان صلينا الفريضة . ولم نصلها قبلَ » أي قبل الأذان أو قبل سماعه ، وكما في قولنا « حين نودي للرحيل رحلنا ولم نتأخر بعدَ » أي بعد النداء .

وكذلك يكسر بلا تنوين اذا وقع بعد « من » كما في

قولنا « عرفنا أخاك اليوم ، ولم تكن تعرفه من قبل » أي قبل اليوم ، وقولنا « تمت المراجعة الأخيرة للمقالة ، ولا عودة اليها من بعد » أي من المراجعة الأخيرة ويؤيد ذلك قراءة قرآنية ذكرها الفراء هي قول الله تعالى « لله الأمر من قبل ومن بعد » وقد عارضها بعض العلماء .

ب ـ كما يجوز في هذه الحالة ضم الظرف دون تنوين ، سواء جاء بعد « من » أو بغيرها كما في قولنا « لم أركب الطائرة قبلُ وسأركبها بعدُ » وقولنا : « لم أركب الطائرة من قبلُ ، وسأركبها من بعدُ » وتشهد لذلك قراءة لقوله تعالى « لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ » وهي أشهر القراءات القرآنية .

جـ ـ ويجوز اهمال المضاف اليه كأنه لم يكن البتة فينون الظرف لأنه غير مضاف ، وحينئذ يفتح كما في قول الشاعر (وهو من شواهد النحو) :

وساغ لي الشراب ، وكنت قبلاً
أكاد أغص بالماء الفرات

أو يكسر مع تنوينه أيضا ، كما في احدى القراءات لقوله تعالى « لله الأمر من قبلٍ ومن بعدٍ » .

٢ ـ كتابة الهمزة المتوسطة :

في رسالة من السيد/ محمد المريني (الرباط/ المملكة المغربية) يشير الى كلمات وردت في بعض مقالات العربي وقد كتبت همزتها على واو ، والكلمات هي « تقرؤه » وأقرؤها و « مبدؤها » كما يشير الى ورود كلمة « مئة » هكذا ، والمتعارف عليه ـ كما قال ـ ان تكتب هكذا (مائة) ثم يسأل عن الصواب في ذلك

ـ ليت أسلافنا اخترعوا حرفا خالصا لصوت همزة القطع ، اذن لأراحونا من الحيرة والاختلاف في رسمها حيث وقعت من الكلمة (أو شبهها) وقد كان الكاتب ولم يزل يحار في كتابة الهمزة المتوسطة .

ويلاحظ أن الكلمات التي ذكرها الأخ قد لحق كل منها ضمير متصل ، فصار كأنه جزء من حروف الكلمة ولذلك عدت همزتها متوسطة ، وقبل التحاق الضمير المتصل بالكلمة كانت همزته تُكتب على ألف هكذا « تقرأ ، واقرأ ، ومبدأ » ولذلك يكتبها بعضهم على ألف حتى بعد أن يلحقها الضمير ، ولكن اعتداد همزها متوسطة وكتابتها على هذه الطريقة أعون على قراءتها صحيحة مثل : هذا مبدؤها ، عرفت مبدأها ، أعجبت بمبدئها ، وهكذا تكتب كل همزة متوسطة اذا وقعت بعد فتح ، فتكتب على الحرف المناسب لها ، فاذا كانت مفتوحة كتبت على ألف مثل : « وأد » ، واذا كانت مضمومة كتبت على واو مثل : لؤم ، واذا كانت مكسورة كتبت على ياء (نبرة) ، ومن هنا يظهر صواب رسمها على واو في الكلمات الثلاث المسئول عنها .

ولكن يراعى حركة ما قبلها اذا كانت مفتوحة بعد ضم أو كسر ، فتكتب على واو اذا كان ما قبلها مضموما مثل سؤال ، وتكتب على ياء (نبرة) اذا كان ما قبلها مكسورا مثل مئة وفئة ، وفئين . (تراجع مجلة العربي/ العدد ٢١٦ نوفمبر ١٩٧٦)

٣ ـ رجعة الى « الغير »

ويسأل السيد. منيب الرشدان (دير أبي سعيد/ الاردن) عن استعمال كلمة « الغير » بالألف واللام ، ونود منه أن يراجع ما كتبناه عن ذلك في العدد ٣٠٩ (أغسطس سنة ١٩٨٤) ، وقد وضحنا هناك ان استعمال « الغير » جائز . وأما العبارة التي يسأل عن صحتها وينسبها الى دكتور في احدى كليات الآداب الجامعية ـ وهي « على الطلاب الغير مكملين في اختباراتهم مراجعتي » ـ فصوابها « على الطلاب غير المكملين » ، لأن « الغير » هنا لا تضاف الى نكرة □

١ ـ يراجع موضع الاية في تفسير القرطبي ١٤/٧ ، والاملاء للعكبري ٩٩/٢ ، والبحر المحيط لأبي حيان النحوي ١٦٢/٧ والكشاف للزمخشري ٢١٤/٣ .

شعر

هكذا غنى الآباء

الطلاسم

للشاعر إيليا أبي ماضي

إيليا أبو ماضي من مشاهير شعراء المهجر الامريكي الشمالي . ولد سنة ١٨٨٩ في قرية المحيدثة في لبنان . واضطرته ظروفه المعيشية وقسوة الحياة الى ان يهاجر الى الاسكندرية سنة ١٩٠٠ . وكان يبيع فيها التبغ والسجائر . وحين بلغ العشرين بدأ بنشر شعره في بعض الصحف والمجلات المصرية ، وفي سنة ١٩١١ هاجر الى امريكا الشمالية واستقر في « سنسناتي » وفي صيف سنة ١٩١٦ انتقل الى « نيويورك » واشتغل بالصحافة . وفي اثناء اقامته بها كان بعض الادباء العرب هناك قد أنشئوا الرابطة القلمية ، سنة ١٩٢٠ . وكان هو أحد مؤسسيها مع زملائه جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وآخرين . ثم أنشأ في نيويورك صحيفة « السمير » وكانت اسبوعية . ثم أصدرها يومية في « بروكلين » . فكانت من أوسع الصحف العربية انتشارا في امريكا وبقي يصدرها حتى وفاته سنة ١٩٥٧

وقد أغرم منذ صباه بالأدب والشعر . فكتب كثيرا من المقالات في صحف مصر ثم امريكا . وأكثر مبكرا من نظم الشعر . ونشر ديوانه الاول « تذكار الماضي » . قبل ان يبرح الاسكندرية سنة ١٩١١ .

ثم نشر ديوانه الثاني « ديوان ايليا أبي ماضي » سنة ١٩١٦ ولكن شعره بعد ذلك كان انضج شعورا وفكرا ولغة . وارفع وأوسع افقا . وفي سنة ١٩٢٧ طبع ديوانه الثالث « الجداول » فذاع صيته وارتفع مرتبته الأدبية في امريكا والاقطار العربية . وقد كتب زميله الاستاذ ميخائيل نعيمة مقدمة قصيرة له أشبه بالتحية لشعره الجديد الرفيع . وقد زادت شهرته ذيوعا ، ومكانته رفعة . حين أصدر ديوانه الرابع « الخمائل » في سنة ١٩٤٧ حتى أنه أعيد طبعه بعد وقت قصير .

وقد ألفت كتب خاصة في سيرة أبي ماضي وأدبه ولاسيما شعره . بالاضافة الى ما ورد عنه في الكتب التي عرضت للادب والشعر المهجري

وهذه القصيدة التي اخترناها له هنا احدى قصائد ديوانه « الجداول » وهو ديوان صغير في نحو ١٢٠ صفحة . ومن قصائده قصيدته الطويلة (١٣٢) بيتا بعنوان « الطلاسم » التي يكرر في نهاية كل رباعية من رباعياتها « الثلاث والثلاثين » قوله « لست أدري » وقد تغنى ببعض أبياتها الأستاذ محمد عبد الوهاب فزادته شهرة .

لا تسلني عن السماء فما عنـ ... ـدي إلا السموت والأسماء
هي شيء، وبعض شيء، وحينًا ... كل شيء، وعند قوم هباء

○○○

فسماء الراعي كما يتمنا ... ها مروج فسيحة خضراء[1]
تلبس الشجر مئزرًا ووشاحًا ... كلما أشرقت وغابت ذكاء[2]
أبدًا في نضارة، لا يجف الـ ... ـعشب فيها ولا يغيض الماء[3]

○○○

وهي عند الأم التي اخترم المو ... ت بنيها، وضنّ عنها العزاء
موضع لا ينالهم فيه ضيم ... لا، ولا يدرك الشباب الفناء[4]
وكما يولد الرجاء من اليأ ... س، إذا مات في القلوب الرجاء

○○○

وهي عند المستقيم أرض وراء الـ ... أفق، فيها ما يشتهي الفقراء
لا يخاف المثري، ولا كذبه الصـ ... ـري، ولا لامرئ به استهزاء
وهي عند المظلوم أرض كهذي الأ ... رض، لكن ليس فيها الأعداء
جمع العدل أهلها في صفاء ... مثلما يجمع الخموع السرداء
لا صخب ... ، لا هوى ... ، ليس فيها البغضاء
كل شيء تنكره منك حلال ... كل شيء فيها كما الفكر شاء

○○○

وهي عند الخليع أرض تجن الـ ... ـخمر فيها، وتدفق الصهباء[5]
كل ما النفس تشتهيه مباح ... لا صلوة، لا صوم، لا إيذاء
أكبر الإثم كونه المرء ذا إلا ... ثم إثم، وهمه فحشاء
ليس بين الصلاح والشر حد ... كالذي بينه وبين الإساء
وادٍ يخلو عفاف ونسك ... لا تكن حشمة ولا استحياء

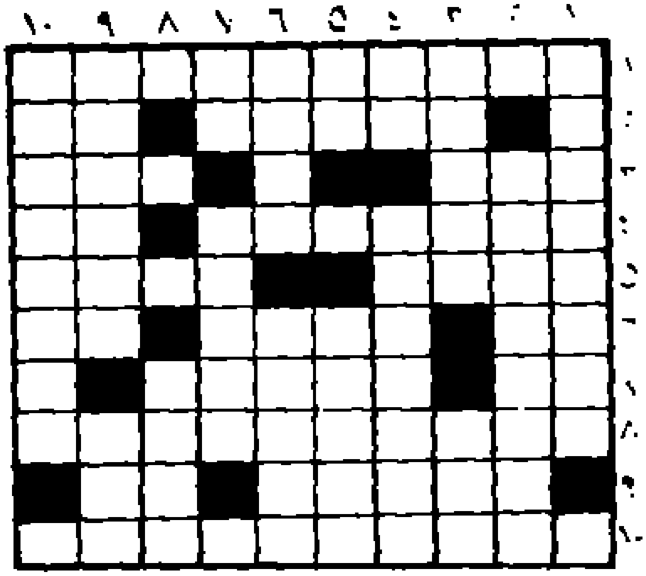
○○○

كل نفس لها السماء الذي تهـ ... ـوى، وإن شئت، كل نفس سماء
صور في نفوسنا كائنات ... ترتديها الأسماء والأشياء
رب شيء كالجوهر الفرد فذّ ... عندنا الأعراض والأهواء
كل ما تقصر المدارك عنه ... كائن مثلما الظنون تشاء

---

١ ـ المروج: الحقول التي ترعى فيه الدواب
٢ ـ ... قبل الشمس ... ، والمراد من الشمس ... ذكاء: الشمس
٣ ـ يغيض: ينقص. ٤ ـ ضيم: ظلم. ٥ ـ تجن: ... تدفق الصهباء: تسيل الخمر

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة والمطلوب منك الاجابة على أسئلة هذه اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم



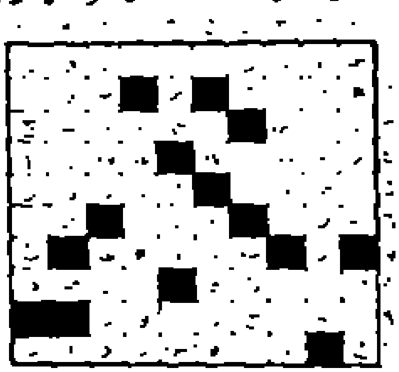
كلمات أفقية

١ . القطب الجنوبي باعتباره قارة سادسة
٢ . بقايا حيوان أو نبات متحجر . سئم وضجر
٣ . قط بري متوحش . مملكة بلقيس
٤ . امبراطور فرنسا . والدة
٥ . أحمق أو عيي . تقال في معرض الترحيب
٦ . تجدها في وال . أخمص البطن . (القدر) غلى
٧ . ندى . من أبناء دولة عربية شقيقة
٨ . خضاب الدم
٩ . موسيقي أندلسي كبير . لعب ولهو
١٠ . سياسي سويدي وأمين عام للأمم المتحدة (١٩٥٣)

كلمات رأسية

١ . من كبار الرحالة العرب ولد في طنجة
٢ . لوحة ليوناردو دافنشي الخالدة
٣ . تصرف كالأرنب . أرض كثيرة النبت
٤ . تجدها في أحمر . من أسماء جهنم
٥ . جماعة من الطير . من أسماء الأسد
٦ . ماء عذب . دربيل مبعثرة
٧ . تنظر . تأمنوا مبتورة
٨ . يظهر
٩ . عاصمة يوغندا . يرشد
١٠ . من أكبر أنهار العالم وأعرضها وأوسعها .

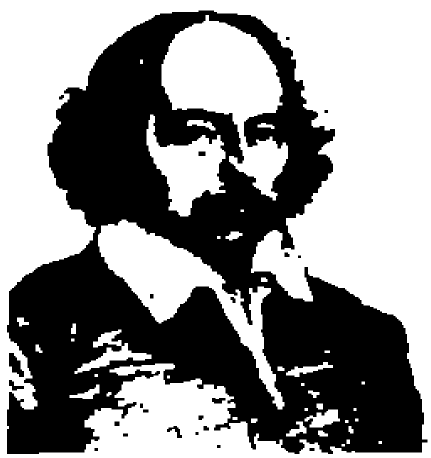
حل مسابقة العدد ٣٤٥ أغسطس ١٩٨٧



كتاب الشهر

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

المسرحية المفقودة لشكسبير



« في « يناير » كانون الثاني من العام الماضي نشرت في انجلترا مسرحية قديمة لشكسبير ، لم تنشر من قبل ، يرجح الباحثون أنها كانت من البدايات المبكرة لأعماله ، فهي تتميز بذات الخصائص الرائعة التي عرفناها في أعماله المعروفة » .

كتاب الشهر

لم يكن من المعقول أن يظهر شكسبير بهذا الكمال والقوة والنضج فجأة، كما نشاهده في مسرحياته وموشحاته. فلا بد إذن من إرهاصات ومقدمات كانت ضائعة ثم أخذت تظهر للعيان. بعد أن اكتشفت موشحته «هل سأموت؟» في مكتبة «بودليان» بأكسفورد، واستقر الرأي في مطبعة جامعة أكسفورد على إدراجها في أعماله الكاملة في طبعاتها الجديدة. وليس هذا فحسب، فقد فاجأتنا «تريبيون» صحفي في عدد صادر في ٦ كانون الثاني ١٩٨٦ بمسرحية شكسبيرية مفقودة، عنوانها «إدموند أيرونسايد» وإدموند هذا هو ملك الإنكليز السكسون الذي حكم سنة ١٠١٦ م، أي قبل الفتح النورماندي بنصف قرن، والتحم في معارك مع ملك الدانمارك كانوتس. وقد تبين أن … المسرحية حاز ظهورها. فوجدها — وكما يقال — ذات نكهة شكسبيرية لا تختلف المطلع عن أعمال شكسبير الأخرى. فاللغة والاستعارات والتشبيهات كلها شكسبيرية فيها الإبداع والابتكار الذي عهدناه في كل ما نظم هذا الشاعر وألف. غير أن الإنسان لا يعوزه أن يرى أنها لا تقف من حيث الحبكة وتطور الأحداث وروعة العرض في مصاف «هاملت» و«الملك لير» و«عطيل» و«تاجر البندقية» و«روميو وجولييت». فهي من نتاج شاب لا يتجاوز السادسة والعشرين. إذ أن تاريخ المسرحية لا يمكن أن يتعدى سنة ١٥٩٠ م، إن لم يكن قبل ذلك. وتضم المسرحية خمسة فصول، ضمها إريك سامس في إحدى وستين صفحة. أما بقية صفحات الكتاب — وهي ثلاثمائة واثنتان وعشرون صفحة — فقد خصصت للمقدمة والحواشي والتعليقات، لا سيما ما يتعلق بصحة نسبة المخطوط إلى شكسبير.

تقسيم انجلترا

القصة بإيجاز هي قصة الصراع بين إدموند ملك السكسون وكانوتس أمير الدانمارك. وينقسم نبلاء الإنكليز إلى فريقين، فريق يلتحق بإدموند … وينضم الفريق الآخر … دوق نورفولك … التي سيروح فيها بعد الأمير … كانتربري، وتلهمه … عن الملك السكسوني. غير أن … دوق … يتحول … الملك السكسوني، وولديه رهينتين بيد الأمير الدانماركي الذي … يقطع أيديهم … لأن هذا … من الإعدام … تسول له نفسه الخيانة.

وبعد معارك طاحنة يذهب ضحيتها الآلاف لا يزال الزعيمان متنازعان … العظمة … تاج انكلترا. وعندما يجد الأمير الدانماركي نفسه منحرفا … الأمان. فيبلغ … بالأمير السكسوني مع مؤاخاته ومصافحته، على أن يقتسما انكلترا فيما بينهما، وأن يكون للدانماركي أي جزء يشاء، وهكذا تنتهي المسرحية، إذ يخرج الخصمان المتنازعان متأبطين ذراعي بعضهما بعضا. غير أن «إدريكس» دوق ميرسيا — جاسوس الطرفين — يتبعهم قائلا: «بحق السماء لأنتقمن منكما معا». وروعة المسرحية ليست بأحداثها، بل بتعابيرها الشكسبيرية المبتكرة.

وبروح شكسبير الإنسانية المحبة للسلام ، المتجلية في المشهد الختامي الذي نسمع فيه الحوار التالي

كانوتس : على مهلك يا إدموند . على مهلك . فإن كانوتس مستسلم لك

إدموند : ماذا ؟ أتراه يستسلم بخضوع ؟ معتذراً من الشيطان ؟

كانوتس : خذ إحداهما ، أيهما شئت ، يدي أو سيفي ، فيدي تمنحك الصداقة الراسخة التي لا تتزعزع . وسيفي يجلب لك العداء العنيد

إدموند : لقد ظفرت يا كانوتس الشجاع باستسلامك بما لا تستطيع سيفك أن يظفر به أبداً . وهو ما جلبه لسانك بلطف كلامك . خذ بيدي يا كانوتس ، وهاك سيفي . فإدموند هنا لك مع كل ما يملك . ولنجاهد كلانا ، لنبين من هو أعظم من صاحبه ، فاللطف المتبادل سيبين من هو الذي يسمو أن يلعب بالصدق

المبارزة

كان شكسبير هو نفسه الذي طرح فكرة المبارزة بين الخصمين ، على أن يقتل أحدهما الآخر ، فتنتهي الخصومة وتنعم حياة آلاف الجنود

.. نتوقف هنا قليلاً في المشهد الثاني من الفصل الخامس الأخير (ص ١٩٣) يقف كاهناً هنا وهو يقول : « أيها المتصارعان . أنت يا إدموند سليل العظماء . وأنت يا كانوتس الشهم الذي تشهدك في كل يوم تقدمات من أجل حربكما الفاتنة أجسامنا ، طعمة للسيوف لتذبح وتقطع . ومع ذلك ليس فيكما من هو منتصر . وله اليد العليا في حسم المعركة . فمن اندحر منكما اليوم ينتصر غداً . من يفر منكما طول الانسحاب يعود فيجدد القتال بقوة مضاعفة

وهكذا يتعلق النصر في ميزان الاضطراب ، وعدم الاستقرار . والحظ المتذبذب يبتسم لأحدكما اليوم . فما مصير هذا الحقد الذي لا ينتهي ؟

لن تنتصرا حتى يفنى جيشاكما معاً . فتصبحان بمفردكما تقتتلان أو تتصالحان . فمن انتصر منكما فإنه سيجد الذات رعايا يحكمهم . ولا شعباً يسوده . فالحروب المستهلكة ستبتلع هذه الجزيرة المنهوكة دون أن تترك من يحكم . ولا من يقاوم الغزو الأجنبي لكبح جماح نزوتكما العدوانية ، وغرور عقليكما المتكبرين . فقد برهنتما على حب أحدكما لجيشكما وشجاعتيهما . والآن احتضنا متصافحين وناجيا . واعتقا كمملكين سلميين . ودعا الأرض لأحدكما . وأريحا هذه الجزيرة المتعبة . فقد ملأنا ترابها بجثث قتلاكما . وأغرقتماها ببحر من دماء الأبرياء

أما إذا كانت منافستكما بعضكما بعضاً عظيمة بحيث أن كلاً منكما يستنكف أن يكون له منافس . لأنه لا يرى لنفسه نداً أو نظيراً في المكانة . فاقتتلا وحدكما . ليكون الملك لأحدكما دون الآخر

لأن هذا الكون يطلب بسبب إرادة الرب . بأن دعا سيفيكما يقرران من هو صاحب الحق الشرعي

وتأتي هذه الدعوة إلى السلام من قبل شكسبير . وإن جاءت على لسان بطل من أبطاله كي ينهي في تراجيديته نفسه أن يقتل أحد المتبارزين الآخر بل أن يجرحا سالمين متصالحين

وداع الملكة (إيما) لولديها

ومن أروع المشاهد المؤثرة في المسرحية المشهد الثاني من الفصل الرابع . تودع الملكة (إيما) ولديها الأميرين . ألفريد وإدوارد (الذي أصبح فيما بعد أحد ملوك انكلترا) . وهما في طريقهما إلى نورماندي . حيث الأمان من ويلات الحرب . ليكونا في رعاية الدوق ريجارد . فتشق الملكة ويستغرق مشهد الوداع صفحتين . وفي كل مرة يبتعدان عنها قليلاً تطلب عودتهما إليها لتجدد الوداع . وأخيراً تقرر أن تذهب معهما إلى الميناء المزبد ـ حسب تعبيرها ـ لتودعهما الوداع الأخير

يقدر الباحثون عدد المسرحيات الشكسبيرية

كتاب الشهر

المفقودة بعشرين مسرحية . ولو أن المتعنتين من الاختصاصيين يصرون على أن شكسبير لم يكتب شيئا قبل سنة ١٥٩٠ ، مع أنه ذهب إلى لندن سنة ١٥٨٢ وهو في سن الثالثة عشرة . فما الذي فعل العبقري في هذه السنوات الثماني ؟ هل كبح جماح عبقريته منتظرا حلول سنة ١٥٩٠ ، والاحتفال ببلوغه السادسة والعشرين . ليبدأ بالتأليف المسرحي بأقوى أشكاله دون محاولات أولية . كمسرحية ايرون سايد التي تعد أقدم مسرحية مكتشفة لشكسبير حتى الآن ؟

الحاسب الآلي يؤكد

إن من دواعي صحة نسبة هذه المسرحية إلى شكسبير احتواءها على ٦٣٥ كلمة نادرة ، و ٧٩ لفظة فريدة ، و ٤٠٥ كلمات هي من أقدم ما عرف استعماله من الكلمات حتى الآن . وحوالي ألفي نقطة تشابه مع ما هو موجود في مسرحيات شكسبير الأخرى المعترف بها حاليا ، وقد نجحت المسرحية بتقدير الحاسبات الآلية ، وتحليلها إياها . وكان أحد الاختصاصيين في الأدب الشكسبيري قد نسبها إلى شكسبير قبل ثلاثين عاما ، لكن كان لابد من انتظار التقدم في استخدام الحاسبات الآلية لاثبات هذه الحقيقة ، وأكبر الظن أن المسرحية دونت في فترة عصر الارمادا ، في أواخر الثمانينيات من القرن السادس عشر ، ولعل مايرد فيها من عبارات التجديف والسباب والشتائم واتهام رئيس أساقفة كنتربرى بالخيانة هو الذي جعلها من المسرحيات المغضوب عليها من السلطات الحاكمة يومذاك.يوم أن كان رئيس أساقفة كنتربري (اليتوموري) رئيس لجنة الرقابة على المسرحيات .

فدخلت في عداد المسرحيات المهملة التي علاها غبار النسيان . مما حدا بجامعي مسرحيات شكسبير الأوائل على أن يطووا كشحا عنها . والشعر في المسرحية موزون . وقد أكثر فيه شكسبير من الالتزام بالقافية . وكان هذا بصورة خاصة في أوائل عهده بالنظم . حيث اعتمد على موسيقا الشعر إلى حد بعيد . وقوام المسرحية ألفان وستون بيتا . ويرجع تاريخها إلى حوالي سنة ١٥٨٨ أو ١٥٩٠ . وبوسعي أن استشهد بكل مقطع من مقاطعها ، لكنني سأكتفي باستشهادين يقول في أولهما: « الحظ أبدا يحسد الحكماء . ويحابي البلهاء ، رافعا إياهم إلى قمة العلياء » . وفي ثانيهما يقول : « إن السلام بعد الحرب موسيقا عذبة لقلبي الراقص طربا » .

وقد استقى شكسبير عناصر قصته من المؤرخ الانكليزى رافائيل هولنشيد ، المتوفى سنة ١٥٨٠ ، فضلا عن تأثره بأعمال بلوتارك ، وجرافتون ، وأوفيد ، والكتاب المقدس . □

■ من مدحك بما ليس فيك من الجميل ، وهو راض عنك ، ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك .

(افلاطون)



رأس حصان
عربي أصيل

كتاب الخيل

بقلم : الدكتور سلمان قطاية

حين قدم العرب للعالم جيادهم الأصيلة قدموا معها علم الفروسية أيضا .

يقول في ذلك (الـريم هويـه) رئيس المرابط الفرنسية في القرن الماضي : « إن العرب هم الذين بدءوا تعليم الفروسية للعالم كله » . ويقول (دنيس بوغروس) أكبر خبير بالحصان العربي في فرنسا حاليا : « لقد فعل العرب بالنسبة للفروسية ما فعلوه بالنسبة للفلسفة وكافة العلوم . فقد نقلوا إلينا التراث القديم شرقيا ويونانيا . بعد أن أضافوا عليه نتاج حضارتهم الأصيلة . وهذا التراث هو الذي سمح لأوروبا أن تخرج إلى النور . بعد أن قضت فترة طويلة في ظلمات العصور الوسطى » . كان من عادة الكونت (دور) أن ينصح مواطنيه الفرنسيين قائلا : « على طلابنا أن يتعمقوا تماما بالمبادىء العامة للفروسية العربية . بحيث تصبح تلك المبادىء مبادئهم » .

الويل في أمراض الخيل

ومن المؤسف فعلا أن يكون اهتمام الغربيين بهذا الفرع من التراث أكثر من اهتمام العرب أنفسهم . فكتاب « الويل في أمراض الخيل » أو كتاب « الصناعتين البيطرة والزردقة » . أو « الناصري » من الكتب المشهورة جدا في أوروبا وبخاصة في فرنسا . وهو من تأليف سايس مرابط الملك الناصر ملك مصر . وهو ابن المنذر البيطار . والسبب في ذلك (بيرون) . وهو أحد الأطباء الفرنسيين الذين ساهموا في تأسيس المدرسة الطبية بأبي زعبل في مصر مع (كلوت بك) الذي استدعاه الخديوي محمد علي

الكبير . فقدّمتهم (بيرون) بالعربية وبحصانها . فترجم الكتاب المذكور ترجمة أخاذة في ثلاثة أجزاء . كرس الأول للحديث عن الفروسية والفرسان العرب . فأصبح تحفة فعلا . وقد تم نشره في باريس عام ١٨٥٢ م .

والمؤسف أيضا أن هذا الكتاب لم ينشر بعد بلغته الأصلية العربية !

لقد سبق لوي ميرسيه في الترجمة بيرون . إذ نشر بالفرنسية عام ١٨٧٤ ترجمة ابن هذيل الأندلسي « حلية الفرسان وشعار الشجعان » . وقد نشر هذا الكتاب بالعربية عام ١٩٥١ بشكل غير لائق . وهذا الكتاب مفقود اليوم والمؤلفات عن الجواد العربي والفروسية العربية باللغات الأوروبية لاتتوقف . ومن أشهرها كتاب (دوما) الذي راجعه الأمير عبدالقادر الجزائري بنفسه . ونشر في منتصف القرن الماضي . وسوف يعاد نشره هذا العام .

ولعل من أفضل ما نشر مؤخرا كتاب « الحصان العربي أول حصان نقي الدم » . تأليف : (دنيس بورغومي) و (البارونه دوبلوماك) عام ١٩٧٨م وفيه من المعلومات والدراسات مايجعله جديرا بالترجمة إلى العربية .

فالمكتبة العربية فقيرة بالكتب العلمية الجديدة في هذا الموضوع . ولاتوجد فيها دورية متخصصة . أما هواية ركوب الخيل فقد زالت أو كادت . وظلت بين أيدي نخبة من المترفين . أو في الصحراء مع البدو الذين يتناقص عددهم مع مرور الأيام

لكل هذا كان صدور « كتاب الخيل » حدثا هاما . إذ يضيف على القائمة القصيرة من الكتب كتابا اخر . ونرجو من صاحب هذه الدار أن يستمر في هذا العمل الجليل . فيصدر مالم يحقق . وبخاصة كتاب ابن منذر البيطار الذي يحققه في نفس الوقت د ايبريق بجامعة حلب . ود دقاق بجامعة باريس . إلا أن للتحقيق العلمي قواعد معروفة

كم أسفت أن الوقت وكثرة المشاغل والمهام قد منعت الأستاذ الجليل محمد العربي الخطابي من إجراء تحقيق دقيق حسب الأصول المتبعة . إذ وقع في أخطاء كان بإمكانه بسهولة - وهو الأستاذ العالم المحقق - أن يتلافاها . فالكتاب قد ظل يرقد على رفوف المكتبات فترات طويلة . بل قرونا عديدة . وكان بالإمكان أن ينتظر بضعة أشهر أو أعوام . لكي يصدر بحلة جيدة اعتقد أن من واجب المحقق - في مقدمته - أن يقيم الكتاب . فيبدي مافيه من أشياء أصيلة جديدة . وما فيه من أخطاء . وأن يقارنه مع ما كتب قبله . كي يأخذ الكتاب المحقق مكانته العلمية . فالقارىء العادي قد يأخذ ما جاء في الكتاب على أنه حقائق أكيدة . فيؤمن بها . ويكررها عن جهل وبلاوعي . فيساهم الكتاب في نشر الجهل أكثر من نشر العلم . وبخاصة إذا تذكرنا أن العرب أمة تقليدية . تنظر إلى الأجداد وترواتهم نظرة احترام عميق . وتبجيل يصل إلى حد التقديس أحيانا .

منتخب كتاب الاحتفال

يقع الكتاب في ٤٢ بابا .

والواقع أنه مختصر أو منتخب من كتاب اخر . هو كتاب « الاحتفال » لأبي عبدالله محمد بن رضوان بن أرقم . من وجوه وادي آش وأعيانه . على قول ابن جُزيّ . و أعتقد أن الكتاب مثل واضح لكتب عصور الانحطاط . فهو ليس من تأليف ابن جزي . ففي تلك العصور انتشرت كتابة الموجزات والمنتخبات . لأنها أسهل وأسرع وأكثر ربحا والمقدمة مليئة بمدح السلاطين حتى التذلل . وبالكلام عن النفس . والتفاخر . والتعالي . وثالثة الأثافي عدم احتوائها على الأصيل والجديد

كما يتميز الأسلوب بالتكرار الممل . والتناقض في الآراء والأحكام . والاستطراد في مواضيع لاعلاقة لها بالموضوع الأصلي

فهو مثلا يمدح السلطان أبا عبدالله نثرا وشعرا في صفحتي (١٩ - ٢٠) . ثم يبدأ بمدح نفسه . فيقول



الحصان العربي الأصيل

إن « محمداً نشأ في حجر العلم . وغذي بلبانه . وتبوأ روضه . بجني فنون الحكم من أفنانه . » . ويستمر خلال حوالي صفحة في مديح عمله (٢٠ - ٢١) . ثم ينتقل إلى مؤلف الكتاب الأصلي - « الاحتفال » - فيتحدث عنه ببضعة أسطر . لينتقل مباشرة إلى مديح ملوك بني نصر (من الصفحة ٢١ إلى الصفحة ٣٢) .

يدخل ابن جُزيّ بعد ذلك ليشرح أصل الحصان . فيسرد قصة خلقه من الريح . ثم يعود فينقضها . ويثبت بآراء ومستندات كثيرة أن الحصان العربي من استئناس وتربية سليمان وداود واسماعيل .

ولقد اتخذ الصهاينة ذلك مستندا للقول بأن استئناس الحصان العربي الذي يفضلون تسميته « الشرقي » قد تم في فلسطين . وأن اليهود هم الذين استأنسوه وليس العرب ومن الذين يدعون بذلك مثلا كلود ليسيناس

ويسرد ابن جزي مجموعة من الأحاديث النبوية . المتعلقة بالخيل وبالحض على الاعتناء بها واحترامها ويعتبر المؤرخون المتصفون أن للرسول (ﷺ)

الفصل كل الفضل في دعم الاهتمام باخواد العربي وهذا لم يأت (ابن جزي) بجديد

وبعد ذلك يدخل ذكر ألوان الخيل . فكرس لذلك أحد عشر بابا . من أصل (٤٢) . أي مايقارب الربع . ولاأريد أن أعلق كثيرا على ما ورد . فهو معروف ومذكور في كل الكتب . أمثال كتاب « في فضل الخيل » للدمياطي . وكتاب « رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد » للخشي

دور الكلبي

وفي باب الاستدلال على جودة الفرس « بصفاته الظاهرة » الذي كرس له المصنف عشر صفحات (١٥٤ - ١٦٤) يتحدث عن الفراسة عند البشر في سبع صفحات ونصف . ويترك للحصان صفحة ونصف . وتلك من عاداته السيئة في الكتاب . وهي الاستطراد في مواضيع أخرى ربما كان هو فيها أعلم . لو لشطط في قلمه . إلا أن هذه العادة حسنة . فهو مثلا يحدثنا عن « فطنة الكلاب » حديثا حلوا جيدا . يناقض ما اعتاده كثيرون من رجال الدين . وهو النهي عن مصاحبة الكلب لأنه مؤذ ينقل الأمراض . أو لأنه نجس . فهل لهذا علاقة بلقب ابن جزي . أي « الكلبي » ؟

وفي هذا الفصل يدافع عن نظرية التوالد الذاتي . فيقول بأن العقارب تتولد من الباذنجان . والدود من السوس إلخ . ثم يدخل في متاهات فوائد النحل والعسل . ثم الهدهد وملك سليمان . ثم الحية والثعلب . شعرا ونثرا . ويستمر ابن جزي في ذلك حتى يدخل في الشعوذة والسحر . كما حرمته الشريعة الاسلامية . وكما انتشر في عصور الانحطاط . فيقول بأن عين الهدهد إذا علقت على الناسي تذكر ما نسيه . وأن مخالب الهدهد إذا أحرقت وشربت المرأة رمادها بالماء لم تحمل . إلخ

وفي الفصل الذي يليه يدخل في متاهات الأرقام .

الخمسة والأربعة والثلاثة ، فيذكر ما قيل فيها من حكم ومواعظ وأحاديث ، ثم يدخل في حديث شغل بالي كثيراً ، لأننا إذا قرأنا ما جاء في الكتب العربية « المطبوعة » عن صفات الفرس الأصيل ضعنا فعلا أمام هذا الحشد الزاخر من الصفات والمواصفات ، بحيث يصبح من الصعب ، بل من المستحيل على المرء أن يتعرف على الحصان العربي الأصيل . وشيء آخر وقع فيه الاستاذ الخطابي نفسه إذ يقول في شرح الصورة « فارس مغربي على صهوة جواد من عتاق الخيل العربية البربرية المعروفة في المغرب باسم باربي » .

والحقيقة أن الحصان البربري نوع من أنواع الخيول ، ولا علاقة له بالحصان العربي . يقول الطبيب البيطري الفرنسي « لوي كابو » : منذ البداية يلفت أنظارنا في الحصان البربري غياب ذلك الانسجام والجمال الذي نجده في الحصان العربي ، بل - على العكس - تصدمنا أشكاله الخشنة ، وخطوط جسمه المتقطعة ، غير المستديرة كما هي عند الحصان العربي ، لكنه حصان قوي » .

أوصاف الحصان العربي

وثمة علامات ملازمة للحصان العربي وهي قصبة الأنف المقعرة ، وابتعاد الذنب عن الجسم . كما يتميز ذنب الحصان العربي بأنه يرتفع بشكل جميل ، إذ يأخذ شكل ريشة نعام ، ورأسه مخروط الشكل ، ومنخراه واسعان ، أسود اللون ، عيناه واسعتان ذواتا نظرات ذكية ، وأهدابها طويلة سوداء (مكحلة) ، وأذناه صغيرتان ، موجهتان دوما إلى الأمام ، وجلده رقيق تشف من خلاله عروقه ، وشعر جلده قصير (الجُرْد) ، وعنق أتلعه مقوسة ، وعند الذكر مغلظة قوية عريضة القاعدة ، وبين محور الجسم الأفقي ومحور العنق زاوية منفرجة إلى الأعلى ، وحاركه ظاهر بارز ، صهوته عريضة ، كفله مكتنز ، وجبهته عريضة ، وعرفه طويل ناعم حريري ، وكذلك شعر ذنبه ، أما صفات الحصان الجميل فهي مختلفة ، فقد كرس لها ابن جزي صفحات كثيرة ، فيها متناقضات ، سببها عائد إلى ذوق المتفحص ، وتفضيله صفة على أخرى . وهكذا فمن يحب القوة والفحولة في الحصان يفضل الذكر القوي العضلات ، ومن يحب الخطوط الجميلة المتناسقة والجمال الصافي يفضل الأنثى ، إلخ .

وثمة حكام عالميون مجازون ، هم الذين يحضرون مسابقات جمال الحصان العربي ، لأنه يعد أجمل حصان . وتجري في فرنسا بباريس كل عام بمناسبة « معرض الحصان » مسابقة لأجمل حصان عربي نال الفوز فيها في عام ١٩٨٥ « شريف باشا » الذي ارتفع ثمنه فوصل إلى أربعة ملايين دولار .

ولقد اختصر شاعر عربي قديم جمال الحصان العربي ببيتين من الشعر فقال :

وقد اغتدي قَبْلَ ضوءِ الصباح
وورد القطا في الفلاة الخشات
بصافي الثلاث ، عريض الثلاث ،
قصير الثلاث ، طويل الثلاث

وهنا أيضا يختلف المفسرون للثلاث حسب ذوقهم وعلمهم ، فصافي الثلاث : العين واللون والصهيل ، أو : الأديم والعين والحافر ، وعريض الثلاث : الصدر والصهوة والجبهة ، أو الصدر والجبهة والمنخر ، أو الجوف ، وقصير الثلاث : الرسغ ووظيف اليد والعسيب ، أو الظهر والساق والعسيب ، وطويل الثلاث : العنق والخد والذراع ، أو الأذن والفخذ والسالفة .

وحرف الغربيون هذا التعريف المأخوذ عن العرب فقالوا : بأربعة ، فالأربعة العريضة : الجبهة والصدر والكفل والأطراف .

والأربعة الطويلة : العنق والبطن والورك والخط العلوي .

والأربعة القصيرة : الجنب والرسغ والأذن والذنب .

لأن الاعتماد على النظر فقط أمر يختلف ـ كما قلنا ـ باختلاف الذوق والعادة والتأثير ، إلخ .

إذ أن الخيول العربية « . . محتقرة من قبل بعضهم » ، كما تقول « ايزابيل جونكيز دوريولا » لأن العرقية امتدت عند بعض الغربيين ، فشملت حتى الخيول العربية !

ولقد وجدت ـ حسب معلوماتي المتواضعة ـ أخطاء كثيرة من قبل الاستاذ الخطابي ، والسيد « كليمانت موليه » المستعرب الذي ترجم كتاب (الفلاحة) .

أما الاستاذ الخطابي فهو يعتقد عن حق أن اللغات الاوروبية المعاصرة ـ وبخاصة الفرنسية لما لها من تأثير على المغرب ـ هي لغة العلم ، وهذا صحيح في أيامنا هذه ، أما في العصور الوسطى فقد كانت العربية هي لغة العلم والمرجع .

ولقد وقع أستاذنا الجليل الخطابي في هذا الخطأ ، فوافق على ترجمة كلمة **HARA** الفرنسية بكلمة حرية العربية ، ويبدو أن هذه الكلمة معتمدة في المغرب رسميا ، إذ جاءت في الدليل الثلاثي اللغات الذي وزع أثناء مهرجان المنظمة الدولية للجواد العربي الذي انعقد في المغرب عام ١٩٨٦م .

والواقع أن كلمة ***HARA*** مشتقة من العربية من كلمة « حرة » والسبب أن ثمة ثلاث طرق لعرض الحصان :

الأوروبية : ويعرض فيها الحصان مع لجامه واقفا ، وأثناء الجري .

والأميركية : يعرض فيها مع اللجام بدون سرج واقفا مشدود الرأس موتر الأطراف .

والعربية : يترك فيها الجواد حرا ، بدون لجام أو سرج ، فيركض كما يريد ، ويتفحص الفاحصون .

ولقد استعملت الطرائق الثلاث أثناء المهرجان في المغرب .

أما كلمة **CHANFREIN** فأصلها شنفر ، فالشفة العليا إذا انقلبت إلى أعلى سميت شنفا ، والشنفرى ثابت ابن أوس الايادي ، الملقب بالشنفرى لعظم شفتيه ، وهو صاحب لامية العرب .

أما كلمة **GANACHE** فهي تحريف للكلمة العربية حنك ، إلخ .

وكلمة **STOOD — BOOK** التي يترجمها الاستاذ بكلمة « سجل الجياد » والتي يكرس لها الكاتب اللبناني المرحوم يوسف ابراهيم يزبك فصلا كاملا في كتابه « الجواد العربي التحفة الكنز » وفيه يطلق صرخة مجلجلة مدوية يناشد فيها الدول العربية بإعتماده ، فهو معروف عند العرب ، بل هو من ابتكارهم ، فكما كانوا يفتخرون بالحسب والنسب ، كذلك كانوا يحفظون « أنساب الخيل » عن ظهر قلب ، وعندما تحضروا ظهرت كتب كثيرة تحت هذا العنوان ، أو ماشابه ، والحجة **PEDIGREE** من ابتكار العرب أيضا .

لكن لابد أن تقوم وزارات الزراعة في البلاد العربية بمسك دفتر أنساب الخيل على غرار ما تفعله وزارة الفلاحة في المغرب ، وفي كافة بلاد العالم المتقدم .

الخلاصة

إن اهتمام دور النشر الخاصة بنشر كتب التراث أمر محمود ، وجعلها كبار المثقفين يتولون القيام بذلك أمر مشكور .

لكن حبذا لو أحسن اختيار الكتب ، فطبع كتاب « الصناعتين » مثلا بتحقيق علمي جيد أمر مطلوب وعلى المحققين أن يكرسوا الوقت اللازم الكافي من أجل ذلك .

أرحب رغم كل شيء بهذا الكتاب أجمل ترحيب ، وأهنىء القائمين على إصداره ، وآمل أن تختفي الأخطاء والهنات في طبعات قادمة إن شاء الله . □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب: مع غسان كنفاني
المؤلف: احمد سعيد
الناشر: دار الثقافة الجديدة - الدار البيضاء - المغرب
عدد الصفحات: ٢٥٨ من القطع الكبير
سنة النشر: ١٩٨٦

كتاب جديد عن الروائي والمناضل الفلسطيني الراحل غسان كنفاني. ويتناول هذا الكتاب الذي يحمل عنوانا فرعيا هو: بين المنفى والهوية والابداع، حياة غسان وأعماله الابداعية والنقدية. بالاضافة الى دراسة تحليلية لرواياته الأربع المكتملة. وروايتين من رواياته التي لم تكتمل كرواية «العاشق» و«برقوق نيسان». وان كانت للكتاب ميزة الاستمرار في دراسة أدب غسان الذي استشهد منذ ١٥ عاما فان لصدوره في المغرب ميزة أخرى اضافية.

■ ■

الكتاب: البنية الرمزية في مسرح توفيق الحكيم
المؤلف: سعيد بن حمودي
الناشر: دار الحداثة - بيروت
عدد الصفحات: ٣١٥ صفحة
سنة النشر: ١٩٨٦م

قسم المؤلف كتابه الى أربعة فصول ومقدمة وقائمة بالمصادر والمراجع. يتناول الفصل الأول نشأة المذهب الرمزي في الغرب. ومفهوم هذا المذهب للأدب. وأثره في الأدب الحديث. ويقدم الفصل الثاني نماذج تحليلية من المسرح الرمزي («مليسانـد وبيلياس» للكاتب البلجيكي موريس ميترلينك، و«البطة البرية» للكاتب النرويجي هنريك ابسن، و«طائر البحر» للكاتب الروسي انطون تشيكوف). ويتناول الفصل الثالث طبيعة الرمز في مسرح توفيق الحكيم (المسرح الأسطوري أو الرمز الأسطوري. وكذلك التوليدي). أما الفصل الرابع فيقدم نماذج تحليلية مقارنة هي:
البناء الرمزي في مسرحية «بجماليون».
البناء الرمزي في مسرحية «شهرزاد».
البناء الرمزي في مسرحية «ياطالع الشجرة».
كما يعرض المؤلف الى مصادر الحكيم الأسطورية، من قصص مستمدة من القرآن الكريم، والتراث الاسلامي، والتاريخ، أو حكايات مستمدة من الأساطير الاغريقية، والفرعونية، و«الفولكلور» الشعبي.

■ ■

الكتاب: الطلقات الأخيرة - رواية
المؤلف: يوري بونداريف
ترجمة: غائب طعمة فرمان
الناشر: دار رادوغا - موسكو
عدد الصفحات: ٢١٢ من القطع المتوسط
سنة النشر: ١٩٨٧م

يقدم لنا الروائي المعروف غائب طعمة فرمان ترجمة جديدة وجيدة لاحدى أهم روايات يوري بونداريف، الكاتب السوفيتي الشهير.
ومثل كثير من الأعمال الأدبية السوفياتية تدور

أحداث هذه الرواية خلال فترة الحرب العالمية الثانية التي اكتوت بنارها أجيال بكاملها في أوروبا وهذا الجيل الذي تفتح وعيه على الحرب والقتل والدمار هو الجيل الذي يكتب يونداريف قصته . ويقدمه لنا في لحظاته غير العادية ، حيث يصبح القتال ضرورة ، وتصبح الشجاعة قيمة أساسية من قيم ذلك الجيل الذي هو جيل المؤلف نفسه

■ ■

الكتاب سجينات المعتقلات الصهيونية ـ الكتاب الأول

المؤلفان مي سمارة ، ومحمد الطاهر

الناشر دار صبرات ـ عمان

عدد الصفحات ١١٥ من القطع المتوسط

سنة النشر ١٩٨٥ م

في هذا الكتاب الفريد في موضوعه يقدم المؤلفان نماذج حية من حياة الشعب الفلسطيني الذي يخوض نضالا شرسا ضد آلة قمع هائلة ، تمتلكها السلطة « الاسرائيلية » .

من خلال أسئلة وأجوبة مع بعض من واجهوا هذه الآلة ترسم لنا صورة مناضل أو مناضلة بكل أبعادها الانسانية والثقافية والتاريخية . وقبل هذا بأبعادها النفسية . حيث يبدو هؤلاء أناسا عاديين . رغم عظمة الأعمال التي قاموا بها

وباستعراض شخصيات الكتاب وتقديم أعمالها تتكون لدى القارىء في النهاية صورة لنضال شعب كامل ، في مواجهته المباشرة مع المحتل وآلة قمعه

■ ■

الكتاب التمريض الطبي النفسي في الكويت

المؤلفون : أحمد أيوب ، ومروان سليمان المطوع ، وجوزان ديب حورث

الناشر مطابع الخط ـ الكويت

عدد الصفحات : ١٨٤ من القطع الكبير

سنة النشر ١٩٨٧ م

يتناول هذا الكتاب جانبا من حياتنا ، مازال الى حد كبير مجهولا . ويلقي الضوء على فرسان مجهولين ، كرسوا أنفسهم ، وبذلوا جهدهم للتعامل مع المرضى في مستشفى الطب النفسي في الكويت

وبالاضافة الى العرض التاريخي الجيد الذي يقدمه الكتاب لتطور الاهتمام بهذه الفئة من المجتمع في الكويت منذ الثلاثينيات وحتى الآن فانه يتناول قضايا عملية أخرى ، مثل اجراءات دخول المريض الى مستشفى الطب النفسي ، والأدوية المستخدمة في علاج بعض الحالات

كما يتضمن الكتاب تعريفا بأهم الأمراض النفسية ، وطرق علاجها ، فضلا عن معلومات أساسية حول هذا الجانب الذي لم يلق عليه حتى الآن مايستحق من ضوء

■ ■

الكتاب فلسفة التشريع الاسلامي

المؤلف مجموعة من العلماء

الناشر أكاديمية المملكة المغربية ـ الرباط

عدد الصفحات ١٩٠ صفحة من القطع المتوسط

سنة النشر ١٩٨٧ م

أصدرت أكاديمية المملكة المغربية هذا الكتاب ضمن سلسلة « الندوات » ويضم هذا الكتاب البحوث المقدمة في الندوة العلمية التي نظمتها الأكاديمية في عام ١٩٨٥ م حول موضوع فلسفة التشريع الاسلامي ، ومن ضمنها بحث رئيسي ، أعده الشيخ مكي الناصري ، عنوانه « فقه الشريعة وفلسفة التشريع الاسلامي » ، كما يضم أبحاثا حول المبادىء العامة في القانون الاداري ، وعلاقتها بالاصول في التشريع الاسلامي ، وضبط المفاهيم في مجالات الفقه والشريعة والوحي والتشريع ، وتطور التشريع المغربي والتشريع الاسلامي مقارنة بالتشريعات الأخرى ، والقانون العام والقانون الخاص ، اضافة الى أبحاث أخرى . □

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٤٦
سبتمبر ١٩٨٧

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية ٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة ٢٠ ديناراً
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة اسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي - صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي 13008 - الكويت . . « مسابقة العربي العدد ٣٤٦ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ اكتوبر ١٩٨٧ .

« عالم الرياضة »

١ - الألعاب الاولمبية غالبا ما يشترك فيها كبار الرياضيين وأبطال الأرقام القياسية . ترى هل يوجد بين هؤلاء الأبطال هواة ، أم أنهم كلهم محترفون ؟

٢ - لعبة تنس الطاولة لعبة محببة لكثيرين ، وتسمى بنج بونج أيضا ، وما زالت تعرف بهذا الاسم في أكثر بلاد الغرب . ترى في أي البلدان ظهرت هذه اللعبة أول ما ظهرت :

* في الصين بدليل اسمها القديم ، وبدليل اتقان الصينيين لهذه اللعبة ؟
* في الهند ؟
* في انكلترا ؟

٣ - أكبر ستاد مكشوف في العالم يتسع لربع مليون متفرج تقريبا ، ولأربعين ألف رياضي . أين يوجد هذا الستاد :

* في نيويورك ؟
* في براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا ؟
* في لندن ؟

٤ - الكل يعرف شعلة الأولمبياد ، تلك الشعلة التي تقطع المسافات الطويلة حتى تصل إلى حيث تقام المباريات الأولمبية ، فتوضع في مكان مرتفع ، وتبقى مشتعلة حتى تنتهي المباريات ، لكن الشعلة انطفأت في واحدة فقط من المباريات الأولمبية الحديثة ، وبقيت نحو دقيقتين . ترى أين حدث ذلك ومتى ؟

٥ - رياضة « الجلة » أو الكرة الحديدية (الشوت بوت) رياضة معروفة ، يمارسها كلا الجنسين من الرجال والنساء ، ويبلغ وزن « الجلة » في لعبة الرجال (٧,٢٥) كيلو غرامات . فما هو وزنها في لعبة « الجلة » للنساء :

* وزن « الجلة » واحد في لعبة الرجال والنساء .

أرفق الحل مع هذا الكوبون
كوبون مسابقة العربي
العــدد ٣٤٦



* وزن « جلة » لعبة النساء يبلغ نصف وزن « جلة » الرجال .
* وزن جلة النساء هو ٤ كيلو غرامات .

٦ ـ من المباريات المحببة للأمريكيين تلك التي تقام بين رعاة البقر ، وتشمل فيما تشمل ركوب الخيول البرية غير المروضة ترويضاً كاملاً . ترى ما الاسم الذي تعرف به هذه المباريات ؟

* كاوبوي .
* روديو .
* جريهاوند .

٧ ـ من المهرجانات الرياضية الكثيرة في بلاد الغرب مهرجانان يلفتان النظر ، يسمى أحدهما البنتاثلون ، أي مهرجان اللعبات الخمس ، ويسمى الآخر ديكاثلون ، أي مهرجان اللعبات العشر ، لكن أحدهما خاص بالنساء ، والآخر خاص بالرجال . فأيهما هذا وأيهما ذاك ؟

٨ ـ من هو لاعب الكرة الذي سجل ١٠٠٠ هدف في غضون عشر سنوات ، أي ما بين سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٦٩ ، علماً بأن عدد المباريات التي سجل فيها تلك الأهداف لم يجاوز ٩٠٩ مباراة ؟

٩ ـ أكبر ستاد مسقوف في العالم يوجد في مدينة نيواورليانز في ولاية لويزيانا في الولايات المتحدة الامريكية . فما هو عدد المتفرجين الذين يتسع لهم هذا الستاد المسقوف ؟

* ٢٥٠٠٠ متفرج .
* ٥٠,٠٠٠ متفرج .
* ١٠٠,٠٠٠ متفرج .

١٠ ـ يذكر الرياضيون بطلين اثنين من أبطال الألعاب الأولمبية ، أحدهما بافو نورمي الفنلندي ، بطل مباريات سنة ١٩٢٤ ، والثاني رجسي اونز الزنجي الأمريكي ، بطل مباريات سنة ١٩٣٦ .

وكلا البطلين عدّاء ، وقد تفوق أحدهما في المسافات القصيرة ، وتفوق الثاني في ركض المسافات الطويلة . فأيهما هذا وأيهما ذاك ؟

١١ ـ قواعد أو قوانين كوينز بري ذات شهرة كبيرة في عالم الرياضة ، وضعها الماركيز كوينز بري سنة ١٨٦٧ ، من أجل تنظيم إحدى الرياضات التالية :

* المصارعة .
* كرة القدم .
* الملاكمة .

ترى أي هذه الرياضات تحكمها قواعد كوينز بري في الوقت الحاضر؟

١٢ ـ من المعروف أن الألعاب الأولمبية الحديثة تشمل فيما تشمل ركض الماراثون . ترى هل كانت هذه الرياضة من الرياضات التي شملتها الألعاب الأولمبية القديمة « اليونانية » ؟ □

حل مسابقة العدد ٣٤٣

١ ـ تحدث السلف الصالح عن مجريط ، وقصدوا بها مدريد ، العاصمة الاسبانية ، وتحدثوا عن اقريطش وقصدوا بها جزيرة كريت . أما بلاد الكرج فهي ولاية جورجيا السوفياتية ، حسب تسمية السلف الصالح

٢ ـ البرازيل أكبر من الهند مساحة ، إذ تبلغ مساحتها ٨.٥١١.٩٦٥ كيلو مترا مربعا ، بينما لاتزيد مساحة الهند على ٣.٢٨٧.٧٨٢ كيلو مترا مربعا ، وتنقلب النسبة إذا ذكرنا عدد السكان ، إذ لايزيد عدد سكان البرازيل على ١١٩.٠٢٤.٦٠٠ نسمة ، بينما يبلغ عدد سكان الهند ٦٨٥.١٨٥.٠٠٠ نسمة .

٣ ـ إنها يوغوسلافيا كما لايخفى ، وإليك التفاصيل :

الجمهوريات الست هي : سلوفينيا / كراوشيا / صربيا / مونتنجرو / مقدونيا / بوسنا / هرزيكوفينا

والقوميات الخمس هي : قوميات الجمهوريات المذكورة باستثناء الأخيرة التي لاتعتبر قومية بالمعنى الدقيق .

واللغات الأربع هي : الصربية والكراوشية والسلوفينية والمقدونية .

والأديان هي : الكاثوليكية والارثوذكسية والاسلام .

٤ ـ الاسم القديم لبركينا فاسو هو فولتا العليا ، والاسم الجديد لداهومي هو بنين ، والجدير بالذكر أن مساحة بركينا فاسو تبلغ ٢٧٤.٢٠٠ كم ٢ ، وعدد سكانها يقارب سبعة ملايين نسمة ، ومعنى ذلك أنها أكبر من بنين مرتين أو أكثر ، ذلك أن مساحة بنين تبلغ ١١٢.٦٢٢ كم٢ ، وعدد سكانها ٣.٥٢٠.٠٠٠ نسمة .

٥ ـ استقلت (نيازالند) سنة ١٩٦٤ ، فاستبدلت اسمها هذا باسم ملاوي ، وغيرت اسم بحيرتها التي كانت تسمى بحيرة نيازا طيلة قرن من الزمان فاصبحت تسمى بحيرة ملاوي

ومن طريف مايذكر أن (نيازا) اسم افريقي يعني (بحيرة) ، وقد أطلقه على البحيرة المستكشف دافيد لفنجستون سنة ١٨٥٩ حين وصلها لأول مرة .

٦ ـ فنزويلا هي الدولة المقصودة ، فاسم فنزويلا يعني باللغة الاسبانية فينيسيا الصغيرة ، أي البندقية الصغيرة وكان الرحالة الاسباني (الونصو دي اوجيدو) هو الذي أطلق عليها هذا الاسم ، وكان ذلك سنة ١٤٩٩ حين كان يبحر بمحاذاة الساحل الكاريبي لفنزويلا ، فرأى بيوت بعض الهنود الحمر المبنية على ركائز فوق الماء ، فذكره منظرها بالبندقية

٧ ـ الألوان والخطوط واحدة على كلا الوجهين ، خطوط عامية بألوان ثلاثة ، هي : الأحمر فالأبيض فالأزرق ، لكن أحد الوجهين يشمل بالإضافة إلى ذلك رسما على القاطع الأبيض هو صورة لخاتم الخزينة

٨ ـ ديوميد الكبرى جزيرة روسية ، وديوميد الصغرى جزيرة أمريكية ، وتقع الجزيرتان في مضيق برنج ، والجدير بالذكر أن خط التوقيت الدولي يمر بين هاتين الجزيرتين ، بحيث يفصل بينها يوم كامل بالرغم من أن الواحدة منها لاتبعد عن الأخرى إلا مسافة (٤) كيلومترات فقط .

٩ ـ الدولة الاوروبية المقصودة من السؤال هي مملكة بولونيا ، فقد كانت الدولة الاوروبية الكبرى مساحة (بعد روسيا) ، والكبرى بعدد السكان (بعد

يونيو ١٩٨٧

فرنسا) . حتى عام ١٧٧١ . لكن الحروب مالبثت أن قامت بينها وبين جاراتها . روسيا والنمسا وبروسيا . طيلة جيل كامل (١٧٧٢ - ١٧٩٥) . وانتهت تلك الحروب بانتصار هذه الجارات على بولندة . واقتسام أراضيها فيما بينها .

١٠ - الدولة هي بوليفيا . وقد خسرت ماخسرت على النحو التالي

- سنة ١٨٧٩م - ١٨٨٣م حرب الباسفيكي وكانت نتيجتها أن صمت شيلي سواحل بوليفياعلى المحيط الباسفيكي بما في ذلك صحراء أتكاما .

- سنة ١٩٠٣ م اضطرت بوليفيا للتخلي عن إحدى مناطقها الغنية بشجر المطاط للبرازيل

سنة ١٩٣٢م - ١٩٣٥م فقدت بوليفيا في حرب شاكو مع الباراجواي نحو ثلاثة أرباع إقليم شاكو الجنوبي

١١ - فانوتو هو الاسم الجديد الذي اختارته لنفسها الجزر المذكورة في عهد الاستقلال . وقد كان اسمها السابق هو جزر الهبرايد الجديدة . عاصمتها هي فيلا.

١٢ - تقع قرية اخشنة قرب بخارى في الاتحاد السوفياتي . □

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

الفائزون في مسابقة العدد ٣٤٣ يونيو ١٩٨٧

الجائزة الاولى أحمد محمد صالح درويش . القطيف - المملكة العربية السعودية

الجائزة الثانية : حمد أحمد محمد الباز / محافظة الدقهلية - جمهورية مصر العربية

الجائزة الثالثة : برشي محمد - فرنسا .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - المنصف السالمي / المعهد الثانوي المختلط / القيروان - تونس .

٢ - محمود سعيد محمد مصطفى صالح نزال / الجهراء/المنطقة الثانية - الكويت

٣ - مالكي احمد / شارع علال الفاسي - مراكش - المملكة المغربية

٤ - صلاح مدثر محمد عبدالله / مغلق العمارة - السجانة - السودان .

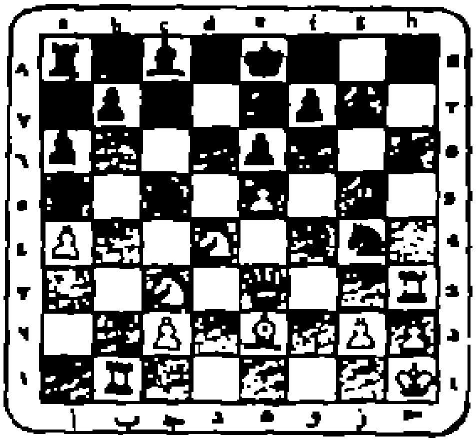
٥ - ظافر كاظم البكري / كلية الهندسة - جامعة كشمير - الهند

٦ - فاطمة محمد ناصر الزبيدي / ص . ب ١٠٧٥٥ - صنعاء - الجمهورية العربية اليمنية

٧ - السعيد زيري - فرنسا .

٨ - معيد جمال ياسين / عمان - الجامعة الأردنية - الأردن

معركة بلا سلاح



من مباريات الشطرنج الطريفة التي جرت في أواخر العام الماضي تلك المباراة التي أقامها نادي لوترخت الهولندي ، احتفالا بمرور مائة عام على تأسيسه ، فقد استضاف النادي المذكور ستة من كبار أبطال العالم في الشطرنج ، منهم البريطانيان (جون نن) و (توني مايلز) ، ليقابلا الأبطال الهولنديين في مباراة فريدة من نوعها ، تهدف إلى وضع بعض الافتتاحيات - محل الجدل - موضع الفحص والاختبار . وقد اختار منظمو المباراة افتتاحيتين من افتتاحيات جناح الوزير ، تعرف إحداهما بدفاع (جرونفيلد) ، والثانية بدفاع الوزير الهندي ، وهما الخطان الرئيسيان لتفريعة الدراجون (التنين) من الدفاع الصقلي (السيلياني) أ. هـ ٤ جـ ٥ التي يتبعها الاسود ب (هـ ٣) إلى حين الوصول إلى البيدق المسموم ، وهي تفريعة الدفاع الصقلي المفضلة لدى بطل العالم الأمريكي بوبي فيشر (١٩٧٢ - ١٩٧٥) الذي كان سبباً في هزيمته أمام بوريس سباسكي بطل العالم الروسي (١٩٦٩ - ١٩٧٢) - الفرنسي حالياً - في مباراة ريكجافيك المشهورة .

وقد لحق تسعة من البيادق المسمومة الكوارث على رؤوس لاعبيها الذين هزموا في جميع الحالات . مما يدعونا للتساؤل فيما إذا كان من الممكن اعتبار ذلك نجاحاً متأخراً لنظرية فيشر .

□ نيوفهيس (هولندا)	■ جون نن (انجلترا)
١ - هـ ٤	جـ ٥
٢ - ح - و ٣	د ٦
٣ - د ٤	جـ × د ٤
٤ - ح × د ٤	ح - و ٦
٥ - ح - جـ ٣	أ ٦
٦ - ف - ز ٥	هـ ٦
٧ - و ٤	و - ب ٦
٨ - و - د ٣	و × ب ٢
٩ - ر - ب ١	و - أ ٣

وبانتهاء هذه النقلات الاجبارية بدأت حرية الاختيار ، فاختار أربعة من اللاعبين البيض ١٠ و ٥ ، وأخذ خامس الحصان بالفيل ، غير أن الباقين تابعوا اللعب كالآتي :

١٠ - ف - هـ ٢	ح (١) - د ٧
١١ - ت	و - جـ ٥
١٢ - م - هـ ١	ف - هـ ٧
١٣ - أ ٤	و - جـ ٧

الفائزون في مسابقة الشطرنج
العدد ٣٤٣
يونيو ١٩٨٧

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ . محمود علي محمد ـ مقديشو / الصومال
٢ . محمد عبد الله علي ـ العوالي / البحرين
٣ . محمود عطيه البيومي ـ الدقهليه / ج م ع
٤ . تغريد حلو ـ عمان / الاردن
٥ . أحمد حسون ـ بغداد / العراق

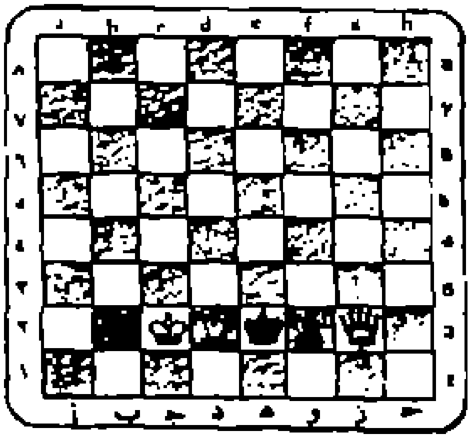
الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ . علي يوسف محمود ـ حلوان / ج م ع
٢ . حامد عبدولي ـ الدوحة / قطر
٣ ـ الحلم السالمي ـ فاس / المغرب
٤ ـ أميرة حسن شحات ـ الاسماعيلية / ج م ع
٥ . عتابة نبهاني ـ الصفاة / الكويت

---

١٤ ـ ر ـ و ٣	حـ ٦
١٥ ـ ر ـ حـ ٣	ح ـ جـ ٥
١٦ ـ و ـ هـ ٣	و ـ أ ٥
١٧ ـ هـ ٥	د × هـ ٥
١٨ ـ و × هـ ٥	ح ـ ز ٤ (انظر الشكل)
١٩ ـ ف × ز ٤	ف × ز ٥
٢٠ ـ و ـ هـ ٢	ت
٢١ ـ ح ـ و ٣	ف ـ هـ ٧
٢٢ ـ ح ـ هـ ٤	ح × هـ ٤
٢٣ ـ و × هـ ٤	ر ـ د ٨
٢٤ ـ ف ـ حـ ٥	و ٥
٢٥ ـ هـ × و ٦ (بالتجاوز)	ف × و ٦
٢٦ ـ ر ـ و ١	ف ـ د ٧
٢٧ ـ ح ـ د ٤	و × أ ٤
٢٨ ـ ر ـ د ٣	ر ـ و ٨
٢٩ ـ ف ـ و ٣	ر أ ـ هـ ٨
٣٠ ـ جـ ٣	و ـ جـ ٤
٣١ ـ و ـ ز ٦	ف × د ٤
٣٢ ـ جـ × د ٤	ر ـ و ٦
٣٣ ـ و ـ هـ ٤	ف ـ جـ ٦
٣٤ ـ و ـ هـ ٢	ف ـ ب ٥
٣٥ ـ ف ـ هـ ٤	و ـ جـ ٢

ويخسر الأبيض الدور . لماذا يا ترى ؟



مسألة العدد ٣٤٦ سبتمبر ١٩٨٧

مات ٢

مهداة من القارىء محمد عزّام (القاهرة)

حل مسألة العدد ٣٤٤
يوليو ١٩٨٧
مفتاح الحل ح ـ هـ ٧

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء ..

لصوص ظرفاء

● قرأت في العدد ٣٣٨ شهر يناير ١٩٨٧ مقالا للدكتور عبد السلام العجيلي ـ تحت عنوان « حيلة .. وحيلة » يحدثنا به الدكتور عبد السلام العجيلي عن السرقات التي حدثت في فرنسا العام الفائت .

وتوقف عند أغرب حادثة سطو وقعت في إحدى ضواحي باريس وأسهب الدكتور في سرد تفاصيلها بأسلوب قصصي جذاب تعودناه في رواياته العديدة . إلا أن ما استوقفني كثيرا : هو بعض العبارات التي وردت في مقال ـ الدكتور عبد السلام العجيلي والتي تبرر للسارق فعله لظرافة أسلوبه في السرقة وأسوق هنا عبارتين وردتا في بداية ونهاية المقال الأولى : (نكاد نغفر أحيانا للسارق جرمه لظرافة أسلوبه في ارتكاب هذا الجرم) الثانية : (قال صاحبي معقبا على ما رويته له : لصوص أذكياء لا شك في هذا بعضهم من الأثاث والتحف الثمينة يتناسب مع ما يملكونه من وسائل في عالمهم المتقدم ، ونحن هنا كذلك لا نعدم لصوصا ظرفاء لهم أساليبهم الذكية التي تسوق الابتسامة إلى الشفاه ، ويكاد أن يغتفر لهم معها خروجهم على القانون وعلى الخلق المستقيم) .

إلى هنا أتوقف : وأعترض على هذا التبرير وعلى ورود هاتين العبارتين في مقال الدكتور الكبير عبد السلام العجيلي . لأن للكلمة سحرها لدى قرائه وخاصة عندما تصدر عن قلم دكتور له باع طويل في عالم القصة والرواية . وهذا السحر الموشى بـ (لصوص ظرفاء) و (ظرافة الأسلوب ـ التي تكاد تدعونا لأن نغفر أحيانا للسارق جرمه)

هذه الكلمات لها مفعول السحر والترحيب لدى الشباب الطائش والتي تزيده زهوا وغرورا وانحرافا .

وليسمح لي الدكتور عبد السلام العجيلي أن أسأله ـ متى كان اللصوص ظرفاء ؟ وهل يجمع المكر والاحتيال والخديعة والنذالة مع الظرف ؟ والظرف يعني الكياسة واللباقة والخلق القويم ؟

فهل في فعلة هؤلاء اللصوص كياسة وخلق قويم حتى ينعتهم الدكتور بالظرفاء واللطفاء ؟

إنها عبارات لم يقصد الدكتور عبد السلام بها وضع السم بالدسم على ما أعتقد ولكن القارئ قد يتبادر هذا إلى ذهنه للوهلة الأولى . والأهم من ذلك أنه لم تمض وقت طويل حتى وجدت نفسي أطالع في صحيفة الثورة السورية العدد ٧٣٤٤ تاريخ ١١/ ٤/ ١٩٨٧ الصادرة في دمشق وعلى الصفحة السادسة قصة مشابهة لحادثة السرقة الباريسية بأسلوبها وتفاصيلها إلا أن نجومها هذه المرة شبان عرب وحصلت حوادثها بين مدينتي حلب ودمشق ألم

يقول الدكتور عبد السلام في مقاله " نحن هنا كذلك لانعدم لصوص طرفاء بأساليب ذكية ويكاد أن يغتفر لهم معها خروجهم على القانون وعلى الخلق المستقيم " ولم أكد أنتهي من قراءة هذه الحادثة حتى أصبت بالذهول لدى مطالعتي لصحيفة الوطن الكويتية العدد ٤٣٨٥ الصادرة بتاريخ ٦ مايو عام ١٩٨٦ وتحديدا على الصفحة ٢٨ الاخيرة وفيها حادثة سرقة مشابهة تحت عنوان بعيد عن السياسة وتحت عنوان صغير « لسرقة ثلوب وحلوى » ... حادثة أخرى بنفس الأسلوب والتفاصيل ولكن مسرحها هذه المرة صحيفة تصدر بالعاصمة التونسية وحريرية حربه السياحية ـ ولا أدري غدا ماذا أطالع وأي ستكون الحادثة الرابعة ... حادثة سرقة غريبة وعجيبة ، بنفس الأسلوب . بنفس التفاصيل لايسعني هنا الا ان أقول العبارة المشهورة « القانون لايحمي المغفلين » هذا صحيح .

لكن قلم الكاتب والاديب يجب أن يكون أشد قسوة في تناوله هذه الوقائع ، وأن يبتعد عن المفردات والعبارات التي تسوغ للمجرم فعلته ، وتجعله بجعله ظريفا يكاد أن يغتفر له معها خروجه على القانون وعلى الخلق المستقيم .

في الختام أرجو ان أكون قد وفقت في ابداء وجهة نظري وأرفق مع رسالتي هذه قصاصتين من صحيفتي الثورة السورية والوطن الكويتية وردت فيهما هاتان الحادثتان

محمود هدية
طرابلس ـ ليبيا

العربي

ـ ننشر وجهة نظر القارىء الكريم حول مقال الدكتور عبد السلام العجيلي . ونشير الى أنه أرفق بمقاله المنشور هنا قصاصات من صحيفة « الثورة » السورية ومن صحيفة « الوطن » الكويتية ، وبها نص الوقائع التي أشار اليها ... في مقالته ومع اننا لانشك مطلقا في حسن نية الدكتور عبد السلام العجيلي ، وتركيزه على عنصر الطرافة في الموضوع الا ان وجهة نظر القارىء الكريم جديرة بأن تؤخذ في الاعتبار .

لغة القرآن الكريم
في شبه القارة الهندية

● مجلة العربي من المجلات العربية التي يعتز بها المسلمون والعرب . ونحن في الهند نقدمها للمثقفين غير المسلمين للدلالة على تقدم الصحافة العربية في العالم العربي ـ وعلى انتشار اللغة العربية وحيويتها والآراء التي يبديها أصحابها عبر صفحات هذه المجلة قد لاترضي الجميع ـ ولكن شكل المجلة وغيرها يستهويان كل ناظر ـ واني قد عرفت فترة بيعت فيها مجلة العربي مقابل ثمن مضاعف

ان خدمات المجلة واسعة متنوعة لايستطيع أحد التنويه بها في سطور قليلة . ولكن الناحية التي تهمنا هي ناحية خدمة اللغة العربية ـ لغة القرآن والسنة ـ وترشيد الجهود التي تبذل في تدريس هذه اللغة ونشرها في العالم

وقد دفعني الى هذه الكتابة المتواضعة ما قرأته في العدد (٣٤١) من العربي (ابريل ١٩٨٧) تحت عنوان (تحية من معلم بالعالم الجديد) وكذلك ما جاء بعده من وعد العربي بأنها تستمر في ترشيدها وتوجيهها ، ولم تكون هذه السطور مضاعفة للثقل دون تخفيفه . ولكن الحقيقة ان المنطقة التي تشير اليها توحظيت فيها اللغة العربية بعناية كافية من المسئولين

حوار القراء..

لتغير مجرى الأحداث في شبه القارة الهندية دون مبالغة .

وشرح هذا الاجمال أن المسلمين بالهند (وكذا باكستان وبنغلاديش) ينظرون الى اللغة العربية نظرة الاحترام والتقديس ، ويبذلون كل غال ورخيص في سبيل نشرها والحفاظ عليها .

ولاجل هذه اللغة القيمة أنشأوا عشرات المدارس الكبيرة في اقطار الهند الواسعة وهذه المدارس أهلية أو شبه رسمية ولكنها تمتاز بعنايتها البالغة باللغة العربية تدريسا وكتابة وتكلما ، حتى ان الطلاب في مرحلة من مراحل الدراسة في هذه المدارس يقرؤون قراءة سليمة جدا ولكنهم لايستطيعون فهم كلمات التنزيل من ناحية المعنى لانهم لم يصلوا الى مستوى فهم القرآن الكريم ان علماء المسلمين الذين تخرجوا في هذه المدارس الاسلامية ثم استكملوا دراساتهم كانت لهم مساهمة ملموسة في حركة تحرير الهند ، وفي الدفاع عن الاسلام ومبادئه وقيمه ، وفي صد هجمات المبشرين النصارى الذين هاجموا الاسلام والمسلمين بكل عنف وشراسة، أيام الاستعمار الانجليزي لشبه القارة .

وهؤلاء العلماء مؤلفات قيمة نافعة باللغة العربية أو غيرها موضوعها تتناول قواعد اللغة العربية وآدابها وثقافتها وشعرها وما الى ذلك، وفي موقف الدفاع ترد على الحملة التبشيرية والصهيونية وتبرز معالم الحضارة العربية والاسلامية التي امتد اشعاعها الى اقصى الصين في الشرق.لست هنا كي احصي محاسن المدارس الاسلامية وعرضها ، ولكني اشرت الى بعضها تنويها بشأنها وتمهيدا لما اقترحه في سبيل دعمها ونهضتها . ان هذه المدارس يجهلها كثير من المسلمين بالعالم ، ومجلة العربي الموقرة قد غطت باستطلاعها كثيرا من البلاد والمعالم الاسلامية فلو تكرم القائمون على هذه المجلة باعطاء قليل من العناية لهذه المدارس الاسلامية لتعين ذلك حافزا لها دون شك . وبما ان هذه المدارس تتبع جماعات معينة فمن الاحسن ان يتم التعريف بمدرسة واحدة فقط بين مدارس جماعة واحدة .

وأملي قوي في ان هذه اللغة الغنية ستصل الى جميع الآفاق ، كما ان الدين الاسلامي الحنيف قد وصل اشعاعه الى كل مكان . وفقنا الله تعالى الى الاخلاص والتوفيق . . . . .

د . مقتدى حسن محمد ياسين
وكيل الجامعة السلفية / الهند

- نشكر للدكتور مقتدى حسن اهتمامه والمعلومات التي تفضل بها حول دور مدارس تعليم اللغة العربية في الهند ، ونعده بأن يكون اقتراحه حول استطلاع او التعريف بهذه المدارس ودورها محل دراسة في مجلس التحرير خلال مناقشة خطط الاستطلاعات وشكرا .

هل كان العرب يصنعون الثلج ؟

● بين العربي وقارئها ثقة متبادلة . فلاهي تبخل عليه بالثقافة في شتى مجالاتها ، ولا هو يبخل بالاستفادة . ولقد لفت انتباهي من مقال بعنوان « الفصل بين الطب والفلسفة » في العدد «٣٤١» قول الدكتور عادل البكري عن الطبيب بختيشوع بن جبرائيل انه في الايام الشديدة الحر كان يجلس في

غرفة ذات طاقات ، يدخل منها هواء مبرد ، بعد مروره على مواضع فيها ثلج مكبوس ، فهل كان في ذلك العهد ثلج مصنع ، ام ان رجالات ذلك العصر كان بامكانهم حفظ الثلج من ايام الشتاء الى ايام الحر الشديد ، ام ان ماورد كان سهوا ؟
وجزاكم الله خيرا

رامز حداد
الزرقاء / الاردن

ـ حولنا هذه الرسالة الى الدكتور عادل البكري كاتب المقال المشار اليه فتفضل بالرد التالي :

اشارة الى استفسار السيد رامز حداد في رسالته المرفقة حول موضوع (التبريد بالثلج) الوارد في مقالي بعنوان (الفصل بين الطب والفلسفة) .

كان الثلج يستعمل في التبريد منذ العصر العباسي الاول ، ويشير الطبري في تاريخه ان اول من جلب له الثلج من الخلفاء هو المهدي وكان الرشيد يحمل له الثلج في حجه الى بيت الله . وبعد ان نقلت عاصمة الخلافة العباسية الى سامراء اصبح للثلج اهمية كبيرة واصبحت له وظيفة يقال لها وظيفة (الثلاج) وهو الذي يجلب الثلج من الاماكن البعيدة ويخزنه . وكانت نفقات الثلج في زمن الخليفة المقتدر (٢٩٥ هـ - ٣٢٠ هـ) تبلغ آلافا من الدنانيرويذكر أن وزيره ابن الفرات صرف أربعين ألف رطل من الثلج في أول يوم من استيزاره في وزارته الثانية . وكان في ناحية قصره دار كبيرة للشراب يقدم فيها الماء المثلوج . وجاء في مطالع البدور للغزولي (ج ٢ ص ٤٨) أن جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة حجت عام ٣٦٦ هـ فسقت اهل الموسم من الحجاج السويق بالسكر والثلج .

واستعمل الثلج في الطب اذ وصفه الطبيب اسحاق بن عمران المتوفي سنة ٢٧٩ هـ لمعالجة مرض النسمة (أي ضيق النفس) الذي أصيب به ابن الاغلب حسبما ذكر ابن جلجل في كتابه (طبقات الاطباء والحكماء) . كما استعمل ابن سينا (كيس الثلج) على الرأس لمعالجة الحمى والصداع .

وكان اقبال الناس على شراء الثلج واستعماله في دورهم وقصورهم قد دفع طبقة من الناس الى العناية بجلبه من الجبال البعيدة وكبسه وحفظه في صهاريج معزولة حتى يجيئ موسم الحر ، ثم يبيعونه باسعار عالية.ويذكر القلقشندي أن الثلج كان يجلب من الشام الى مصر لتبريد الماء غير أن أحدا من المؤرخين لم يذكر ابدا أن الثلج كان يصنع كما يصنع اليوم ، إذ أن طريقة استحضاره صناعيا لم تكن معروفة آنذاك .

اما القصة التي أوردتها عن استعمال ابن بختيشوع للثلج في تكييف الهواء (تبريده) فهي تدل على التطور الحضاري في ذلك العصر ، وقد ذكرها ابن أبي أصيبعه في عيون الانباء عند كلامه عن هذا الطبيب ويمكن مراجعتها في موضعها . كما يمكن مراجعة مقال ماجد عبد الله الشمس وبتول درهم ضمن ابحاث الثروة القطرية الثالثة لمركز احياء التراث العلمي العربي ببغداد ففيها مايفيد في هذا المجال .

د . عادل البكري
الجامعة المستنصرية ـ بغداد

تعالوا نتعلم كيف نعترف بالخطأ

● لقد اثارت مقالة الدكتور يحي الجمل في عدد ابريل ٨٧ م من العربي بعنوان«تعالوا نتعلم كيف نختلف» الكثير من التساؤلات التي يختلج بها صدر كل عربي ويوجهها الى الحكام العرب أولا ، وكل عربي في موقع المسئولية ثانيا ، وكل الجماهير العربية ثالثا . ومن هذه التساؤلات نذكر مايلي :

ياعرب تعالوا نتعلم كيف نعترف بالخطأ . فان الاعتراف بالخطأ أول الخطوات نحو الصواب . وان الاعتراف بالخطأ والاعتذار عنه نبل وشهامةولايعيب

حوار القراء..

المرء ولايتقص من قدره أن يحيد عن الخطأ الى الصواب

ياعرب تعالوا نتعلم كيف نغضب وكيف نتناول مواقف الغضب بموضوعية وكيف نحسن الى أخينا العربي ان أساء الينا . ونتعالوا نتعلم كيف نخرس أجهزة اعلامنا التي تنطلق بالشتائم ضد بعضنا البعض اذا كنا نريد للخلافات العربية بعض الاصلاح

ياعرب تعالوا نتعلم كيف ان هناك بعض الاساسيات لايجب أن نمس مهما اختلفنا مثل عدم اغلاق الحدود وعدم قطع العلاقات وعدم منع المواطنين العرب من الدخول لأي بلد عربي لزيارة أقاربهم والتواصل . هل يعقل ياعرب ان تكون لمصر قلب العروبة النابض علاقات وحدود مفتوحة مع اسرائيل وليس لها ذلك مع جارتها ليبيا مثلا ؟! .

ياعرب تعالوا نتعلم كيف أن قوتنا في وحدتنا وأن ضعفنا في تفرقنا وأن الذي يعاني من الخلافات العربية هو المواطن العربي أولا واخيرا

ياعرب تعالوا نتعلم كيف نتغاضى عن خلافاتنا البسيطة الزائلة في سبيل أهداف أسمى باقية .

ياعرب تعالوا نتعلم كيف أننا أحيانا نسيء الى أنفسنا والى شعوبنا أكثر مما يسيء لنا الآخرون مثل الاستعمار والصهيونية !!

هذه بعض التداعيات أو الآمال العربية لعلها تجد طريقها للنشر على صفحات حوار القراء وشكرا .

محمود عبد الرءوف كامل

مدرس الاعلام بجامعة قاريونس

/ بنغازي / ليبيا

الفقهاء ومشاكل العصر

● لي تعقيب بسيط على مقال الاستاذ فهمي هويدي المنشور بالعدد ٣٤٢ مايو ١٩٨٧ (استدعاء الفقه الى قلب العصر)

فلا يختلف أحد على عظمة الفقه الاسلامي ومرونته وصلاحيته مع كل بيئة ومواتاته للمشاكل المختلفة التي واجهته

فبشأن الشرط الثاني الذي أضافه د . القرضاوي والمتعلق بضرورة توفر معرفة الناس والخبرة في المجتهد، والبعد عن الاهواء الاقتصادية والسياسية المختلفة فكثير من العلماء الحديثين والقدماء انحازوا للاسف للحكام وللمال وللسلطة، فلم نسمع منهم رأيا في أمور الحياة اليومية التي تمر بالمسلم، وكذلك في الشئون العامة كتجارة العملة والمضاربة بالذهب وأشياء من هذا القبيل، وكذلك ماهي اصلح النظريات الاقتصادية التي تناسبنا للأخذ بها بدلا من الاقتصار على الفتاوي المكررة

مع ذلك فكثير من الفقهاء انحازوا الى الفقراء من المسلمين لانهم كانوا على اقتناع تام بأن الرسالات السماوية جاءت لنصرة الحق والمظلومين . ومن ثم فيجب على علمائنا ألا يحصروا أنفسهم في المسلمات بأن هذا حرام وذلك حلال وعليهم بأن يجتهدوا لادخال الفقه الى عصرنا الحديث حتى يتبوأ المسلمون مكانتهم مرة أخرى ولايتخلفوا كما هو حادث الآن .

هشام محمد جلال السيد

الاسكندرية / مصر

جمالية الخط العربي

● قرأت في العدد ٢٢٨ من مجلة العربي مقالا عن « جمالية الخط الكوفي » بقلم عبد اللطيف هاشم ، وقد سعدت بما ورد في هذا المقال من معلومات وتحليل قيم لجمالية الخط الكوفي الذي يعتبر أحد اشكال الفن العربي المتميز.فوارجو بهذه المناسبة ان تدرسوا امكانية وضع باب ولو غير منتظم في الصدور عن الخط العربي بجميع اشكاله وتاريخه ومايحتوي عليه من قيم جمالية وابداعية لتعريف الجيل الجديد بهذا الفن العربي العظيم الذي يكاد يختفي,واتاحة الفرصة لامكانية تطويره من خلال جهود الفنانين العرب المحدثين وشكرا .

منتصر الغيراني

المعهد الصناعي بدمشق

العربي

ـ ابتداء ترحب العربي بنشر أي مقال جيد عن فن الخط العربي ، وتعد القارىء الكريم بأن يكون اقتراحه محل اهتمام ودراسة في مجلس التحرير .

ردود خاصة

● يرغب السيد / محمد الحسن محمد صالح عثمان المقيم في الشقة ٢٥ بناية مدرم شارع مدرم / عدن بجمهورية اليمن الديمقراطية أن تنشر عنوانه أملا أن يطلع عليه أحد أقاربه الذين انقطعت صلته بهم منذ سنة تقريبا رغم رسائله اليهم ، بعضهم كان في بيروت الغربية / لبنان ، وبعضهم في السودان .

ونأمل ياسيد / محمد أن تلتقي بأقاربك بعد هذا النشر . □

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

سبتمبر ١٩٨٧ م

الأحزاب السياسية
في العالم الثالث

تأليف : د. أسامة الغزالي حرب

٥٠٠ فلس

الكتاب ١١٧

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

العدد ٢١٦ أول سبتمبر ١٩٨٧

السحب - ٢

تأليف : أريستوفانيس
ترجمة وتقديم أدبي : د. أحمد عتمان
مراجعة وتقديم تاريخي : د. عبداللطيف أحمد علي

الجزء الثاني

١ـ النص المسرحي
٢ـ معجم الأعلام الأسطورية والتاريخية



نافذة عربية

للفنان العراقي ضياء العزاوي